شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد السادس والعشرون، السنة الثالثة، رجب ١٤٣٣ - حزيران ٢٠١٢

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٢٠٠ ل.س. - العراق: ٢٠٠٠ دينار - مصر: ١٠ جنيه - السودان: ٢٠٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة: تمامُ النِّعمة ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق: حصون خيبر ..... تحقيق: أحمد الحسيني ٨

مراقبات: أعمال شهر رجب ..... إعداد: «شعائر» ١٣

أحسن الحديث: الإقناع في القرآن الكريم ..... د. أحمد حسن خشّان ١٩

سورة الفرقان ..... من دروس «المركز الإسلامي» ٢٢

أيام الله: مناسبات شهر رجب ..... إعداد: صافي رزق ٢٤

وقال الرسول: المَبعث الشريف ..... إعداد: محمد ناصر ٢٧

حدود الله: صلاة ليلة الرّغائب ..... إعداد: الشيخ حسين كوراني ٢٨

يزكّيهم: من توصيات السيّد القاضي قدس سره ..... إعداد: مازن حمّودي ٣٠

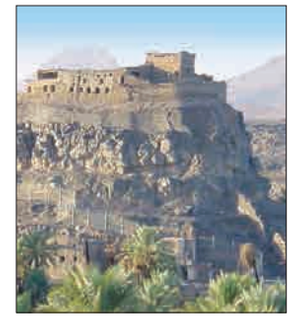

تحقيق
حصونُ خَيبر

الملف:

الإمام عليّ عليه السلام... قراءة في السيرة والمنهج

إستهلال ..... «شعائر» ٣٢

مولد أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة ..... إعداد: أسرة التحرير ٣٣

كما عرَّفة المقرّبون ..... محمّد علي خليفة ٣٤

جُمِعت في صفاتِك الأضداد ..... حِواريّة إبن دأب ٣٥

منهج تدوين السّيرة ..... الشيخ حسين كوراني ٣٨

رغِدَ العيشُ فزِدهُ رغدا ..... فريدة العلّامة الشيرازي ٤٦

لولا دعاؤكم: أبرز أوراد الرّجَبيّين ..... إعداد: «شعائر» ٤٨

صاحب الأمر: واجبنا في عصر الغَيبة ..... إعداد: «شعائر» ٥٠

محتويات العدد

كتابا موقوتا:
صلوات شهر رجب ..... إعداد: خليل الشيخ علي ٥٢

يذكرون:
من مواعظ الشيخ بهجت قدس سره ..... إعداد: عبد الله النابلسي ٥٤

فكر و نظر:
النبوّة الخاتمة ..... السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره ٥٥
النيّة: سرٌ مستودَع ..... الشيخ جوادي آملي ٥٧

أعلام:
القاضي النّعمان المغربي ..... إعداد: أكرم زيدان ٥٩

كلمة سواء:
التأسيس القرآني للحوار ..... د. محمد الطالبي ٦٣

وصايا:
من وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله ..... إعداد: علي حمّود ٦٤

مرابطة:
الإمام الخامنئي: الجيوش في خدمة الحكّام ..... إعداد: «شعائر» ٦٦

وثائق:
مجزرة «دير ياسين» – فلسطين ١٩٤٨ ..... إعداد: «شعائر» ٦٨

دوائر ثقافية:
الفهرس ٦٩

موقف:
مواجهة العولمة بالرّوحَنة ..... الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ٧٠

فرائد:
عليٌ.. كمثل البيت الحرام ..... إعداد: «شعائر» ٧١

قراءة في كتاب:
«شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار» ..... قراءة: سلام ياسين ٧٢

السّنن المهجورة:
دعاء الإستفتاح (عمل أم داود) ..... «شعائر» ٧٤

مصطلحات:
الفَيء، والصّفيّ ..... إعداد: «شعائر» ٧٦

مفكرة:
حِكم ولغة. تاريخ وبلدان ..... إعداد: جمال برّو ٧٧

إصدارات:
عربيّة . أجنبيّة . دوريّات ..... ياسر حمادة ٧٩

أيها العزيز:
نجاة البشريّة، بالإسلام ..... الإمام الخامنئي حفظه الله ٨٢

تمامُ النِّعمة

■ الشيخ حسين كوراني

* «على الشَّرق أن يَصحو، ويفصل مصيرَه عن الغرب..».

الإمام الخميني قدس سره

تُشرق شمسُ البعثة النبويّة هذا العام -١٤٣٣ هجريّة- والأمّة، والعالم كلُّه أفضل حالاً رغم الجِراح البليغة.

الفراعنةُ الكبار في مراوحَةٍ أو انحسار. والصّغارُ مشغولون بأنفسِهم. هجومُهم دفاع. بل دفاعُ اليائس وقد لفَّه الزوال.

تسبَّب اهتزازُ الخارطة السياسيّة حتّى الآن بدفنِ مشروع «إسرائيل العظمى»، و«الكبرى»، و«سايكس بيكو»، و«المسألة الشّرقية»، و«الشرق الأوسط الجديد»، و«النّظام الدّولي – الأميركي» الجديد.

* قال مفجّر صحوة المستضعفين، الإسلاميّة، العالميّة، الإمام الخميني:

«**على "الشَّرق" أن يَصحو، ويفصل مصيرَه عن الغرب قدْر استطاعته. إذا استطاعَ أن يفعل ذلك، فعَليه أن يواصلَ الإصرارَ عليه حتّى النهاية، أمّا إذا لم يُمكنه الآن، فعليه أن يسعى لتحقيق ذلك بمقدار ما يتمكّن، ليُنقذ ثقافتَه على الأقل**».

وها هو الشرق في مرحلةٍ متقدّمةٍ من صحوتِه. كُسِر الطَّوق، وتصدَّع القُمقُم.

لم يتحقّق بعدُ أملُ فصلِ مصيرِ الشّرق عن الغرب. واصلَ المستضعفون السّعيَ لذلك فقَطعوا أشواطاً ضوئيّة، وعلى الله قصدُ السّبيل.

شرطان لا بدّ منهما، ليُحقِّق الشّرقُ فصلَ مصيرِه عن الغرب:

١- الثّبات في خطّ البعثة النبويّة الخاتمة.

٢- الحذر من خطرِ الغزو الثقافيّ، وثوراته المضادّة.

***

لا ثباتَ في خطِّ البعثة، إلّا بالتمسُّك بالكتاب والعترة «**ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً**».

ولا يتحقّق واجبُ توحيد الأمّة المقدّس، إلّا إذا أيقنَ الجميع وتصرّفوا على أساس ما يعتقد به الشّيعة والسنّة: لا يستمرّ في مسار البعثة، بل ولا يؤمن بالبعثة وسيّدِ النبيّين، مَن لا يحبُّ أهلَ البيت عليهم السلام.

«النّواصب» ليسوا مسلمين. إنّهم الوجهُ الآخر للغدّة السّرطانيّة التي تُطيل ليلَ الجسدِ الواحدِ بضروبِ المعاناة، وتَحولُ بينَه وبين السّلامة والمعافاة.

فرادةُ توحيد محمّد صلى الله عليه وآله، هي السببُ في أمرِ الله تعالى بالوصول إليه من طريقِ خيرِ الخَلْق وسيّدِ الأنبياء والأوّلين والآخرين: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ .. ﴾ آل عمران:٣١.

فرادةُ محمّديّة أهل البيت عليهم السلام أنّهم التجلّي الأتمّ للشّهادتين: لله تعالى بالوحدانيّة وللنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بالنبوّة.

لذلك أمر اللّه تعالى، وأجمع المسلمون على ما أمَر: واجب «**المودّة في القُربى**» في خطٍّ «**أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد**».

***

ينطلق الحذرُ من الغزو الثقافي من أصلَين: إدراك خطورته أوّلاً بحيث إنّه مصدر سائر المَخاطر. والحذر الشديد والمنهجيّ من الثورة المضادّة التي شنَّها الغرب إثرَ استشعارِه أنّ المشروعَ الإسلامي -في هذا المقطع القصير من عمر الزّمن- أحرز التّقدّمَ القياسيّ في مجال عالميّة الإسلام.

بعيداً عن تسطيح الأمور تحت عناوين ثبّتَ الغزو الثقافيّ تنميطَها وصنميّتَها، من قبيل «**عقدة المؤامرة**» أو «**الإنفتاح بلا حدود**»، وبعيداً عن صنميّة مفاهيم التحجّر من قبيل «**التوكّل**» الأعمى، أو «**الثّقة بوعد الله**» دون الأخذ بأسباب القوّة في جميع الميادين، بعيداً عن هذين البُرقُعَين، يجب التّنبُّه للخُطط الثّقافيّة المُعادية، والأموال الطّائلة التي تُرصَد لمراكز الدراسات والأبحاث -خصوصاً في مجال الإدارة- وتُرصَد لأُطُر «التّنمية» وغيرها، مروراً بستار نشرِ «الإسلام الدّيمقراطي» كما فعلت مؤسّسة «راند» وصولاً إلى الفيلم والرّواية وكلّ سموم الإعلام والإعلان.

عندما يصل انفتاحُ التربويّ في مدرسةٍ إسلاميّة –مثلاً- إلى حدّ التقليد في المناهج الدراسيّة وعلم الإدارة، فمَعنى ذلك أنّ هذا التّربويّ خارج مشروع الأمّة واستمرار البِعثة وإنْ صامَ وصَلّى، أو خطّطَ لإقامة الصّلاة في وقتِها في المدرسة، خلافاً للسّائد لشديد الأسف.

تجدُر الإشارة إلى أنّ وزير الثقافة الأميركيّ أصدر قبل سنوات قراراً بمنعِ الإختلاط بين الجنسين في المدارس بسبب انخفاضِ معدّلات الطلّاب الدراسيّة، وما تزال بعضُ المدارس الإسلامية -وربّما المعاهد الدينيّة- تقلّدُ الغرب في هذا المجال.

***

بعد تحقيقِ سَلامة المسار في خطّ البِعثة، وتأمين الحذرِ من الغَزو الثّقافي، تقعُ مسؤوليةُ إبلاغِ خطاب البِعثة النبويّة إلى العالَم المتعطّشِ إلى حنانِ الوَحي والرّحمة الواسعة، وثقافةِ العدل ونُصرةِ المظلوم، ورفعِ الظّلم، وإحقاقِ الحقّ.

مهمّةُ إبلاغ الخطابِ النّبويّ إلى العالمين، رهنُ «**اليقين الثّقافي**» المُبرّأ من شوائب التّبعيّة والهَجانة الثقافيّة.

من خصائص «**اليَقين الثّقافي**» أنّ البشريّة بحاجة إلى «البِعثة»، ومن خصائص «**الإستلاب الثقافي**» أنّنا لا نملكُ ما يملكُه الغَرب، خصوصاً في مجالات التّربية والإدارة، وعلم النّفس.

* قال الإمام الخامنئي دام ظلّه: «**إنَّ كلَّ فضيلة موجودة في العالَم اليوم، منشأُها تلك البعثة المباركَة وإقامة مكارم الأخلاق من قِبل ذلك النّبيّ العظيم** ﷺ ".." **نبيُّ الإسلام** ﷺ **مُعلّمُ الحسنات كلِّها، معلّمُ العدالة، معلّمُ الإنسانيّة، معلّمُ المعرفة، معلّمُ الأُخوّة، معلّمُ نُموّ جميع البشريّة وتكاملها، حتّى نهاية التّاريخ. مَتى تستطيعُ البشريّة أن تتصوّر وقتاً تكون فيه غنيّةً عن هذه الدروس. البشريّة مُحتاجة لدروس وتعاليم نبيِّ الإسلام محمّد** ﷺ. ".." **إنّ سبيلَ مواجهة الغزو الثقافيّ الذي تقودُه جبهةُ الإستكبار يَكمنُ في توسيع رسائلِ الثّورة الإسلاميّة وترسيخِها في المجالاتِ الأخلاقيّة، والسّلوكيّات الفرديّة والإجتماعيّة، والمُعتقدات الدّينيّة، والقضايا السياسيّة**».

لا يشهدُ للنبيّ الأعظم ﷺ بهذه المَنزلة، مَن يبحث عن المناهج التربويّة الغربيّة -أو الإداريّة- لِيُسبِغَ على الإسلام من حَداثتِها، بل ويسدَّ بها ما يتصوّرُه نقصاً في المناهج!

حصونُ خَيبر
ساحة المعركة الفاصلة مع اليهود

منظر عام لجانب من حصون خيبر

تحقيق: أحمد الحسيني

ما إن نذكر حصون خيبر في الحجاز، حتى نتذكّر التّاريخ والتّحوّلات السّياسيّة التي طرأت في شبه الجزيرة العربيّة بعد انتصار المسلمين على اليهود الذين نقضوا العهود وتآمروا على النّبيّ صلى الله عليه وآله، وحاولوا مع المشركين القضاء على الدّين الحنيف. وقد انقلب ميزان القوى لصالح المسلمين بعد فتح مكّة، هذا الفتح الذي مهّد له دكُّ حصون خيبر بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحقيق الإنتصار على يد أمير المؤمنين عليه السلام بإجماع كلّ المؤرّخين.

خيبر اليوم محافظة إداريّة تابعة للمدينة المنوّرة، تقع إلى الشّمال منها على بعد ١٧٠ كيلومتراً، بمحاذاة الطّريق الدّوليّة المؤدّية إلى تبوك وبلاد الشّام وتركيا.

ترتفع عن سطح البحر ١١٧٣ متراً، وتُعدّ محطّة مهمّة للحجّاج القادمين إلى المدينة من تلك البلاد، لكن ما يشدّ الزّائر إلى هذه المنطقة هو أطلال البلدة القديمة، أو ما يُسمّى محلّيّاً بخيبر القديمة، أو «نخيل خيبر» كما يقول عامّة النّاس.

يتكوّن سطح محافظة خيبر بصفة عامّة من الحرّات النّاشئة بفعل الثّورات البركانيّة التي حدثت في عصور جيولوجيّة قديمة.

ومنطقة خيبر عبارة عن منخفض واقع بين حافّتَي حرّة بركانيّة اشتُهرت بنخيلها الممتاز، وبأرضها الخصبة التي غذّتها الينابيع والعيون الكبيرة والصّغيرة دائمة الجريان، والتي تُستغلّ في سَقي واحاتِ النّخيل، منها: عين اللّجيجة، وعين البركة، وعين عليّ.

تبلغ المساحة الإداريّة لمحافظة خيبر ٢٦٠ كيلومتراً تقريباً، وهي تشمل -إلى مدينة خيبر- مُدُناً صغيرة تتّسع باستمرار، أهمُّها: القاعدة (الشُّريف)، ويبلغ عدد سكّان المحافظة أكثر من ٥٨ ألف نسمة.

هذا وتُعدُّ محافظة خيبر من أكبر الواحات في زراعة النّخيل، ويُعدّ

التّمر ماضياً وحاضراً أهمّ إنتاجها الزّراعي، وهو يلي تمر «هَجَر» من حيث الجودة، وقد امتدحه –مقتبساً من المثل: كحاملِ التّمر إلى هجر– حسّانُ بن ثابت في قوله:

وإنّا ومَن يهدي القصائدَ نحونا كمستبضعٍ تمراً إلى أهل خيبرا

وإلى جانب التّمر تنتج مزارعها القمح والشّعير والذّرة وبعض الخضروات والفواكه، وتعمل النّساء ببعض الحِرَف الشّعبية كصناعة المنتوجات الصّوفيّة، والمرواح اليدويّة.

واجهة إحدى قلاع «خيبر»

وتُعدّ خيبر بلدةً سياحيّةً نظراً لِمَا تزخر به من المواقع الأثريّة والحصون والقلاع القديمة، ويتّخذ موقع خيبر الأثري أهميّة تاريخيّة وبُعداً معنويّاً، لِما جرى على أرضه من أحداث، حيث وقعت الغزوة المشهورة، وفيه الكثير من الحصون وبيوت الطّين القديمة.

خيبر في التّاريخ

خيبر لغةً: يرى بعض الإخباريّين العرب، كالحموي والبكري، أنّ خيبر لفظ عبراني معناه الحصن، ورأى آخرون أنّ التّسمية نسبة إلى رجلٍ اسمُه «خيبر بن قانيه»، كان أوّل من استقرّ فيها.

وورد في (لسان العرب) لابن منظور: «الخَبْرُ: أَن تزرع على النّصف أَو الثّلث من هذا وهي الـمُخابَرَةُ واشتقَّت من خَيْبَرَ، لأَنّها أوّل ما أُقْطِعَتْ كذلك؛ والـمُخابَرَةُ المزارعة ببعض ما يخرج من الأَرض وهو الخِبْرُ أَيضاً ... وقيل هو من الخَبارِ الأَرض اللّيّنة.

ويرى بعض المستشرقين أنّ كلمة «خيبر» عبرانيّة الأصل، معناها الطّائفة والجماعة، في حين يرى قسم آخر منهم أنّ معناها الحصن والمعسكر، وقِيل إنّ معناها «الكيبوتس» أو المستعمرة.

المستوطنون الأوائل: يُعتقَد أنّ أوّل مَن سكن خيبر هم العماليق من العرب البائدة قبل الإسلام. كما ورد اسم خيبر ضمن المناطق التي استولى عليها الملك البابلي «نابونيد» وكانت تابعة لُملكه، وذلك خلال الفترة من (٥٥٥ إلى ٥٣٩ قبل الميلاد)، حين غزاهم مع جماعة من اليهود الذين حلّوا محلّهم في سُكنى خيبر، وفي بعض النّواحي المجاورة في الجزيرة العربيّة مثل مدينة يثرب. ويرى فريقٌ آخر أنّ هجرتهم إليها كانت زمن «نبوخذ نصّر» الذي شرّدهم ودمّر هيكلهم في القرن السّادس قبل الميلاد. وفي

أطلال بيوت الطين المحيطة بالحصون

مرحلة ثانية وصل اليهود إلى خيبر بعد دخول الرّومان إلى بلاد الشّام وتشتيتهم لليهود في أنحاءٍ متفرّقة من العالم، ومنها بلاد الحجاز وذلك زمن «هيدريان» الإمبراطور الرّوماني.

ومن المؤكّد أنّهم سكنوها في القرن الثّاني الميلادي، ففي العام ١٣٨ للميلاد، دخلتها ثلاث قبائل يهوديّة هي: قُرَيظة والنّضِير وقَيْنَقاع، وكان عدد نفوسهم بداية الإسلام يقارب العشرين ألفاً، بينهم عدد كبير من المقاتلين الأشدّاء.

***

حصون خيبر القديمة: عندما استوطن اليهودُ خيبر، أقاموا فيها حصوناً تحميهم من غارات الأعراب، ومن غارات مرتقَبة من أعدائهم، فأقاموها في أعالي الجبال، وسط الصّخور، وأحاطوها بالأحجار الصّلبة، وأغلقوا منافذها بأبواب حديديّة وخشبيّة يصعب قلعُها، فكانت تلك الحصون أشبه بمستعمرة سكنيّة محصّنة تحصيناً منيعاً، تسمح لهم الإقامة فيها على نحوٍ آمِن، وما زالت آثار تلك الحصون ماثلة إلى اليوم، وما زالت تحتفظ بأسمائها القديمة.

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرَين، شطرٌ فيه خمسة حصون، وهي: حصنُ ناعم، حصن الصّعب بن معاذ، حصن قلعة الزّبير،

حصن أبيّ، حصن النّزار، والحصون الثلاثة الأُولى تقع في منطقة يقال لها (النّطاة)، وأمّا الحصنان الآخران فيقعان في منطقة تسمّى بالشّق.

أمّا الشطر الثاني ويُعرف بالكتيبة، ففيه ثلاثة حصون فقط: حصن القموص أو حصن بني أبي الحقيق، حصن الوطيح، حصن السّلالم.

واحد من بساتين النخيل التي تشتهر بها منطقة خيبر

***

أمّا مساجدها القديمة -بعد فتح خيبر- **فمسجد رسول الله** صلى الله عليه وآله: وهو المكان الذي صلّى فيه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله طوال مقامه بخيبر، ولهذا المسجد رحابٌ واسعة وفيه الصّخرة التي صلّى عليها النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكان المسلمون يصلُّون فيه صلاة الأعياد.

ومسجد عليّ عليه السلام: ما زال ماثلاً يُصلّى فيه تحت الحصن الذي فتحه الإمام عليه السلام، والمسلمون يزورونه.

وفي خيبر مقابر شهداء غزوة خيبر، وتقع على بُعد ما يقارب خمسة كيلومترات على الطّريق المؤدّي إلى الصّفق الأحمر. وهناك كثير من الآثار في منطقة خيبر الأثريّة وبالقرب منها، وبعضها يشبه القُرى، ولكن لا تُعرف أسماء كثير منها.

غزوة خيبر

كانت حصونُ خيبر من أعظم وأكبر التّجمّعات اليهوديّة في الجزيرة، وقد تابع يهود خيبر بقلقٍ بالغ أنباء مواجهات الرّسول مع يهود بني قَيْنَقاع وبني النَّضير وبني قُرَيْظة، وتأثّروا بما أصابهم، وتعاطفوا معهم حتّى صارت حصونُهم ملجأً للكثير من اليهود، ممّا حوَّلها مع الأيّام إلى قاعدة لِمَن يَتربّصون الدّوائر بالنّبيّ وآله ومَن والاه، وصارت أعظم خطرٍ يهدِّد الإسلام. ويُقال إنَّ يهود خيبر جنَّدوا عشرة آلاف مقاتل يتمّ استعراضهم يوميّاً، وقدَّروا أنّهم بهذه العدَّة والعدد سيكونون أوّل مَن يُلحِق هزيمة ساحقة بالمسلمين.

وبعد أن فتح الله على نبيّه صلى الله عليه وآله في صلح الحُديبية ذلك الفتح المبين، وحقَّق انتصاره السّياسي، وأذعنت قريش لمكانته وهي عدوَّته اللَّدودة، واعترفت بحقِّه باستقطاب العرب حوله، عندئذٍ قدَّر النّبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ الفرصة ملائمة لمواجهة أخطر وأقوى ما تبقّى من خصومه؛ وهم يهود خيبر. وبعد إتمام الإستعدادات وفي شهر صفر من السّنة السّابعة للهجرة، زحف جيش المسلمين -وقوامه ١٤٠٠ راجل ومائتا فارس- نحو خيبر ودخلوها عن طريق مرحب [إسم الطريق]، وفي الطّريق بلغهم أنَّ قبائل غطفان الكبيرة قد تحالفت مع اليهود على حربهم مقابل تمر خيبر لِسَنة، غير أنّها خافت بعدئذٍ عواقب أمرها، فاجتنبت حمايتها لهم.

الإقتراب من خيبر

ذكر ابن إسحاق بإسناده، عن بعض من شهد المعركة أنّه قال:

النوافذ على جانبَي الممر تطلّان على داخل الحصن وخارجه

«خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر حتّى إذا كنّا قريباً منها وأشرَفنا عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **قِفوا**، فوقف النّاس، فقال: **أللّهمّ ربَّ السّماوات السَّبع وما أظلَلْنَ، وربّ الأرضين السّبع وما أقْلَلْنَ، وربّ الشّياطين وما أضلَلْنَ، إنّا نسألُكَ خير هذه القرية، وخيرَ أهلها، وخيرَ ما فيها، ونَعُوذ بك من شرِّ هذه القرية، وشرِّ أهلها، وشرِّ ما فيها.. أقدِموا باسم الله**».

وصل الجيش الإسلامي إلى خيبر ليلاً، فعسكروا حولها، فلمّا طلعت الشّمس، وأصبح اليهود، فتحوا حصونهم وغدوا إلى

أعمالهم، فلمّا نظروا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: محمّدٌ والخَميس -أي الجيش- وولّوا هاربين إلى حصونهم.

فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، خَرِبت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فَساء صباحُ المُنذَرين**»، فحاصرهم بضع عشرة ليلة، وكان أوّلُ ما افتُتح من حصونِهم حصنُ ناعم ثمّ القموص، ثمّ حصن الصعب بن معاذ، ثمّ الوطيح والسّلالم، وكانا آخر حصون خيبر افتتاحاً، وقِيل إنّ «القموص» -أعظم حصون خيبر وأمنعُها- هو الذي استعصى على المسلمين، ففتَحه أمير المؤمنين عليه السلام بمفرده، وقيل إنّه حصنُ «ناعم»، ومن بعده تهاوت بقيّة الحصون واستسلم مقاتلوها.

إحدى عيون الماء الكثيرة المحيطة بالحصون

إعطاءُ الراية لعليٍّ عليه السلام

بعث رسول الله ﷺ أحد الصّحابة برايته -وكانت بيضاء- لفتح خيبر، ولكن رجع هذا ولم يَكُ فتحٌ وقد جهِد. ثمّ بعث ﷺ في الغد رجلاً آخر برايته ومعه النّاس، فلم يلبثوا أن هُزِموا، وجاؤوا يجبِّنُون حامل رايتهم وهو يجبِّنُهم.

وخرجت كتائب اليهود يتقدّمهم ياسر أو ناشر -أخ مَرْحب- فكشفت الأنصار حتّى انتهوا إلى رسول الله ﷺ، فاشتدّ ذلك على رسول الله، وقال ﷺ: «**لَأُعطيَنّ الرّاية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَه، ويُحبّه اللهُ ورسولُه، كرّار غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه**»، فتطاولت الأعناق لترى لِمَن يعطي الرّاية، ورجا كلّ واحد من قريش أن يكون صاحب الرّاية.

وكان الإمام عليّ عليه السلام أَرْمَد العين، فدعاه ﷺ، فقيل له: إنّه يشتكي عينيه، فلمّا جاء الإمام عليه السلام أخذ ﷺ من ماءٍ فيه، ودَلّك عينيه، فبَرِئتا حتّى كأن لم يكن بهما وَجَع.

ثمّ قال ﷺ: «**أللّهمّ اكفِه الحرّ والبرد**»، فما اشتكى من عينَيه، ولا من الحرّ والبرد بعد ذلك أبداً، فعقد ﷺ للإمام عليه السلام ودفع الرّاية إليه، وقال له: «**قاتِل ولا تلتفِت حتّى يفتح الله عليك**».

فقال الإمام عليّ عليه السلام: «**يا رسول الله، علامَ أُقاتلهم**»؟

فقال ﷺ: «**على أن يشهدوا أنْ لا إله إلّا الله، وأنّي رسولُ الله، فإذا فعلوا ذلك حقنوا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها، وحسابهم على الله عزّ وجلّ**».

وبهذه المناسبة نظم حسّان بن ثابت قصيدته المعروفة، التي يقول في مطلعها:

وكان عليٌّ أرمدَ العين يبتغي ... دواءً فلمّا لم يحسّ مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلةٍ ... فبورِك مرقِيّاً وبورِك راقِيا

شيّدت الحصون في أعالي الجبال ووسط الصخور الصّلبة

خروج أمير المؤمنين عليه السلام

قال سلمة بن الأكوع: فخرج [الإمام عليه السلام] واللهِ يُهرول وأنا خلفَه، نتّبع أثرَه، حتّى ركز رايته تحت الحصن، فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: «**أنا عليّ بن أبي طالب**»، فقال اليهودي لبني قومه: غُلِبتم وحقّ موسى.

وقال ابن الأثير: فنهض [أي الإمام عليّ] بالرّاية وعليه حُلّةٌ حمراء، فأتى خيبر فأشرف عليه رجلٌ من اليهود، فقال: من أنت؟ قال: **أنا عليّ بن أبي طالب**. فقال اليهودي: غُلِبتُم يا معشرَ اليهود! وخرج إليه أهل الحصن، وكان أوّل مَن خرج إليه أخ مَرْحب وكان فارساً شجاعاً، فانكشف المسلمون وثبت الإمام عليّ عليه السلام، فتضاربا فقتله الإمام عليّ عليه السلام، وانهزم اليهود إلى الحصن. فلمّا عَلِم مَرْحَب بمقتل أخيه نزل مسرعاً وقد لبس درعَين وتقلّد بسيفَين واعتمّ بعمامتَين، ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد أثقبه قدر البيضة لعينيه، ومعه رمح لسانه ثلاثة أشبار، وهو يرتجز ويقول:

قَدْ علِمَت خَيْبَرُ أنِّي مَرْحَبُ شَاكي السّلاح بَطلٌ مُجرّبُ
أطعنُ أحياناً وحِيناً أضرِبُ إذا اللُّيوث أقبلَتْ تَـلتَهِـبُ

فردّ عليٌّ عليه السلام عليه، وقال:

أنَا الذي سَمّتْني أُمّي حَيْدَرهْ أكِيلُكُم بالسَّيف كَيل السَّندَرَهْ

لَيثٌ بِغابَاتٍ شَديد قَسوَرَهْ

[وحيدرة: اسم من أسماء الأسد]، فاختلفا ضربتَين، فبَدَره الإمام عليّ عليه السلام فضربه فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه، حتّى وقع السَّيف في أضراسه فقتله. فكبّر الإمام عليّ عليه السلام وكبّر معه المسلمون، فانهزم اليهود إلى داخل الحصن وأغلقوا باب الحصن عليهم، وكان الحصنُ مُخندقاً حوله، فتمكّن الإمام عليّ عليه السلام من الوصول إلى بابَ الحصن، فعالَجه وقلَعه، وأخذ باب الحصن الكبير العظيم الذي طوله أربعون ذراعاً، فجعله جسراً فعبر المسلمون الخندق، وظفروا بالحصن وبِمَن فيه.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**انتهى -أي عليّ عليه السلام- إلى باب الحصن، وقد أُغلق في وجهه، فاجتذبه اجتذاباً وتترّس به، ثمّ حمله على ظهره، واقتحم الحصن اقتحاماً، واقتحم المسلمون والباب على ظهره، فوالله ما لقيَ عليٌّ من النّاس تحت الباب أشدّ ممّا لقيَ من الباب، ثمّ رمى بالباب رمياً**».

صورة لمدينة خيبر المستحدثة

وقد حاول حمل هذا الباب أربعون رجلاً فلم يتمكّنوا، حتّى تكاملوا سبعين فتمّ لهم حملُه، قال ابن أبي الحديد المعتزلي في ذلك:

يا قالعَ الباب التي عن هزِّها عجزتْ أكُفٌّ أربعون وأربعُ

فلمّا فرغ عليه السلام من فتح خيبر، قال: «**والله ما قلعتُ بابَ خيبر**

إطلالة من داخل إحدى القلاع على القلعة المجاورة

وقذفتُ به ورائي أربعين ذراعاً -لم تحسّ أعضائي- بقوّةٍ جسديّة وحركة غريزيّة بشريّة، ولكنّي أُيّدت بقوّة ملكوتيّة، ونفسٍ بنور ربهّا مضيئة، وأنا مِن أحمد صلى الله عليه وآله كالضَّوء من الضَّوء، لو تظاهرت العربُ على قتالي لَما ولّيت، ولو أردتُ أن أنتهز فرصةً من رقابها لَما بَقِيَتْ، ومَن لم يبالِ متى حتْفُه عليه ساقط، كان جَنانه في المُلمّات رابِط».

قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فَتحتُ خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف مِن أُمّتي ما قالت النّصارى في عيسى ابن مريم، لقلتُ فيك اليوم مَقالاً بحيث لا تمرّ على ملأٍ من المسلمين إلّا أخذوا من تراب رجلَيك وفضل طهورك؛ يستَشفُون به «..» وأنت أوّل داخلٍ في الجنّة من أُمّتي، وإنّ شيعتك على منابرٍ من نور، رواء مرويُّون مُبيضّة وجوههم حولي «..» وإنّ الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أُبشّرك أنّك أنت وعترتك في الجنّة، وعدوّك في النّار، لا يَرِد عليَّ الحوض مبغضٌ لك، ولا يغيب عنه محبٌّ لك**».

قال عليّ عليه السلام: «**فخررتُ ساجداً لله تعالى وحمدتُه على ما أنعمه عليّ من الإسلام والقرآن، وحبّبني إلى خاتم النبيّين وسيّد المرسلين صلى الله عليه وآله**».

فرحتان في وقتٍ واحد

ولمّا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة إلى المدينة، فقال: «**ما أدري بأيّهما أنا أَسَرُّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟**»، ورُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا استقبل جعفراً التزمَه ثمّ قبّل بين عينيه**».

المراقبات، أبرز خصائص «خطّ الإمام»

لم تلتق القلوب المؤمنة على مصطلح «**خطّ الإمام**» إلّا لأنّها وجدت فيه التّجلّي الأفضل لسيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كانت العبادة في سيرتهم الأصل الحاضر أبداً في صراط ﴿**ليعبدون**﴾.

كان النّبيّ صلى الله عليه وآله كثير الصّلاة، والصّوم، وتلاوة القرآن الكريم، دائم الذّكر ﴿..قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ..﴾ آل عمران:١٩١ وكذلك كان أهل البيت عليهم السلام.

على هذا تعاقبت سِيَرُ أجيال الصّحابة والتّابعين وسائر الأبرار من المؤمنين، وفي طليعتهم فقهاءُ الأمّة عبر القرون، ولم ينتقل موقع «**المراقبات**» والأعمال العباديّة المؤقّتة بأوقات محدّدة، إلى خلفيّة الإهتمام وأقصى قَعْر الذّاكرة، إلّا جرّاء الحملات الثّقافيّة المُتمادية على هذه الأمّة، والتي نتجَ عنها كلّ الحملات العسكريّة والأمنيّة والإقتصاديّة وغيرها.

مع الإمام الخميني أدرَكت الأمّة أنّ سيرتَه تجلٍّ بارزٌ لسيرة النّبيّ وآله، وتواصلٌ لا قطع فيه ولا شائبة قطعٍ مع سِيَر المؤمنين عبر الأدوار والأحقاب.

أدرك أهل صلاة اللّيل وصلاة جعفر، والذّكر الكثير، والنّوافل، وأهل رجب وشعبان، وشهر رمضان، وأهل الحرارة التي لا تبرد في قلوب المؤمنين على سيّد الشهداء، أنّ إسلام الإمام الخميني -من بين كلّ الطّروحات الحميدة باسم الإسلام- هو الأكمل والأشمل.

في هذا الجوّ طُرِح مصطلح «**خطّ الإمام**». وكان من الطّبيعيّ جداً أن تتعدّد المشارب، وتتشعَّب المسارب والدّوافع في مجال الإستجابة لهذا الشّعار، وتشمل حتّى غير المتديّنين، وهذا ما حصل في البدايات على الأقلّ.

كثيرون هم الذين ساروا مع الموج السّياسي الذي تلاطم بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة في إيران، ورفعوا شعار «**خطّ الإمام**» ومنهم «**كيانوري**» رئيس الحزب الشّيوعي الإيراني.

وكثيرون هم المتديّنون -داخل إيران وخارجها- الذين التزموا هذا الشّعار بوحي قناعاتهم الدّينيّة، إلّا أنّهم لم يلتقطوا جميعاً سرّ «**خطّ الإمام**»، فإذا هم خطوطٌ شتّى ﴿..كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ المؤمنون:٥٣. الإصلاحيّون. المحافظون. جماعة «روحانيّون» وجماعة «روحانيّت». اليمين. اليسار. الإعتدال. المقلِّدون للإمام، والملتزمون لخطّه ونهجه دون تقليد. الثّابتون في خطّه مع وليّ الأمر الإمام الخامنئي. والمُقيمون على خطّه ونهجه دون البيعة العمليّة لوليّ الأمر بعد الإمام.

كان المرجع الدّيني النّوعي الشّهيد السّعيد السيّد محمّد باقر الصّدر، سبّاقاً إلى التقاط سرّ الذّوبان في الإمام الخميني، وسبّاقاً إلى الجهر بالدّعوة إلى الذّوبان في هذا السّرّ الخميني الأصيل، حين قال: «**ذوبوا في الخميني بقدر ما ذاب هو في الإسلام**».

سرّ «**خطّ الإمام**» هو الأصالة والجامعيّة، أو فقُل «الأصالة المكتملة» في مقابل الأصالة التجزيئيّة الإنتقائيّة.

أبرز خصائص ذوبان الخميني في الإسلام، أنّه من مدرسة العمل بالإسلام، لا من مدرسة التّنظير للإسلام والكلام عنه، وأبرزُ خصائص الإسلام العملي، أو العمل بالإسلام، حسنُ الإقتداء بسيّد النّبيّين وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم، في تغليب العبادة العمليّة بمعنى الصّلاة والصّوم وقراءة القرآن، والذّكر والورد على كلّ الأبعاد العمليّة الأخرى، رغم أنّ معنى العبادة يُمكن أن يشمل حتّى المباحات التي يُؤتى بها بنيّة القربة للإستعانة بها على المزيد من طاعة الله تعالى، وعبادته سبحانه.

هذا هو خطّ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ الحجر:٩٩، خطّ «**الجهاد الأكبر**» الذي يُرجع إليه من ميادين الجهاد الأصغر. خطّ الأعمال العباديّة المؤقّتة الموزّعة على مساحة العمر والزّمن، التي أراد الله تعالى أن تكون في طليعة الإهتمام، وواجهة الثّقافة وجوهرها. ينظّم المؤمن سائر أعماله على ساعتها، مراعياً التّدرّج، ليتحقّق الإيغال برفق: «**إنّ هذا الدّين متين، فَأَوْغِلْ فيه برفق**».

ما تقدّم -وما سبقه في العدد الماضي- هو بعضُ الكلام عن مسوّغات بل ضرورات مزيد العناية بباب «**مراقبات**»، وتظهير موقع «**المراقبة**» من عمليّة التّثقيف بالإسلام، وهو لا يحمل أيّ ادّعاء بتطبيق هذا المنهج. والله خير الشّاهدين.

مراقبات شهر رجب

إعداد: «شعائر»

من أهمّ المناسبات

*** المبعث النّبوي الشّريف في اليوم السابع والعشرين.**
*** ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة المشرَّفة في اليوم الثالث عشر.**

أبرزُ الأعمال

*** إحياء اللّيلة الأولى، وليلة النّصف منه. * عمل الإستفتاح (أم داود).**
*** أعمال ليلة المبعث ويومها. * الصّوم. * صلاة سلمان. * الإستغفار، وقراءة التّوحيد، والذّكر البديل.**

إقبال الأعمال: فكُن مقبلاً على مواسم هذا الشّهر بعقلِك وقلبك، ومعترفاً بالمراحل والمكارم المودَعة فيك من ربِّك، واملأ ظهور مطاياه من ذخائر طاعتِك لمولاه، وممّا يسرّك أن تلقاه، واجتهد أن لا تبقى في المنزل الذي تعلم أنّك راحلٌ عنه.

الأعمال العامّة

الصّوم

عن رّسول ﷺ: «**مَن صام ثلاثة أيّام من رجب كتب الله له بكلّ يوم صيامَ سنة، ومَن صام سبعة أيّام من رجب غُلِّقت عنه سبعةُ أبواب النّار، ومَن صام ثمانية أيّام فُتِحت له أبواب الجنّة الثّمانية، ومَن صام خمسة عشر يوماً حاسبَه الله حساباً يسيراً، ومَن صام رجب كلَّه كتب الله له رضوانَه، ومَن كتب له رضوانَه لم يُعذّبه**».

الإستغفار

* عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَن قال في رجب أستَغْفِرُ اللهَ الّذي لا إلَهَ إلّا هُوَ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأَتُوبُ إلَيْه مائة مرّة، وختمَها بالصّدقة ختم اللهُ له بالرّحمة والمغفرة، ومَن قالها أربعمائة مرّة كتب الله له أجر مائة شهيد، فإذا لقي الله يوم القيامة يقول له: قد أقررتَ بمُلكي فتَمَنَّ عليّ ما شئت حتّى أعطيك، فإنّه لا مقتدرَ غيري**».

* وفي رواية مَن استغفر الله تعالى في رجب وسأله التّوبة سبعين مرّة بالغداة وسبعين مرّة بالعشيّ يقول: **أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيه**، فإذا بلغ تمام سبعين مرّة رفع يديه وقال: **اَللّهُمَّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ** فإن مات في رجب مات مرضيّاً عنه ولم تمسّه النّار ببركة رجب.

التهليل

النّبيّ ﷺ: «**مَن قال في رجب لا إله إلّا الله ألف مرّة، كتب الله له مائة ألف حسنة، وبنى الله له مائة مدينة في الجنّة**».

قراءة سورة التّوحيد

* من قرأ في يوم الجمعة من رجب **سورة التوحيد** مائة مرة كان له نوراً يوم القيامة يسعى به إلى الجنّة.

* عن الرسول الأكرم ﷺ: «**مَن قرأ في عمرِه عشرة آلاف مرّة قل هو الله أحد بنيّةٍ صادقة في شهر رجب، جاء يوم القيامة خارجاً من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، فيستقبله سبعون ملكاً يبشّرونه بالجنّة**».

التسبيح، الذّكر البديل

عن رسول الله ﷺ: «**ألا إنّ رجب شهر الله الأصمّ** –وذكرَ صيامَه وما لصيام أيّامه من ثواب–، قيل: يا رسول الله، فمَن لم يقدر على هذه الصّفة، يصنع ماذا لينال ما وصفت؟ قال: **يسبّح الله تعالى في كلّ يوم من رجب إلى تمام الثلاثين بهذا التّسبيح مائة مرّة: سُبْحَانَ الإلَهِ الجليل، سُبْحان من لا ينبغي التسبيحُ إلّا لهُ، سبحانَ الأعزّ الأكْرَم، سُبحان مَنْ لَبِسَ العزَّة وهو لَهُ أهل**.

الصّلاة

صلاة سلمان رضي الله عنه، يؤتى بها في أيٍّ من ليالي رجب، [أنظر: «كتاباً موقوتا» من هذا العدد تحت عنوان: صلاة أخرى تُعرف أيضاً بصلاة سلمان].

وهذه الصلاة هي غير الصلاة المعروفة أيضاً بإسم «**صلاة سلمان**» والتي يؤتى بها على ثلاث دفعات؛ في أوّل الشهر، وفي منتصفِه، وفي آخره، وأيضاً غير «صلاة سلمان» التي تُؤدّى في اليوم الأوّل كما يأتي.

العمرة الرّجبيّة

قال الشيخ الطّوسي عليه الرحمة والرضوان: «ويستحبّ العمرة في رجب، وروي عنهم عليهم السلام أنّ العمرة في رجب تلي الحجّ في الفضل».

زيارة الإمام الرضا عليه السلام

ورغم هذه الأهميّة البالغة للعمرة الرجبيّة فإنّ الأفضل منها زيارة الإمام الرّضا عليه السلام في رجب، وعليه أيضاً تجمع كلمة العلماء، وقد عقد العلّامة الشيخ الحرّ العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) باباً تحت عنوان استحباب تقديم زيارة الرضا عليه السلام، وخصوصاً في رجب، على الحجّ والعمرة المندوبَين.

الدعاء

أنظر: باب «لولا دعاؤكم» من هذا العدد.

الأعمال الخاصّة

اللّيلة الأولى

١ - الدّعاء عند رؤية الهلال:

أ- رُويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان يقول: «**أللّهمَّ أَهِلَّه علينا بالأمْنِ والإيمانِ والسّلامةِ والإسلامِ، ربّي وربّك الله عزّ وجلّ**». ونفهم من روايات أخرى أنّ المخاطَب بالعبارة الأخيرة هو الهلال.

ب- ورُويَ أنّه صلى الله عليه وآله كان إذا رأى هلال شهر رجب، قال: «**أللّهمّ بارِك لنا في رَجَب وشعبان وبلِّغنا شهر رمضان، وأَعِنَّا على الصّيامِ والقيامِ، وحفظِ اللّسان، وغضِّ البصر، ولا تجعل حظَّنا منه** [من شهر رمضان] **الجوع والعطش**».

ج- **ومن المُستحبّات أن يقرأ عند رؤية الهلال فاتحة الكتاب سبع مرّات.**

د- ورُويَ أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا رأى الهلال **كبّرَ ثلاث مرّات وهللَّ ثلاثاً (لا إله إلّا الله)**، ثمّ قال: «**ألحمدُ للهِ الذي أَذهبَ شهر كذا** [ويذكر الشهر الماضي] **وجاء بشهر كذا** [ويذكر الشهر الذي حلّ]».

٢- إحياؤها بالعبادة:

رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن جدِّه عن عليٍّ عليه السلام، قال: «**كان يُعجبه أن يفرِّغ نفسه أربعَ ليالٍ في السّنة: وهي أوّل ليلة من رجب، وليلة النّصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النَّحر** [ليلة الأضحى]».

٣- الإغتسال:

ومن المستحبّات في هذه اللّيلة الغُسل، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن أَدرك شهر رجب فاغتسل في أوّله وأوسطه وآخره، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه**».

٤ - الصلاة في اللّيلة الأولى:

هناك صلاتان لأوّل ليلة من رجب.

أ- **الصلاة الأولى**: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن صلّى المغرب أوّل ليلة من رجب ثمّ يصلّي بعدها عشرين ركعة، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) مرّة، ويسلّم بعد كلّ ركعتين، حُفِظ واللهِ في نفسِه وأهله وماله وولده، وأُجيرَ من عذاب القبر، وجَازَ على الصِّراط كالبَرْق الخاطف من غير حساب**».

ب- **صلاة أخرى**: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن صلّى ركعتين في أوّل ليلة من رجب بعد العشاء، يقرأ في أوّل ركعة الحمد، و(ألم نشرح) مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، وفي الركعة الثانية الحمد مرّة، و(ألم نشرح) مرّة، والمعوِّذتين** [قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس] **كلّ واحدة مرّة، ثمّ يتشهّد ويسلّم، وبعدها يقول: «لا إله إلّا الله» ثلاثين مرّة، و«أللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد» ثلاثين مرّة، فإذا صلّى هذه الصلاة فإنّه يُغفر له ما سلف من ذنوبه، ويخرج من الخطايا كيوم ولدته أمُّه**».

وهناك صلوات أخرى تجدها في كتاب (الإقبال).

٥- دعاء اللّيلة الأولى:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تدعو في أوّل ليلة من رجب بعد عشاء الآخرة بهذا الدّعاء: أللّهمّ إنّي أسألك بأنّك مَليك، وأنّك على كلِّ شيءٍ مُقتدِر، وأنّك ما تشاء من أمرٍ يكون، أللّهمَّ إنّي أتوجَّه إليك بنبيّك محمّدٍ نبيِّ الرحمة صلواتُك عليه وآله، يا محمّدُ يا رسولَ الله إنّي أتوجَّه إلى الله ربّي وربّك لِيُنجح بك طلِبَتي، أللّهمّ بِنبيِّك محمّد، وبالأئمّةِ من أهلِ بيته أَنجِح طلِبتي**، ثمّ تَسأل حاجتك».

* ومن أبرز أعمال اللّيلة الأولى وكلّ ليلة من شهر رجب: **لا إله إلّا الله**، ألف مرّة.

ملاحظة: قد يتّفق أن تكون اللّيلة الأولى ليلة جمعة، فيعمل فيها بعمل ليلة الرغائب. [أنظر: «كتاباً موقوتاً» من هذا العدد]

اليوم الأوّل

١- **زيارة سيّد الشهداء** عليه السلام: قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه: «رُوي عن الصّادق عليه السلام: **مَن زار الحسين بن عليّ** عليهما السلام **في أوّل يوم من رجب، غَفَر اللهُ له البتّة**». [أنظر: مفاتيح الجنان، باب الزيارات، زيارته عليه السلام في الأول من رجب وفي النّصف منه ومن شعبان]

٢- **صوم اليوم الأول**: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن صام أوّل يوم من رجب وَجَبَت له الجنّة**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن صام ذلك اليوم** [أوّل يوم من رجب] **تباعدت عنه النار مسيرة سنة** "..."».

٣- **الصّلاة: يُؤتى في هذا اليوم بِصلاتين؛ كلتاهما تُعرفان بإسم «صلاة سلمان»**:

أ- [أنظر: «كتاباً موقوتاً» من هذا العدد تحت عنوان: صلاة سلمان رضي الله عنه في أوّل رجب وأوسطه وآخره]

ب- صلاة سلمان الثانية: «قال سلمان: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا سلمان، ألا أُعلّمك شيئاً من غرائب الكنز**، قلت: بلى يا رسول الله، قال: **إذا كان أوّل يوم من رجب، تصلّي عشر ركعات** [كلّ ركعتين بتسليمة] **تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرات، غفر الله لك ذنوبك كلّها من اليوم الذي جرى عليك القلم إلى هذه اللّيلة، ووقاك اللهُ فتنةَ القبر، وعذابَ يوم القيامة، وصَرف عنك الجُذامَ والمرضَ وذات الجَنب**».

اللّيالي البيض

١- **الصلاة**: رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أُعطِيتْ هذه الأمّةُ ثلاثة أشهر لم يُعطَها أحدٌ من الأُمم**: رجب، وشعبان، وشهر رمضان، **وثلاث ليالٍ لم يُعطَ أحد مثلها**: ليلة ثلاث عشرة، وليلة أربع عشرة، وليلة خمس عشرة من كلّ شهر، **وأُعطيت هذه الأمّة ثلاث سُوَر لم يُعطَها أحد من الأمم**: يس، وتبارك الملك، و(قل هو الله أحد)، **فمَن جمع بين هذه الثّلاث، فقد جَمع بين أفضل ما أُعطيت هذه الأمّة**. فقيل: كيف يجمع بين هذه الثلاث؟ فقال: **يُصلّي كلّ ليلة من ليالي البيض من هذه الثّلاثة الأشهر، في اللّيلة الثّالثة عشر ركعتين، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب، وهذه الثلاث سُوَر، وفي اللّيلة الرابعة عشر أربع ركعات، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب، وهذه الثلاث سُوَر، وفي اللّيلة الخامسة عشر ستّ ركعات، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب، وهذه الثلاث سُوَر، فيحوز فضل هذه الأشهر الثلاثة، ويُغفَر له كلّ ذنب سوى الشّرك**».

٢- **الصّوم**: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليٍّ عليه السلام: «**مَن صام الأيّام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، كَتب اللهُ له بصوم أوّل يوم صوم عشرة آلاف سنة، وبثاني يوم صوم ثلاثين ألف سنة، وبثالث يوم صوم مائة ألف سنة**، ثمّ قال: **هذا لك ولِمَن عمل ذلك**».

اليوم الثالث عشر، ولادة أمير المؤمنين عليه السلام

المراقبات: "..." وهو جَنبُ الله العليّ، ووجهُه المضيء، الإمام أبو الحسن عليّ عليه السلام.

فلأوليائه أن يعتقدوا ليوم ولادته كلّ شرف، ويجعلوه العيد الأكبر، ويشكروا الله جلّ جلاله شكراً لم يشكر مثلَه أحدٌ من الأُمم الماضية، والقرون السّالفة، لأنّ هذه النّعمة لم تنزل إليهم قطّ، ولشيعتِه أن يستقبلوا هذا اليوم بشكرٍ ليس دونه شكر، لأنّه أتى بنعمة صغُرت عندها كلّ النِّعم.

ملاحظة: يبدأ في اليوم الثالث عشر من رجب صوم الأيام البيض، لِمَن أراد أن يأتي بعمل (أم داود).

ليلة النِّصف من رجب

* **فضيلة ليلة النّصف من رجب**: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إذا كان ليلة النّصف من رجب أمر الله خازن ديوان الخلائق وكَتَبَة أعمالهم، فيقول لهم الله عزّ وجلّ: أُنظروا في ديوان عبادي، وكلّ سيّئةٍ وجدتْموها فامْحوها وبدِّلوها حسنات**».

* **من مستحبّات هذه اللّيلة**:

١- الغسل.

٢- إحياؤها بالعبادة حتّى الصّباح.

٣- زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٤- **صلاة الليلة الخامسة عشرة:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «**تُصلّي ليلة النّصف من رجب اثنتَي عشرة ركعة، تقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة وسورة، فإذا فرغت من الصّلاة قرأت بعد ذلك الحمد، والمعوّذتين، وسورة الإخلاص** [قل هو الله أحد]، **وآية الكرسي أربع مرّات** (سيأتي غير ذلك من رواية أخرى، فلاحظ).

وتقول بعد ذلك: سبحانَ الله والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا الله واللهُ أكبر، أربع مرّات. ثمّ تقول: أللهُ أللهُ ربّي لا أُشرِكُ به شيئاً، وما شاءَ اللهُ لا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيم. وتقول: في ليلة سبع وعشرين مثله».

وفي رواية أخرى: «**تقرأ بعد الاثنتي عشرة ركعة الحمد، والمعوّذتين، وسورة الإخلاص، وسورة الجحد سبعاً سبعاً. وبعد ذلك تقول: ألحمد لله الذي لم يتّخِذ ولداً، ولم يَكنْ له شريكٌ في المُلك، ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ، وكبِّره تكبيراً. ثمّ تقول بعد ذلك: أللّهمَّ إنّي أَسألك بِعَقْدِ عزِّك على أركانِ عرشِكَ، ومُنتهى رحمتِكَ مِن كتابِكَ، واسمك الأعظم الأعظم الأعظم، وذكرك الأعلى الأعلى الأعلى، وكلماتك التامات كلّها، أن تصلّي على محمّد وآله، وأسألُك ما كان أوفى بعهدك، وأقضى لحقّك، وأرضى لنفسك، وخيراً لي في المعاد عندك والمعاد إليك، أن تعطيني السّاعة السّاعة كذا وكذا. وتدعو بعد ذلك بما أَحبَبت».**

يوم النّصف من رجب

* **في يوم النّصف من رجب صلاتان:**

أ- صلاة عشر ركعات في نصف رجب من «صلاة سلمان الفارسي» التي تقدَّم ذكرها.

ب- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**دخل عديّ بن ثابت الأنصاري على أمير المؤمنين عليه السلام في يوم النِّصف من رجب وهو يصلّي، فلمّا سمع حسّه أومى بيده إلى خلفِه أن قِفْ.**

قال عديّ: فوقفتُ، فصلّى أربع ركعات لم أرَ أحداً صلّاها قبله ولا بعده، فلمّا سلّم بسط يده، وقال:

أللّهُمَّ يا مُذِلَّ كُلِّ جَبَّارٍ وَيا مُعِزَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ كَهْفِي حِينَ تُعْيِيني الْمَذاهِبُ وَأَنْتَ بارِئُ خَلْقِي رَحْمَةً بِي، وَقَدْ كُنْتَ عَنْ خَلْقِي غَنِيّاً، وَلَوْلا رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الهالِكِينَ، وَأَنْتَ مُؤَيِّدِي بِالنَّصْرِ عَلى أَعْدائِي، وَلَوْلا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ، يا مُرْسِلَ الرَّحْمَةِ مِنْ مَعادِنِها، وَمُنْشِئَ البَرَكَةِ مِنْ مَوَاضِعِها، يا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالشّمُوخِ وَالرِّفْعَةِ، فَأَوْلِياؤُهُ بِعِزِّهِ يَتَعَزَّزُونَ (يعتزّون)، وَيا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلى أَعْناقِهِمْ، فَهُمْ مِنْ سَطَواتِهِ خائِفُونَ؛ أَسْأَلُكَ بِكَيْنُونِيَّتِكَ الَّتِي اشْتَقَقْتَها مِنْ كِبْرِيائِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِكِبْرِيائِكَ الَّتِي اشْتَقَقْتَها مِنْ عِزَّتِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ الَّتِي اسْتَوَيْتَ بِها عَلى عَرْشِكَ، فَخَلَقْتَ بِها جَمِيعَ خَلْقِكَ فَهُمْ لَكَ مُذْعِنُونَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

قال: ثمّ تكلّم بشيءٍ خَفِيَ عنّي، ثمّ التفت إليّ، فقال: **يا عديّ أَسمِعت؟** قلت: نعم، **قال: أَحفظت؟ قلت:** نعم، **قال: ويحَك إحفظه وأعرِبه، فوالّذي فلق الحبّة، ونصبَ الكعبة، وبرأ النّسمَة، ما هو عند أحدٍ من أهل الأرض، ولا دعا به مكروبٌ إلّا نفّس الله كُربتَه».**

عمل «أم داود»، ودعاء الإستفتاح

في يوم النّصف من رجب يُؤتى بالعمل المعروف بعمل (أم داود) لدفع الظُّلم وتفريج الكرب، وينبغي التّأكيد فيه على الدّعاء بفكاك الأسرى. [أنظر: «السّنن المهجورة» من هذا العدد]

ليلة السابع والعشرين

* **صلاة مرويّة عن الإمام الجواد، قال عليه السلام: «في رجب ليلةٌ هي خيرٌ للنّاس ممّا طلعت عليه الشّمس، وهي ليلة سبع وعشرين منه، بُعث النبيّ في صبيحتِها، وإنّ للعامل فيها -أصلحك الله- من شيعتنا مثل أجر عمل ستّين سنة.**

قِيل: وما العمل فيها؟ قال: **إذ صلّيت العشاء الآخرة، وأخذتَ مضجعك، ثمّ استيقظت أيّ ساعةٍ من ساعات اللّيل كانت قبل زوالِه أو بعده، صلّيت اثنتَي عشرة ركعة، باثنتَي عشرة سورة من خفاف المفصل من بعد (يس) إلى (الجحد)، فإذا فرغت من كلّ شفع جلست بعد التّسليم، وقرأت الحمد سبعاً، والمعوّذتين سبعاً، و(قل هو الله أحد) سبعاً، و(قل يا أيّها الكافرون) سبعاً، و(إنّا أنزلناه) سبعاً، وآية الكرسي سبعاً، وقلت بعد ذلك من الدعاء: ألحمدُ لله الذي لَم يَتّخِذ صاحِبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريكٌ في المُلك، ولم يكن له وليٌّ من الذُّلّ وكبّره تكبيراً. أللّهمّ إنّي أسألُك بمعاقِد عزّكَ على أركانِ عرشِك، ومنتَهى الرّحمة من كتابِك، وباسمِك الأعظَمِ الأعظَمِ الأعظَمِ، وذِكرك الأعلى الأعلى الأعلى، وبكلماتك التّامّات أن تصلّيَ على محمّدٍ وآله، وأن تفعل بي ما أنت أهلُه. وادعُ بما أَحببت، فإنّك لا تدعو بشيءٍ إلّا أُجبت ما لم تدعُ بمأثم، أو قطيعةِ رحِم، أو هلاكِ قومٍ مؤمنين..»**.

اليوم السابع والعشرون، المبعثُ النبويّ الشريف

المراقبات: للسّالك أن يسعى بتمام سعيِه وجدّه في ذكر حقّ تعظيم اليوم، ومعرفة حقّ نعمته، وما أتى به من السّعادة العظمى، والخير الأعظم، والبركات والنور، يختبر قلبَه كيف فرحُه بهذا اليوم وسروره، ولو رأى قلبُه أنّ يوماً من أيّام المسار الدنيويّة عنده بمثابة هذا اليوم أو أزيد في الفرح والسرور، فَلْيُعالج نفسه فإنّه من لآمة النفس وخِسّتها، والأنس بعوالم الطبيعة، والبعد عن عالم النور، وانعكاس القلب وانتكاسِه.

*** من مهمّات هذا اليوم:**

١ - الغُسل.

٢ - الصَّوم، وهو يُعادل صيام ستّين سنة.

٣- زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله [أنظر: زيارته صلى الله عليه وآله عن بُعد، باب الزيارات، مفاتيح الجنان]، وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام [أنظر: باب الزيارات في مفاتيح الجنان]

٤ - الإكثار من الصلاة على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله.

٥ - صلاة اثنتَي عشرة ركعة قبل الزّوال، تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وما تيسّر من السُّوَر، وتقول بين كلّ ركعتين:

«الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً. يا عُدَّتِي فِي مُدَّتِي، يا صاحِبِي فِي شِدَّتِي، يا وَلِيِّي فِي نِعْمَتِي، يا غِياثِي فِي رَغْبَتِي، يا نَجاحِي فِي حاجَتِي، يا حافِظِي فِي غَيْبَتِي، يا كافِئِي (كالئي) فِي وَحْدَتِي، يا أُنْسِي فِي وَحْشَتِي، أَنْتَ الساتِرُ عَوْرَتِي فَلَكَ الحَمْدُ، وَأَنْتَ الْمُقِيلُ عَثْرَتِي فَلَكَ الحَمْدُ، وَأَنْتَ الْمُنْعِشُ صَرْعَتِي فَلَكَ الحَمْدُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَتِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَاصْفَحْ عَنْ جُرْمِي، وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتِي فِي أَصْحابِ الجَنَّةِ، وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ».

فإذا فَرغتَ من الصّلاة والدّعاء قرأتَ الحمد، و(قل هو الله أحد)، و(قل يا أيّها الكافرون)، والمعوّذتين، و(إنّا أنزلناه في ليلة القدر)، وآية الكرسيّ، سبعاً سبعاً، ثمّ تقول: «**لا إله إلّا الله والله أكبرُ وسبحان الله، ولا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله**» سبع مرّات، وتقول: «**الله الله ربّي لا أُشركُ به شيئاً**» سبع مرّات ثمّ ادعُ بما أحببت.

٦ - ومن أعمال يوم المبعث قراءة دعاءين:

*** الأوّل**: يا مَنْ أَمَرَ بِالعَفْوِ وَالتَّجاوُزِ..

*** الثاني**: أللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالتَجَلِّي الأَعْظَمِ.. [أنظر: مفاتيح الجنان، اللّيلة السابعة والعشرون ويومها]

اليوم الأخير

* صلاة عشر ركعات في آخر رجب من صلاة سلمان الفارسي التي تقدَّم ذكر صلاة عشرين ركعة منها في اليوم الأوّل ويوم النّصف.

الإقنَاع في القرآنِ الكَريم
المَبادىء والأسَاليب

د. أحمد حسن خشان*

يقوم الإقناع في القرآن الكريم على جملة من المبادئ الأخلاقيّة التي تنسجم مع قواعد المنطق السّليم، وسُنن العقل القويم، ويعتمد -الإقناع- على عدد من الأساليب المدعّمة بالحقائق والأدلّة التي تُحاكي العقل السليم؛ وهو الفطرة التي فطرَ اللّه تعالى خلْقَه عليها.
يقدّم هذا المقال للباحث العراقي الدكتور أحمد خشّان تعريفاً موجزاً بتلك المبادىء، وهذه الأساليب.

إنّ القرآن الكريم لم ينزل إلّا لمعرفة معانيه، وتبيان مراميه، واتّباع أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿..وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾النحل:٤٤. فالآيات القرآنية هي الحقائق المطْلقة التي تُغني العقول، وتُطَمئِنُ القلوب، وتفضحُ الزَّيف والإفتراء، حتّى لا يبقى أمام المتمرّد إلّا أحدُ أمرَين: إمّا أن يؤمن عن بيّنة، وإمّا أن يكفر عن بيّنة.

ويُمكن تلخيص مبادئ الإقناع في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١- تطابقُ منهجِ القرآن الكريم مع الفطرة الإنسانيّة:

إنّ الناس مفطورون على العلم وفق الموازين العقليّة التي لا ينازع فيها أحدٌ من عقلاء بني آدم، لأنّ مبنى العقل على صحّة الفطرة وسلامتِها، فكانت دعوة القرآن الكريم للقيام بالتّكاليف العباديّة اليَسيرة التي تحقّق للإنسان راحةَ الضمير، وسموّ الروح، ورضى النّفْس، وصحّة البدن. وتضمّنت هذه الدّعوة التشريعَ لنظامٍ متكامل في الدنيا، وضمان الفوز لِمن تبعه بالآخرة، قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم:٣٠.

٢- المساواة بين الناس:

إنّ خطاب القرآن الكريم في الإقناع ذو نزعة إنسانيّة مُطْلقة، قِوامُها المساواة بين الناس والمفاضلة بينهم على أساس العقيدة والمبدأ، وليس على أساس النّسَب أو العِرق أو اللّون أو الجنس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات:١٣.

٣- الحريّة:

تأسيس مبدأ الحريّة للإنسان على قاعدة العبوديّة لله الواحد الأحد، تلك الحريّة التي تحقّق للإنسان كينونتَه الحقّة التي أكرمها الله تعالى له، وهي الطريق إلى الإيمان الذي يجعل قلب الإنسان معلّقاً بالله سبحانه. قال عزّ وجلّ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ..﴾ البقرة:٢٥٦.

٤- المصداقيّة:

إن رسول الله ﷺ هو الصّادق الأمين في قومه، وكفى بالله شهيداً -في كتابه الكريم- أنّه صاحب الخُلق العظيم، وهو رسولُ ربّ العالمين، نزل عليه القرآن الكريم بنفسه الطّاهرة، وهو يمثّل الثقة المطْلقة في تبليغ رسالته تعالى إلى البشر، فكان ﷺ يحظى بالقبول والرضى والإستحسان عند قومه والناس أجمعين، وبالتالي بالإيمان بعد الإقتناع به صدقاً وعدلاً. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب:٢١.

* باحث وأكاديمي من العراق

٥- مراعاة أحوال المخاطَبين:

تتمثّل في دعوة الناس إلى التعاون، وأن يُحسنوا كما أحسن الله إليهم، في صياغات بارعة تعزّز الأواصر، وتضمن التكافل الإجتماعي، قال تعالى: ﴿..وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ..﴾ المائدة:٢.

> **جميعُ أساليب الإقناع -والردّ على المعاندين والمعارضين- في القرآن الكريم، لها سندٌ من البيان والبرهان، وهي مدعّمة بالحقائق والأدلّة، عاليةٌ بعلوِّ مصدرها، وتظهر من دراسة مجموعها حقيقةُ أنّ الله عزّ وجلّ يتقرّب بِلُطفِه ورحمته وهدايتِه إلى عباده، وفيهم المعاندون والمشركون وأهلُ الكتاب الذين يبتعدون بظلمهم وجحودِهم عنه تعالى**

٦- الإقناع بعرض الأفكار وليس التحكّم بالفكر:

إن الإقناع في القرآن الكريم طَوعيّ غير قسري، يجري على قاعدة احترام الإنسان وكرامته وإنسانيته وأحواله وظروفه، بما يدعوه إلى التفكّر والتدبّر في آيات القرآن الكريم بحيث يصدر إيمانُه عن قناعة ورضى، بعيداً كل البُعد عن الأساليب السلبيّة كالضّغط والغصْب، كما فعل سحرةُ فرعون الذين سَحروا أَعينَ الناس واسترهَبوهم.

٧- مبدأ الثواب والعقاب:

نعني به دعوة الناس إلى تقوى الله تعالى، وتخويفهم من أهوال يوم القيامة، قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ الحج:١-٢.

فمن يهتدي باتّباع هَدْي القرآن، وطاعة الرسول ﷺ فثوابُ اهتدائه له، ويُجزى الجزاء الأوفى، وهو الذي يقطف عاقبتَه الحميدة، ومن ضلَّ عن الحق وزاغ عن سبيل الرّشاد فإنما يجني على نفسه بالعقاب والثّبور، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**إنّ الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادةً** [منعاً وصوناً] **لعباده عن نقمته، وحياشةً** [سوقاً] **لهم إلى جنّته**».

أساليبُ الإقناع في القرآنِ الكريم

تنوّعت أساليب الإقناع والردّ على المعاندين والمعارضين في القرآن الكريم، وجميع هذه الأساليب لها سندٌ من البيان والبرهان، مدعّمة بالحقائق والأدلّة، وهي عاليةٌ بعلوِّ مصدرها، وتظهر من دراسة مجموعها -في المحاجّة والإقناع، والموازنة بينهما- حقيقةُ أنّ الله عزّ وجلّ يتقرّب بِلُطفِه ورحمته وهدايته إلى عباده، وفيهم المعاندون والمشركون وأهل الكتاب الذين يبتعدون بظلمهم وجحودهم عنه تعالى.

لقد ردّ القرآن الكريم بِطُرق وأساليب مقابلة لطبيعة ما جاء في المحاجّة من موضوع وأسلوب ومعنى، ومن ثمّ تفنيدها بالإحتجاج القرآني المتضمّن إقامةَ الحجّة على الناس وتذكيرهم بالرُّسل، والكُتب، والتبشير، والإنذار، والعقاب والثواب بحيث لا يدَع لهم ذريعةً ولا وسيلةً يتذرّعون بها، إلّا الإقرار بالحقّ والإيمان بالله العظيم ودينِه الحنيف، ذلك أنّ المحاجّة انطلقت بلا عِلمٍ ولا دليلٍ ولا كتابٍ منير، وهي واهنةٌ لا تصمد، ولا تلبث أن تسقط أمام حقائق الإقناع العلميّة بالأدلّة والبراهين.

وتراوحت طُرق الردّ في القرآن الكريم على معانديه ومعارضيه بين اللِّين، والحزم والأخذ بالشدّة التي يقتضيها موضوع المحاجّة وما يستحقّ من الردّ عليه. ومن هذه الطُّرق والأساليب: التحذير، والإنذار، والتعليق، والإعتذار، والتنزيه، والدّعاء، والتعجيز، و التكذيب، والوعيد.

وربما كان الردّ القرآنيّ مزجاً بين اثنتين أو أكثر من هذه الطُّرق،

ومَن يطالع كُتب التفسير يجد هذه الأساليب بشكل واضح، وهي لا تخرج -في الغالب- عن واحدة ممّا يأتي، كلٌّ منها مرفقة بشاهدٍ قرآنيٍّ.

١- الإعتذار: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ الرعد:٧.

٢- التّنزيه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ البقرة:١١٦.

٣- الدّعاء: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ..﴾ المائدة:٦٤.

٤- التعجيز: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة:١١١.

٥- التكذيب: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ العنكبوت:١٢.

٦- الوعيد: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ الأنعام:١٣٩.

لقد عرض بعضُ الباحثين موضوع الردّ على المعاندين في القرآن الكريم، ووصل إلى أسلوب الوعيد من دون ذكر أسلوبين آخرَين من المفترض أن يتقدّما على أسلوب الوعيد؛ هما: أسلوب التحذير وأسلوب الإنذار بموجب تدرّج إتمام الحجّة القرآنية على هؤلاء المعاندين، وهو ممّا لا يُغفل في منهج الكتاب المجيد.

٧- التحذير: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ المائدة:٩٢.

٨- الإنذار: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الأحقاف:١٢.

وأيضاً من أساليب الرد في القرآن الكريم:

٩- التعليق: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ الأنعام:٨-٩.

الإقناع في القرآن الكريم طَوعيٌّ غيرُ قَسريّ، يجري على قاعدة احترام الإنسان وكرامته وأحواله وظروفه بما يدعوه الى التفكّر والتدبّر، بحيث يصدر إيمانُه عن قناعة ورضى، بعيداً كل البُعد عن الأساليب السلبيّة كالضّغط والإكراه

١٠- الإجابة بسؤال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ آل عمران:٢٤-٢٥.

١١- بالتّوكيد والسؤال: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة:٨٠-٨١.

١٢- الجواب: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ النحل:٣٨.

١٣- الأمر بالجواب: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الأنعام:٣٧.

وليس لأحدٍ الإحاطة بأساليب وطُرق التعليم القرآني، لأنّ ذلك سرٌّ من أسرار إعجازه، ودرٌّ مكنون في حلّة امتيازه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ الكهف:٥٤.

موجز في التّفسير

سورة الفرقان

من دروس «المركز الإسلامي»

السورة الخامسة والعشرون في ترتيب سوَر المصحف الشريف. آياتُها سبعٌ وسبعون. تقع بين الجزئين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي مكيّة. أُخذ اسمُها من آيتِها الأولى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ..﴾.

الفرقان، ما يُفرّق به بين الحقّ والباطل، لذلك وصَف به تعالى القرآنَ الكريم، ومن قبله وصف التوراة بقوله عزّ مِن قائل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الأنبياء:٤٨. وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**القرآن جملةُ الكتاب، والفرقان: المحكمُ الواجبُ العمل به**».

وقد ذكر المفسّرون لتسمية القرآن بالفرقان وجوهاً منها:

١- أنّه سُمّي به لنزوله متفرّقاً.

٢- أنّه مفروقٌ بعضه من بعض، لأنّه مفصّل بالسّوَر والآيات.

٣- افتراقُه عن سائر المعجزات ببقائه على صفحات الأيّام والدهور.

٤- فرقُه بين الحقّ والباطل، والحلال والحرام.

هدف السورة

«**تفسير الميزان**»: غرَضُ السورة بيانُ أنّ دعوة النبي صلى الله عليه وآله دعوةٌ حقّة، عن رسالةٍ من جانب الله تعالى وكتابٍ نازلٍ من عنده، وفيها عنايةٌ بالغةٌ بدفع ما أورده الكفّار على كون النبي صلى الله عليه وآله رسولاً من عند الله، وكون كتابه نازلاً من عنده سبحانه. وقد استتبعَ ذلك شيئاً من الإحتجاج على التوحيد ونفي الشريك، وذِكْر بعض أوصاف يوم القيامة، وذِكر نبذةٍ من نعوت المؤمنين الجميلة. والكلامُ في السورة جارٍ على سياق الإنذار والتخويف دون التبشير.

ثوابُ قراءتها

* «**تفسير مجمع البيان**»: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من قرأ سورة الفرقان، بُعِث يوم القيامة وهو مؤمنٌ أنّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنّ الله يبعثُ مَن في القبور**».

* «**ثواب الأعمال**»: الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا ابنَ عمّار! لا تدعْ قراءة سورة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ..﴾، فإنّ من قرأها في كلّ ليلة لم يعذّبْه الله أبداً، ولم يحاسبْه، وكان منزلُه في الفردوس الأعلى**».

خلاصة السورة

«**تفسير الأمثل**»: بحكم كونها من السور المكّية، فإنّ أكثر ارتكازها على المسائل المتعلّقة بالمبدأ والمعاد، وبيان نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، والمواجهة مع الشرك والمشركين، والإنذار من العواقب الوخيمة للكفر، وعبادة الأصنام، والذنوب.

وتتألّف هذه السورة في مُجملها من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يشكّل مطلع السورة، وهو يدحض منطق المشركين بشدّة، ويستعرض ذرائعَهم، ويردّ عليها، ويخوّفهم من عذاب الله، وحسابِ يوم القيامة، وعقوباتِ جهنّم الأليمة. ويذكّرهم بمشاهدَ من قصص الأقوام الماضية، الذين ابتلوا -على أثر مخالفتهم لدعوة الأنبياء- بالشّدائد، والبلايا، والعقوبات، وذلك على سبيل الدّرس والعبرة لهؤلاء المشركين المعاندين.

القسم الثاني: تبحث الآياتُ بعض دلائل التوحيد، ومظاهرَ عَظَمة الله في الأكوان، بدءاً من ضياء الشمس، إلى ظلمة اللّيل وعتمته، وهبوب الرّياح، ونزول الأمطار، وإحياء الأراضي الموات، وخلْق السماوات والأرضين في ستّة أيام، وخلْق الشمس والقمر، وسيرهما المنظّم في الأفلاك السماوية، وما شابه ذلك.

فالقسم الأوّل -في الحقيقة- يحدّد مفهوم «لا إله»، والقسم الثاني يحدّد مفهوم «إلّا الله».

القسم الثالث: مختصرٌ جامعٌ لصفات المؤمنين الحقيقيّين «**عباد**

الرّحمن»، وعباد الله المخلصين، في مقايسة مع الكفّار المتعصّبين الذين ذُكِروا في القسم الأوّل، فتتحدّد منزلةُ كلٍّ من الفريقين تماماً. كما أنّنا نرى أنّ هذه الصفات مجموعةٌ من الإعتقادات، والأعمال الصالحة، ومكافحة الشّهوات، وامتلاك الوعي الكافي، والإحساس، والالتزام بالمسؤولية الاجتماعية.

تفسيرُ آياتٍ منها

«**تفسير نور الثقلين**»: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ..﴾ الفرقان:١. عن النبيّ ﷺ وقد سُئل: لمَ سمّيَ الفرقانُ فرقاناً؟ قال ﷺ: «**لأنّه متفرّقُ الآيات والسوَر، أُنزلت في غير الألواح وغير الصُّحف، والتوراة والإنجيل والزبور أُنزلت كلّها جملةً في الألواح والورق..**».

* قوله تعالى: ﴿..وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ الفرقان:٢. عن الإمام الصادق عليه السلام: «..**وأفعالُ العباد مخلوقةٌ خلْق تقدير لا خلقَ تكوين، واللهُ خالقُ كلّ شيء، ولا نقولُ بالجبر والتفويض**».

* قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ..﴾ الفرقان:١٢. عنه عليه السلام: «**من مسيرة سنة**».

* قوله تعالى: ﴿..سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ الفرقان:١٢. عن النبيّ ﷺ: «..**وتزفرُ النارُ بمثل الجبال شرراً**».

* قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا..﴾ الفرقان:١٣. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**والذي نفسي بيدِه! إنّهم يُستكرَهون في النار كما يُستكرَه الوتدُ في الحائط**».

* قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ الفرقان:٢٣. عن الإمام الباقر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «**يبعثُ الله عزّ وجلّ يوم القيامة قوماً بين أيديهم نورٌ كالقباطيّ** [ثياب من كتّان تُنسج بمصر منسوبة إلى القبط] **ثم يقول له: كُنْ هباءً منثوراً..** ثمّ قال عليه السلام: **أما والله يا أبا حمزة إنّهم كانوا يصومون ويُصلّون، ولكن كانوا إذا عرض لهم شيءٌ من الحرام أخذوه، وإذا ذُكر لهم شيءٌ عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه**».

* قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان:٣٠. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**القرآن عهدُ الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمسلم أن ينظرَ في عهدِه، وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية**».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**فإنْ قال: فلِمَ أُمروا بالقراءة في الصلاة؟ قيل: لئلّا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً، وليكون محفوظاً فلا يضمحلّ ولا يُجهَل**».

* قوله تعالى: ﴿..وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان:٣٢. عن النبيّ ﷺ: «**يا ابن عبّاس! إذا قرأتَ القرآن فرتّله ترتيلاً**.. قال: وما الترتيل؟ قال ﷺ: **بيّنه تبياناً ولا تنثُره نثرَ الرّمل، ولا تهذّه هذَّ الشّعر، فقِفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم آخرَ السورة**».

* قوله تعالى: ﴿..ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ..﴾ الفرقان:٦٣. عن الإمام الباقر عليه السلام: «**هم الأوصياء** [يمشون على الأرض هوناً] **مخافةً من عدوّهم**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**هو الرجل يمشي بسجيّته التي جُبل عليها لا يتكلّف ولا يتبختر**».

* قوله تعالى: ﴿..إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الفرقان:٦٥، عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ملازماً لا يُفارق**».

* قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان:٦٧. عن النبيّ ﷺ: «**مَن أعطى في غير حقّ فقد أسرف، ومن منع من حقٍّ فقد قتّر**».

وسُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن النفقة على العيال فقال: «**ما بين المكروهين: الإسراف والإقتار**».

* قوله تعالى: ﴿..فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ..﴾ الفرقان:٧٠. عن النبيّ ﷺ: «**أربعٌ، مَن كُنَّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدّلها الله عزّ وجلّ حسنات: الصدق، والحياء، وحُسن الخلق، والشكر**».

وعنه ﷺ: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله، إلّا نادى بهم منادٍ من السماء: قوموا! فقد بدّل الله سيّئاتكم حسنات، وغفر لكم جميعاً**».

* قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ..﴾ الفرقان:٧٢. عن الإمام الرضا عليه السلام: «**الغناء، ومجالسة أهل اللّهو**».

* قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الفرقان:٧٣. الإمام الصادق عليه السلام: «**مستبصرين ليسوا بشُكّاك**».

* قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان:٧٤. عنه عليه السلام: «**نحن هم أهل البيت**».

مناسبات شهر رجب الأصَبّ

إعداد: صافي رزق

١ رجب / ٥٧ هجريّة

مولد الإمام محمّد الباقر عليه السلام

١٥ رجب/ ٦٢ هجريّة

وفاة السيّدة زينب عليها السلام

٢ رجب / ٢١٢ هجريّة

مولد الإمام عليّ الهادي عليه السلام

٢٠ رجب / ~ ٤٥ هجريّة

ولادة السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام

٣ رجب / ٢٥٤ هجريّة

شهادة الإمام عليّ الهادي عليه السلام

٢٤ رجب/ ٧ هجريّة

* فتح حصون خيبر بيد أمير المؤمنين عليه السلام.
* عودة جعفر الطيّار وصحبِه من الحبشة.

١٠ رجب / ١٩٥ هجريّة

مولد الإمام محمّد الجواد عليه السلام

٢٥ رجب/ ١٨٣ هجريّة

شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

١٣ رجب/ ٢٣ قبل الهجرة

ولادة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

٢٧ رجب/ ١٣ قبل الهجرة

بعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

أبرز مناسبات شهر رَجَب

❖ بعثةُ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. ❖ ولادة أمير المؤمنين عليه السلام.
❖ ولادة الإمام الباقر عليه السلام. ❖ شهادة الإمام الكاظم عليه السلام.
❖ ولادة الإمام الجواد عليه السلام. ❖ ولادة وشهادة الإمام الهادي عليه السلام.
❖ وفاة السيّدة زينب عليها السلام.

بعد تقديم فهرس بتواريخ المناسبات تحت عنوان مناسبات الشهر الهجري، تقدِّم «شعائر» مختصَراً حول أبرز مناسبات شهر رجب، دون الإلتزام بالتّسلسل التاريخي، بل بحسب تسلسل المعصومين عليهم السلام، ثمّ غيرهم.

اليوم السابع والعشرون، المبعث الشريف

ممّا قاله الإمام الخميني قدس سره في هذه المناسبة العظيمة:

* إنّ قضيّة المبعث وماهيّته وبركاته ليست بالأمر الذي بوسع ألسنتِنا العاجزة الخوض فيه، إذ أنّ أبعاده المعنوية والمادّية على درجة من السّعة والشمول بحيث لا أتصوّر أنّ بالإمكان التحدّث عنها وتناولها "..." لقد أوجدتْ البعثة تحوّلاً علمياً - عرفانياً في العالم، بحيث تحوّلت الفلسفة اليونانية التي أنجزها اليونانيون وكانت ذات قيمة أيضاً، إلى عرفان عيني وشهود واقعي لأرباب الشهود.

* ليست قضيّة البعثة من القضايا التي يتسنّى لنا التحدّث حولها. كلّ ما نعلمه أنّ ثورات وتحوّلات حدثت ببعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ما كانت لتُبصر النور لولا ذلك. أرى من المتعذّر على البشرية أن تدرك مقدار المعارف التي فاح أريجُها في أرجاء العالم ببركة المبعث النبويّ الشريف.

* الإمامة والبعثة أمران مختلفان يتّحدان في إظهار أمرٍ معنويٍّ عظيم، ألا وهو الولاية. (صحيفة النور)

اليوم الثالث عشر، ولادة أمير المؤمنين عليه السلام

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **فلمّا كان اللّيلة التي وُلد فيها عليٌّ أشرقت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيّها الناس! وُلِد في الكعبة وليُّ الله. فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول:**

يـا ربّ هـذا الغسقِ الدجـيّ والقمـر المنبلـج المُضـيّ
بيّـنْ لنـا من أمـرك الخفـيّ مـاذا ترى في اسمِ ذا الصبيّ

فسمع صوت هاتفٍ يقول:

يـا أهل بيـت المصطفى النـبيّ خُصِصْتم بـالـولد الزكـيّ
إنّ اسمَه مـن شـامـخ العلـيّ علـيٌّ اشتُـق مـن العلـيّ

* قال الحاكم النيشابوري: ولِد أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب بمكّة، في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولَد قبله ولا بعده في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك. (كفاية الطالب، الكنجي الشافعي)

اليوم الأوّل، ولادة الإمام الباقر عليه السلام

لمّا حُمل أبو جعفر [الباقر] عليه السلام إلى الشّام، إلى هشام بن عبد الملك وصار ببابه، قال هشام لأصحابه ومن كان بحضرته من بني أميّة: إذا سكتُّ من توبيخ محمّد بن علي فَلْتُوبّخوه، ثم أمر أن يؤذَن له، فلمّا دخل عليه أبو جعفر قال بيده: السلام عليكم. فعمّهم بالسلام جميعاً ثم جلس، فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافة وجلوسه بغير إذن، فقال: يا محمّد بن عليّ! لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه، وزعم أنّه الإمام سفهاً وقلّة علم. وجعل يوبّخه، فلمّا سكت أقبل القوم عليه رجلٌ بعد رجل

يوبّخه. فلمّا سكت القوم نهض عليه السلام قائماً ثمّ قال: **أيّها الناس! أين تذهبون وأين يُراد بكم، بنا هدى الله أوّلَكم، وبنا ختمَ آخرَكم، فإنْ يكن لكم مُلكٌ مُعجَّل، فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد مُلكِنا مُلك لأنّا أهل العاقبة، يقول الله عزّ وجلّ ﴿..وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾** الأعراف:١٢٨. (الكافي، الشيخ الكليني)

اليوم الخامس والعشرون، شهادة الإمام الكاظم عليه السلام

قال العلّامة المجلسي: رأيتُ في بعض مؤلّفات أصحابنا: أنّ هارون العبّاسي لمّا أراد أن يقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عرض قتْلَه على سائر جنده وفرسانه فلم يقبله أحدٌ منهم، فأرسل إلى عمّاله في بلاد الإفرنج يقول لهم: إلتمسوا لي قوماً لا يعرفون الله ورسوله، فإنّي أريدُ أن أستعين بهم على أمر، فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من الإسلام ولا من لغة العرب شيئاً، وكانوا خمسين رجلاً، فلمّا دخلوا إليه أكرمَهم وسألهم من ربُّكم؟ ومن نبيُّكم؟ فقالوا: لا نعرف لنا ربّاً ولا نبيّاً أبداً. فأدخلَهم البيتَ الذي فيه الإمام عليه السلام ليقتلوه، وهارون ينظر إليهم من روزَنة [كوّة] البيت، فلمّا رأوه رموا أسلحتَهم، وارتعدت فرائصُهم، وخرّوا سُجّداً يبكون رحمةً له، فجعل الإمام يُمرّ يده على رؤوسهم ويخاطبهم بلغتِهم وهم يبكون، فلمّا رأى هارون ذلك خشِي الفتنة وصاح بوزيره: أَخرِجْهم. فخرجوا وهم يمشون القهقرى إجلالاً للإمام عليه السلام، وركبوا خيولهم ومضوا نحو بلادهم من غير استيذان . (بحار الأنوار، المجلسي - بتصرف يسير)

اليوم العاشر، ولادة الإمام الجواد عليه السلام

لمّا توجّه أبو جعفر الجواد عليه السلام إلى المدينة الشريفة، خرج معه الناس يشيّعونه للوداع "..." فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيّب، فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجدٍ قديم مؤسَّسٍ بذلك الموضع ليصلّيَ فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرةُ نَبْقٍ [السّدر، وثمرتها تشبه العنّاب] لم تَحمِل قطّ، فدعا عليه السّلام بكُوزٍ فيه ماء، فتوضّأ في أصل الشجرة وقام يصلّي، فصلّى مع الناس المغرب، ثمّ تنفّل بأربع ركعات وسجد بعدهنّ للشّكر، ثمّ قام فودّع الناسَ وانصرف، فأصبحت النّبقةُ وقد حملت من ليلتها حملاً حَسَناً، فرآها الناس وقد تعجّبوا مِن ذلك غاية العَجَب! (نور الأبصار للشبلنجي الشافعي، والفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة لابن الصبّاغ المالكيّ، وأخبار الدول وآثار الأُوَل للقرماني، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني..)

اليوم الثاني واليوم الثالث، ولادة وشهادة الإمام الهادي عليه السلام

عن موسى بن عمران النَّخعي قال: قلتُ لعليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام: علِّمني يا ابنَ رسول الله قولاً أقولُه بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم، فقال عليه السلام: «**إذا صرتَ إلى الباب فقِف واشهد الشّهادتين وأنت على غُسل، فإذا دخلتَ ورأيتَ القبر فقِف وقل: الله أكبر «ثلاثين مرّة»، ثم امشِ قليلاً وعليك السّكينة والوقار، وقارِب بين خُطاك، ثم قف وكبّر الله عزّ وجلّ «ثلاثين مرّة»، ثم ادْنُ من القبر وكبّر الله «أربعين مرّة»، تمام مئة تكبيرة، ثمّ قُل: السلام عليكم يا أهلَ بيت النبوّة، وموضعَ الرسالة، ومختلَف الملائكة، ومهبطَ الوحي، ومعدنَ الرسالة، وخُزّان العلم، ومنتهى الحِلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النِّعم، وعناصرَ الأبرار، ودعائمَ الأخيار، وساسةَ العباد، وأركانَ البلاد، وأبوابَ الإيمان، وأُمناءَ الرّحمن، وسلالةَ النبيّين، وصفوةَ المرسلين، وعِترة خيرَة ربّ العالمين، ورحمة الله وبركاته**... إلى آخر الزيارة».

(الزيارة الجامعة الكبيرة، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق)

اليوم الخامس عشر، وفاة السيدة زينب عليها السلام

جاء في التاريخ: أنّه بعد مرور عام على وفاة السيدة زينب عليها السلام، اجتمع أهلُ مصر وفيهم الفقهاء وقرّاء القرآن وغيرهم، وأقاموا لها مجلساً تأبينيّاً عظيماً، ومن ذلك الحين لم ينقطع إحياءُ هذه الذكرى، ويُعبّر عن موسم إحياء هذه الذكرى -في مصر- بـ«المولد الزّينبيّ». وهو يبتدئ من أوّل شهر رجب من كلّ سنة، وينتهي ليلة النصف منه. وتُحيا هذه اللّيالي بتلاوة آيات القرآن الحكيم، وقراءة مدائح أهل البيت النبويّ. ويكون المجلس عظيماً جدّاً حيث يشترك فيه أهل مدينة القاهرة والمُدن المصريّة الأخرى حتّى البعيدة منها، ثم يدخلون إلى مرقدها الشريف، للسّلام عليها، وقراءة سورة الفاتحة على روحها الزكيّة الطاهرة. (زينب الكبرى، النَّقدي)

﴿..رسولٌ من أنفُسِكم..﴾

..أنار اللّهُ بمحمَّدٍ ظُلَمَها

إعداد: محمد ناصر

«ابتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزيمة على إمضاء حكمه..» الصِّدِّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام.

ما يلي، كلمات مختارة وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في حقيقة المبعث النّبويّ الشّريف، يليها قول للميرزا الملكي التبريزي من كتابه (المراقبات).

❖ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

* «أرسلَه على حين فترةٍ من الرُّسل، وطول هجعةٍ من الأمم، واعتزامٍ من الفِتن، وانتشارٍ من الأمور، وتلظٍّ من الحروب، والدّنيا كاسفةُ النّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرارٍ من ورقها، وأياسٍ من ثمرِها، واغورارٍ من مائها. قد درست منارُ الهدى، وظهرت أعلامُ الرَّدى، فهي متجهّمة لأهلها عابسةٌ في وجه طالبها، ثمرُها الفتنة، وطعامُها الجيفة، وشعارُها الخوفُ ودثارُها السَّيف، فاعتبروا عبادَ الله».

* «بعثه والنّاس ضُلّالٌ في حيرة، وخابطون في فتنة. قد استهوتهم الأهواء، واستزلَّتهم الكبرياء، واستخفَّتهم الجاهليّة الجهلاء. حيارى في زلزالٍ من الأمر، وبلاءٍ من الجهل. فبالغ صلّى الله عليه وآله في النّصيحة، ومضى على الطّريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة».

* «ولقد سمعتُ رنَّةَ الشّيطان حين نزلَ الوحيُ عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسولَ الله، ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان، قد أَيِسَ من عبادته».

❖ السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام:

«وأشهد أنَّ أبي محمّداً عبدُه ورسولُه، اختاره قبل أن يَجتبله، واصطفاه قبل أن يَبتعثه، وسمّاه قبل أن يَستنجبه، إذ الخلائق في الغَيْب مكنونة، وبسدِّ الأوهام مَصونة، وبنهاية العدم مقرونة، عِلماً من الله في غامض الأمور، وإحاطةً من وراء حادثة الدُّهور، ومعرفةً بمواقع المقدور. ابتعثَه الله إتماماً لعلمِه، وعزيمةً على إمضاء حُكمِه، فرأى الأُمم فرقاً (فرّقاً) في أديانها، عُكَّفاً على نيراها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمَّدٍ ظُلَمها، وفرَّج عن القلوب بهَمها، وجلا عن الأبصار عَمهها، وعن الأنفس غَممها».

❖ الإمام الصادق عليه السلام:

عن هشام بن الحكَم: «قال بعضُ أصحابنا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال جبرئيل عليه السلام، وهذا جبرئيل يأمرني، ثمّ يكون في حالٍ أخرى يُغمى عليه؟

فقال أبو عبد الله الصّادق عليه السلام: **إنّه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل عليه السلام، أصابه ذلك لِثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل عليه السلام لم يُصِبه ذلك، فيقول: قال لي جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرُني».**

قال العلماء

والأهمّ معرفة حقّ نعمة وجود رسول الله صلى الله عليه وآله، ونعمة بعثتِه، فإنّه لا مُرتقى على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشّرف، فإنّه سيّدُ خلق الله أجمعين، وأشرفُهم وأقربهُم وأحبُّهم إلى الله، وهو النّور الأوّل، والحجابُ الأقرب، والعقلُ الأوّل، والإسمُ الأعظم، ولا مطمعَ لأحدٍ في هذه الصّفات؛ من نبيٍّ مرسَل، وملَكٍ مقرّب.

وهو رحمةٌ للعالمين، فبقدر شرف وجوده الأشرف وخيرات مبعثه الشّريف، يَعظمُ شرفُ هذا اليوم ونورُه وخيرُه وبركاتُه، وبقدر ذلك يعظمُ عند العقول حقُّ شكرِه على أُمّتِه وشيعتِه. (الميرزا الملكي التبريزي، المراقبات)

من أبحاثِ الفقهاء، وفتاواهم

عملُ الرّغائب، وصلاةُ ليلةِ الرّغائب

إعداد: الشيخ حسين كوراني

من أبرز أعمال شهر رجب، عملُ الرَّغائب، وقد نُقل عن بعض الفضلاء الأعزّاء، المناقشة في سند هذا العمل، وهو حقّ، كما نُقل عنهم استهجانُ اهتمام بعض المؤمنين بعمل الرّغائب، والحقّ أنّ التّمثيل بصلاة ليلة الرّغائب مستفيضٌ جدّاً في المصادر الفقهيّة، عند البحث عن جواز التطوّع بالنّافلة بعد دخول وقت الفريضة، وهو يكشف عن عدم حذرِ الفقهاء من صلاة الرّغائب، ولا تحذيرِهم منها، بالإضافة إلى اهتمام العلّامة الحلّي بإيراد عمل الرّغائب في إجازته لبني زهرة -رغم ضعف السَّند جداً، وذلك ممّا لا نقاش فيه أبداً- والكفعمي في (المصباح)، والشيخ الحرّ العاملي في (وسائل الشّيعة)، والسيّد إبن طاوس في (إقبال الأعمال)، والشيخ الملَكي التبريزي في (المراقبات) وغيرهم، ولا يخفى على هؤلاء الأعلام ما في السَّند من إشكاليّات، إلّا أنّهم -كسائر العلماء- بعد أن يؤكّدوا على الإتيان بما لم يَثبت سندُه «برجاء المطلوبيّة»، يحرصون على أن لا يَحرم المؤمنون أنفسهم من بركات هذه الأعمال التي تُعطى للمؤمن -كما يصرّح السيّد القائد الخامنئي دام ظلّه- ولو لم يكن الحديثُ صحيحاً، وإنْ كان لا يثبت بذلك استحبابُ العمل.

* تجدر الإشارة إلى الخلاف في وقت صلاة ليلة الرّغائب، هل هو بين المغرب والعشاء، أو بعد العشاء، والصّحيح أنّ وقتَها بين المغرب والعشاء.

ما يلي نماذج من كلمات الفقهاء عن صلاة الرّغائب، وبعض آراء المراجع المعاصرين دام ظلُّهم، في الإتيان بها بعد العشاء لإدراك فضيلة الجماعة.

من فتاوى وليّ أمر المسلمين السيّد الخامنئي دام ظلّه

س: ما هو رأيكم في قاعدة التّسامح في أدلّة السُّنَن؟

ج: مَن بلغه ثوابٌ على عملٍ فأتى به رجاء ذلك الثواب، أُوتيه وإنْ لم يثبت استحبابُ ما بلغه الثّواب فيه، وأمّا ثبوتُ الإستحباب الشّرعي فموقوفٌ على قيام الحّجة الشّرعيّة عليه. (نقلاً عن الموقع الإلكتروني للسيّد القائد)

ويأتي رأي سماحته في تقديم فضيلة الجماعة على صلاة ليلة الرّغائب، ثمّ الإتيان بها بعد الجماعة.

نماذج من أبحاث الفقهاء

١- «..**جواز النافلة لِمَن عليه الفريضة**".." يدلّ عليه: العمومات المرغِّبات في الصّلاة، والخصوصيّات: مثل الصّلاة الواردة بين الظّهر والعصر خصوصاً يوم الجمعة وبين المغرب والعشاء، كصلاة الغفيلة وصلاة ركعتين بثلاثة عشر مرّة (إذا زلزلت الأرض) بعد الحمد في الأولى، وبخمس عشرة (قل هو الله أحد)، كذلك في الثّانية، وعشر ركعات قبل التكلّم، بـ (قل هو الله أحد)، **وكذا صلاة الرّغائب**، ونافلة شهر رمضان، فإنّ البعض منها بينهما». (المحقّق الأردبيلي، مجمع الفائدة، ج ٢: شرح ص ٤٣، جماعة المدرّسين)

٢- «وكذلك الحكم في باقي النّوافل لعمومِ ما دلّ على شرعيّتِها من غير ثبوت تخصيص".." ولخصوص الأخبارِ الدالّة على شرعيّةِ كثيرٍ منها في أوقاتِ الفرائض، مثل الصّلوات الواردة بين الظّهر والعصر خصوصاً يوم الجمعة، وبين المغرب والعشاء كصلاة الغفيلة وغيرها، **وكذا صلاة الرّغائب**، ونافلة رمضان، فإنّ بعضها ما بينهما، وغيرها ممّا يشتمل عليها كُتب الأدعية وغيرها». (المحقّق السبزواري، ذخيرة المعاد، ج ١: ق ٢، ص ٢٠٤، آل البيت)

٣- «والأخبار المتكثّرة المصرّحة باستحبابِ بعض الصّلوات في بعض أوقات الفرائض، كمُرسلة عليّ بن محمّد في عشر ركعات بين العشاءين، وأخرى في ركعتين بينهما يقرأ في أولاهما بعد الحمد عشراً من أوّل البقرة وآية السُّخرة، ورواية الجعفري في ركعتين بين الأذان والإقامة، وروايات الغفيلة، وفي الصلوات الواردة بين الظّهرين خصوصاً يوم الجمعة، **وصلوات الرّغائب**، وكثير من نوافل شهر رمضان، وغير ذلك ممّا لا يعدّ كثرةً». (المحقّق النراقي، مستند الشيعة، ج ٤: ص ١٠٤، آل البيت)

٤- «الصّوم لعمل ليلة الرّغائب. وليلة الرّغائب هي أوّل جمعة من شهر رجب، فيُصامُ يوم الخميس قبلها وإن لم يكن الخميس من رجب، والعمل مذكورٌ في أعمال شهر رجب من كتاب (الإقبال) للسيّد ابن طاوس قدس سره وفي بعض كتب الدّعاء المعتبرة كـ (مفاتيح الجنان). وأفرادُ هذا النّوع كثيرة، مذكورةٌ في كُتب الدّعاء، ولا يُترَك الإحتياط بأن يُؤتى بالصّوم في هذه الموارد وأمثالِها برجاء المطلوبيّة». (الشيخ محمّد أمين زين الدين، كلمة التقوى، ج ٢: ص ٩٦، الوادعي)

من فتاوى الفقهاء: الجماعة، أَم «الرّغائب» وغيرها؟

وجّه أحد الفضلاء من البحرين هذا الإستفتاء إلى مكاتب عددٍ من مراجع الدّين دام ظلُّهم:

السّؤال: إنَّ وقت عددٍ من الصّلوات المستحبّة يكون ما بين فريضتَي المغرب والعشاء، وهذه الصّلوات لا تُقام في المساجد مراعاةً لحالة المأمومين، ولذلك نطلب منكم أن تبيّنوا لنا الأمر في الأيّام المخصوصة كليلة الرّغائب مثلاً، أو أيّام الجمعة في شهر رجب المرجَّب.

فهل أنّ الإشتراك في صلاة الجمعة والجماعة أفضل، أم أداء الصّلاة بشكل منفرد والإستفادة من فضيلة الصّلوات المستحبّة، وعند ترجيح صلاة الجماعة فكيف يُمكن الإستفادة من بركات الصّلوات المستحبّة، خصوصاً في أيّام شهر رمضان المبارك التي تُصلّى فيها الغفيلة عادةً مراعاةً لحالة المأمومين، فما هو رأيكم؟

وقد وصلته من مكاتب المراجع الإجابات التّالية (كان بعثها إلى «شعائر» بتاريخ ٧/ ٦/ ٢٠١١ م):

* **مكتب سماحة السيّد الخامنئي مدّ ظلّه العالي: يُمكن تحصيل كِلا الفضيلتَين والجمع بينهما بالمشاركة في صلاة الجماعة أوّلاً، ثمّ أداء النّوافل بعد ذلك.**

* **مكتب سماحة السيّد السيستاني مدّ ظلّه العالي: الإشتراك في الجمعة والجماعة أفضل.**

* **مكتب سماحة الشيخ مكارم الشيرازي مدّ ظلّه العالي: الإشتراك في الجمعة والجماعة أفضل، ثمّ يمكنكم الإتيان بالنّوافل رجاء المطلوبيّة.**

* **مكتب سماحة الشيخ الصافي الكلبايكاني مدّ ظلّه العالي: في حالة مفروض السّؤال لا إشكال في تأخير النّوافل والأدعية من أجل الحصول على ثواب الجمعة والجماعة. ثمّ الإتيان بالنوافل بعد ذلك من دون نيّة الأداء والقضاء والله العالم.**

حِمى الأشهرِ الحُرُم

توصيات أُستاذ العرفاء السيّد القاضي قدس سره

إعداد: مازن حمّودي

تقدِّم «شعائر» هذه التّوصيات حول الأشهر الثّلاثة، نقلاً عن سماحة العلّامة السيّد محمّد محسن الحسيني الطّهراني حفظه الله، عن والده المرحوم آية الله السيّد محمّد الحسيني الطّهراني قدس سره، نقلاً عن آية الحقّ السيّد علي القاضي الطباطبائي، من الرّسالة الخطّيّة المُسمّاة (صفحات من تاريخ الأعلام) والمكتوبة بقلم ولده، وكان العلّامة يؤكّد على العمل بها والمداومة عليها في أشهر رجب وشعبان وشهر رمضان، وقد أمر طلّابه بالخصوص أن يدوّنوها في دفاترهم. وقد تمّ دمج بعض تعليقات السيّد الطّهراني بالأصل، بين مزدوجتَين { }. «شعائر»

إنتبهوا -إخواني الأعزّة وَفقكمُ اللهُ لطاعتِهِ- فَقَدْ دَخلنا في حِمى الأشَهرِ الْحرُمِ، فَما أعظم نِعَم الْباري علينا وَأتَمَّ.

فالْواجِبُ علينا قَبْلَ كُلِّ شيْءٍ التّوبةُ بشُروطها اللّازمَة وَصَلَواتها الْمعلُومة.

ثُمَّ الإحتماء مِنَ الكبائِرِ وَالصَّغائِرِ بِقدْرِ القُوَّة.

فَلَيلَةُ الجُمُعة {أوْ نهارها}، أو يوم الأحد تُصَلوُّن صَلاةَ التّوبة، ثُمَّ تعيدُونها يومَ الأحد الثّاني مِن الشَّهر.

ثُمَّ تلتزمونَ المراقَبَة الصَّغْرى {ترك الحرام}، وَالكُبْرى {يشمل ترك المكروه}، وَالْمحاسَبَةَ وَالْمعاتَبَة بِما هُوَ أحْرى. فَإنَّ فيها تَذْكرةً لِمَنْ أرادَ أن يَتَذَكَّرَ أوْ يَخْشى.

ثُمَّ أقْبلوا بقلوبكُمْ وَداوُوا أمراضَ ذُنوبكُمْ وَهَوّنوا بالإسْتغْفار خُطُوبَ عُيوبِكُمْ.

وَإيّاكُم وَهَتْكَ الحُرُمات، فَإنَّ مَنْ هَتَكَ وَإنْ لَمْ يهتكِ الكريمُ عليهِ، فهُوَ مَهْتوكٌ.

وَأنّى يُرْجى النّجاةُ لِقلبٍ ارتبكَتْ فيهِ الشُّكوكُ {لم يوقِن}، حتّى يسلكَ سَبيلَ المتّقينَ وَيَشْربَ منَ الماءِ المَعينِ مَعَ الْمُحسنين؟! وَاللهُ الْمستعانُ على نَفْسي وَأنْفسِكُم وَهُوَ خيْرُ مُعينٍ.

الأوامر العمليّة لهذه الأشهُر الثلاثة

١- عَليْكُمْ بالْفرائض في أَحْسن أوقاتها وَهي مَعَ نوافلها الإحدى والخمْسين. فإنْ لَمْ تتَمَكّنوا فبأرْبَعٍ وَأرْبعينَ {بحذف أربع ركعات من نافلة العصر، وركعتين من نافلة المغرب، والوتيرة}. وَإنْ مَنعتكُمْ شواغِلُ الدُّنْيا، فَلا أقَلَّ مِنْ {نافلة صلاة الظّهر التي هي} صلاة الْأوّابين.

٢- وأمّا نَوافلُ اللّيلِ فلا محيصَ منها عنْدَ المؤمنين. وَالعجبُ مِمَّنْ يَرومُ مرتبةً مِنَ الكَمال وَهُوَ لا يَقُومُ اللّيالي! وَما سَمعنا أحَداً نالَ مرْتبةً مِنهُ إلّا بِقيامِها.

٣ - وَعَليكُمْ بقراءة الْقرآنِ الْكريم في اللّيل بِالصَّوتِ الْحَسَنِ الْحزين، فهُوَ شرابُ الْمُؤمنين.

٤- وَعليكُمْ بالتزام الأوْراد الْمعْتادَة التي هي بيد كُلِّ واحدٍ منْكُمْ. وَالسّجْدَةِ الْمَعهُودَةِ {اليونسيّة} مِنْ ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ مرّة.

٥- وَزيارَة المشْهد الْمعظَّم الْأعظم {للأمير، أو سائر مشاهدِهم عليهم السلام} كلّ يومٍ. وإتيانُ المساجدِ المعظَّمَة {منها مسجد السّهلة} ما أمْكنَ. وكذا سائِر الْمساجدِ. فَإنَّ الْمُؤْمن في المسجد كالسَّمكة في الماء.

٦- وَلا تترُكوا بعدَ الصَّلواتِ المفروضاتِ تسبيحةَ الصّديقة صلواتُ اللهِ عليها، فإنَّها مِنَ الذِّكْر الكبير. وَلا أقَلَّ في كلِّ مَجْلِسٍ دوْرَةٌ.

٧- وَمِنَ اللّازمِ الْمهمِّ الدُّعاءُ لفرجِ الْحجَّة صَلواتُ اللهِ عَليهِ في قُنوتِ الْوتر {إلهي عظُم البلاء، وبرح الخفاء..}. بَل في كُلِّ يومٍ وفي جميع الدَّعوات.

٨ - وَقراءةُ الجامعة {الكبيرة} في يومِ الجُمُعة أعْني {الزّيارة} الجامعةَ المعروفَةَ المشروحَة.

٩ - وَلا تكون التّلاوة أقلَّ مِن جزءٍ.

١٠- وَأكْثروا منْ زيارة الإخوان الأبرار؛ فإنّهمْ الإخْوانُ في الطّريق وَالرَّفيقُ في المَضيق.

١١- وَزيارة القبور في النَّهار غبّاً {مرّة في الأسبوع} وَلا تزورُوا ليْلاً. مَا لنا وَللدُّنيا قَدْ غرّتْنا! وَشَغلتْنا وَاسْتهوَتنا وَليْسَت لَنا!!

فَطوبى لِرجالٍ أبْدانُهمْ في النّاسوت وَقلوبهُمْ في اللّاهوتِ.. أولئك الأقلّونَ عدَداً.. وَالأكْثرونَ مَدَداً.. أقولُ ما تسْمعونَ وَأَسْتغفرُ الله. (١٣٥٧ للهجرة)

الإمام علي عليه السلام
قراءة في السّيرة والمنهج

إقرأ في الملف

إستهلال	«شعائر»
مولدُ أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة	إعداد: أسرة التحرير
كما عرّفَه المقرّبون	محمد علي خليفة
جُمِعت في صفاتك الأضدادُ	حِواريّة ابن دأب
منهج تدوين السيرة	الشيخ حسين كوراني
رَغِدَ العيشُ فَزِدْه رَغَدا	فريدة العلّامة إسماعيل الشيرازي

إستهلال

وَمِنْ (مَنَاقِبِ) ٱلفَقِيهُ (الشَّافِعِيِّ) ابْي الحَسَنِ المَغَازِلِي عن سَلْمَانَ (الفَارسِيِّ) قَالَ:

سَمِعتُ حَبِيبِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

كُنتُ أنَا وَعَلِيٌّ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ

يُسَبِّحُ ٱللهَ ذَلِكَ ٱلنُّورُ وَيُقَدِّسُهُ

قَبلَ ان يَخلقَ اللهُ آدَمَ بِالفِ عَامٍ فَلَمَّا خَلَقَ ٱللهُ آدَم

رَكَّبَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلبِهِ فَلَم يَزَلْ فِي شَيءٍ وَاحِدٍ حَتَّى افتَرَقنَا فِي صُلبِ عَبدِ ٱلمُطلبِ

فَفِيَّ ٱلنُّبُوَّةُ وَفِي عَلِيٍّ ٱلخِلَافَةُ

العُمدَة - ابنُ البَطْرِيق ص ٨٩ وَانظر تَارِيخ مَدِينة دِمَشقَ - ابن عَسَاكِر - ج ٤٢ صَفحَة: ٦٧

«..شققتُ اسمَه من إسمي»

مولدُ أمير المؤمنين عليه السلام في جوفِ الكعبة

إعداد: أسرة التحرير

روى جماعة ممّن شاهد فاطمة [بنت أسد] عليها السلام حيث أخذَها الطَّلق بأمير المؤمنين أقبلتْ إلى البيتِ الحرام فقالت: «**ربّ! إنّي مؤمنةٌ بك وبما جاء من عندك من رُسُلٍ وكُتُب، وإنّي مصدّقة بكلام جدِّي إبراهيمَ الخليل، وأنّه بنى البيت العتيق، فَبِحَقّ الذي بنى البيتَ وبحقّ هذا المولود الذي يُكلِّمُني في بطني ويُؤنِسُني، الذي أعلمُ أنّه آيةٌ من آياتك وعِصمتِك، إلّا ما يسّرتَ عليَّ ولادتي**».

في مصادر المسلمين السنّة أنّ الأخبارَ متواترةٌ حول ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة، وأنّه لم يُولَد قبلَه ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلِّه في التعظيم.

قال الراوي: فرأيتُ البيتَ وقد انفتحَ عن أظهرِه ودخلتْ فاطمة، وغابت عن أبصارِنا والتزقَ الحائط، فرُمنا أنْ نفتحَ بابَ البيت فلم ينفتِح، فعلِمنا أنّ ذلك أمرٌ من الله.

ثمّ خرجت في اليوم الرابع، وبِيدها أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت: «**إنّي فُضِّلتُ على مَن تقدَّمني من النساء، فإنّي دخلتُ بيتَ الله الحرام وولدتُ فيه، فَأَكلتُ من ثمار الجنّة وأرزاقِها، ولمّا أردتُ الخروجَ هتفَ بي هاتف: يا فاطمة سَمِّيه عليّاً، فهو عليٌّ، واللهُ العليُّ الأعلى يقول: إنّي شققتُ اسمَه من إسمي وأدّبتُه بأدبي، ووقفتُه على غامضِ علمي، وهو الذي يكسرُ الأصنامَ في بيتي، وهو الذي يُؤذِّنُ فوقَ ظهرِه ويُقدِّسُني ويُمجِّدُني، فطوبى لِمَن أحبَّه وأطاعَه، ووَيلٌ لِمَن خالفَه وعصاه..**».

(الحقُّ اليقين في تراجم المعصومين، الشيخ علي كاشف الغطاء)

من كلمات العلماء السُّنّة حولَ مولدِه عليه السلام في الكعبة

قال الحاكم في (المستدرك، ج ٣: ص ٤٨٣، دار المعرفة): «وقد تواترت الأخبارُ أنّ فاطمة بنت أسد وَلدَت أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب كرّمَ الله وجهَه في جوف الكعبة».

وحكى الحافظُ الكنجي الشافعي في (الكفاية) من طريق ابن النجار عن الحاكم النيسابوري أنّه قال: «وُلِدَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب بمكّة، في بيت الله الحرام، ليلةَ الجمعة لثلاث عشرة ليلة خَلتْ من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يُولَد قبلَه ولا بعدَه مولودٌ في بيت اللهِ الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلِّه في التعظيم».

وتبعه أحمدُ بن عبد الرحيم الدّهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدّهلوي مصنِّف (التحفة الإثنا عشريّة في الردِّ على الشيعة) فقال في كتابه (إزالة الخفاء): «تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدتْ أميرَ المؤمنين علياً في جوف الكعبة، فإنّه وُلِدَ في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، في الكعبة، ولم يولَد فيها أحدٌ سواه، قبلَه ولا بعدَه».

كما عرَّفه المُقرَّبون
...يُعظِّم أهلَ الدِّين، ويُقرِّب المَساكين

محمد علي خليفة

أقربُ النّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام حواريُّوه من صحابة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، والتابعين لهم بإحسان؛ كميثم التمّار وأقرانه، ولو تتبّعنا كلماتهم في وصف أمير المؤمنين عليه السلام واعتمدناها محوراً للبحث العلمي في التعريف بأبعاد شخصيّته النبويّة الإلهيّة، لأمْكن اختصارُ الطريق، وتحقيقُ نتائج لا يُمكن الوصول إليها من طريقٍ آخر.

ما يلي واحدة من هذه الوثائق التاريخيّة العقائديّة النادرة، تقدّمها «شعائر» نموذجاً يحفِّز على تتبُّع أمثاله.

قال السيّد محسن الأمين في (أعيان الشيعة): روى جماعةٌ منهم «أبو نعيم الأصفهاني» في (حلية الأولياء) و«ابن عبد البَرّ المالكي» في (الاستيعاب) و«ابن الصبّاغ المالكي» في (الفصول المهمّة) و«محمد بن طلحة الشافعي» في (مطالب السّؤول) وغيرهم بأسانيدهم أنّه:

دخل ضرار بن ضمرة الكناني "..." على معاوية فقال له صِفْ لي عليّاً.

قال: اعفِني. قال: لَتَصِفَنَّه. قال: أمّا إذا كان لا بدّ من وصفِه فإنّه: كان واللهِ بعيدَ المَدى، شديدَ القُوَى. يقول فصْلاً، ويَحكُم عدْلاً. يتفجَّر العِلْمُ من جوانبِه، وتنطِق الحكمة من نواحيه. يستوحشُ من الدّنيا وزَهْرتِها، ويأنسُ باللّيلِ ووَحْشتِه.

وكان غزيرَ الدَّمعة، طويلَ الفِكرة، يُقلِّب كفَّه ويخاطبُ نفسَه، يُعجِبُه من اللّباسِ ما خَشُن "..." ومن الطّعام ما جَشُب.

وكان فينا كأحدِنا، يُدنينا إذا أتيناه، ويُجيبُنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ويُنبئُنا إذا استَنْبَأْناه.

ونحن -واللهِ- مع تقريبِه إيّانا، وقُربِه منّا، لا نكاد نُكلِّمه هيبةً له. فإنْ تبسّمَ فعن مِثْل اللّؤلؤِ المنظوم.

يُعظِّمُ أهلَ الدِّين ويقرِّبُ المساكين. لا يطمعُ القويُّ في باطلِه، ولا يَيأسُ الضَّعيفُ من عَدْلِه.

وكان فينا كأحدِنا، يُدنينا إذا أتيناه، ويُجيبُنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ويُنبئُنا إذا استَنْبَأْناه. ونحن -واللهِ- مع تقريبِه إيّانا، وقُربِه منّا، لا نكاد نُكلِّمه هيبةً له.

وأَشهدُ لقد رأيتُه في بعض مواقفِه -وقد أرخى اللَّيلُ سُدولَه وغارَتْ نجومُه- قابضاً على لِحيتِه، يتمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السّليم، ويبكي بكاءَ الحزين، فكأنّي أسمعُه الآنَ وهو يقول:

يا ربّنا، يا ربّنا -يتضرّع إليه- ثمّ يقول: **يا دنيا، غُرِّي غَيْري، أَلِي تعرَّضْتِ؟ أم إليَّ تَشَوَّفْتِ؟ هيهاتَ هيهاتْ، قد بَتَتُّكِ (طلّقتُكِ) ثلاثاً لا رجعةَ فيها، فعُمرُكِ قصير، وخَطَرُكِ كبير، وعَيْشُك حقير. آهٍ آهٍ من قلّة الزّاد، وبُعدِ السّفر، ووَحشةِ الطّريق.**

[.. فقال معاوية]: فكيف حُزنُك عليه يا ضِرار؟

قال: حُزْنُ من ذُبِحَ وَلَدُها بحِجْرها، فهي لا ترقأُ عبرتُها، ولا يَسْكُنُ حزنُها.

(المصدر، ج ١: ص ٣٢٨، دار التعارف)

خصالُ أمير المؤمنين، في حوارِيّة ابنِ دأْب

«جُمِعت في صفاتك الأضدادُ»

إعداد: «شعائر»

بين يدَي القارئ حواريّةٌ أنشأها مؤرِّخٌ أديب، من أبرز وجوه التاريخ والأدب في القرن الثاني الهجري. تتركّز الحواريّة على خصال الدِّين والدُّنيا التي اجتمعت لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والتي لم تجتمع لغيره، فكان ذلك سبب حَسَدِهم له عليه السلام.

ما يلي مقتطفاتٌ -بتصرُّف- من هذه الحواريّة المبسوطة جدّاً، والتي كانت «شعائر» قد اختارت ما ورد فيها حول موقف الإمام عليه السلام من المال، وتمّ نشرُه في عدد شهر رجب من السنة الماضية.

أورد العلّامة المجلسي في (بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٩٧ – ١٠٠، مؤسسة الوفاء) عن كتاب (الإختصاص) المنسوب إلى الشيخ المفيد مسنداً، إلى ابن دَأْب أنّه قال:

«لقيتُ النّاس يتحدّثون أنّ العرب كانت تقول: إنْ يبعثِ اللهُ فينا نبيّاً يكون في بعض أصحابِه سبعون خصلةً من مكارم الدّنيا والآخرة، فنظروا وفتّشوا هل يجتمع عشرُ خصالٍ في واحد، فضلاً عن سبعين، فلم يجدوا خصالاً مجتمعةً للدِّين والدّنيا، ووجدوا عشرَ خصالٍ مجتمعةً في الدّنيا وليس في الدِّين منها شيء، ووجدوا زهير بن حباب الكَلبي، ووجدوه شاعراً، طبيباً، فارساً، منجِّماً، شريفاً، أيّداً، كاهناً، قائفاً، عائفاً، زاجراً، وذكروا أنّه عاش ثلاثمائة سنة "..."

قال ابن دأب: ثمّ نظروا وفتّشوا في العرب -وكان الناظرُ في ذلك أهلُ النَّظر- فلم يجتمع في أحدٍ خصالٌ مجموعةٌ للدِّين والدنيا بالاضطرار على ما أحبّوا و كرهوا إلّا في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فحسدوه عليها حسداً أنغلَ القلوب، وأحبطَ الأعمال، وكان أحقّ النّاس وأولاهم بذلك، إذ هدمَ اللهُ عزَّ وجلّ به بيوتَ المشركين، ونصر به الرّسول، واعتزّ به الدِّين في قتلِه مَن قتَل من المشركين في مغازي النبيّ صلى الله عليه وآله.

قال ابنُ دأْب: فقلنا لهم: وما هذه الخصال؟

قالوا: * المواساة للرّسول صلى الله عليه وآله * وبذْلُ نفْسِه دونَه * والحَفيظة * ودفعُ الضّيم عنه * والتصديقُ للرّسول بالوعد * والزُّهد * وترْكُ الأمل * والحياء * والكرَم * والبلاغة في الخُطب * والرِّئاسة * والحلم * والعِلم * والقضاءُ بالفَصل * والشّجاعة * وترْكُ الفرح عند الظَّفَر* وتركُ إظهارِ المرَح * وتركُ الخديعةِ والمكرِ والغَدر* وترْكُ المُثْلَة وهو يقدرُ عليها * والرّغبةُ الخالصةُ

عيسى بنُ دَأْب؟

قال المحدّث الشيخ عباس القمّي:

(إبنُ دأب): أبو الوليد، عيسى بنُ يزيد بن بكر بن دأْب، كفَلْس. كان من أهل الحجاز من كنانة، معاصراً لموسى الهادي العباسي، وكان من أكثر أهل عصره أدباً وعلماً ومعرفةً بأخبار النّاس وأيّامِهم، وكان موسى الهادي يدعو له متّكئاً [بمتّكأ]، ولم يكن غيرُه يطمع منه في ذلك، وكان يقول له: «يا عيسى ما استطلت بك يوماً ولا ليلة، ولا غبتَ عنّي إلّا ظننت أنّي [إلّا تمنّيتُ أن] لا أرى غيرك».

ذكر المسعودي في مروج الذهب بعضَ أخباره مع الهادي ثمّ قال: ولابن دَأْب مع الهادي أخبارٌ حِسان يطول ذكرُها، ويتّسعُ علينا شرحها، ولا يتأتّى لنا إيرادُ ذلك في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز. انتهى.

أضاف المحدّث القمّي: (قلت) ويظهر -من روايةٍ نقلَها صاحب (الإختصاص) عنه في الخصال الشّريفة التي جُمعت في أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تجتمع في أحدٍ غيره- تشيُّعُه، والرواية طويلة أوردها العلّامة المجلسي في البحار (التاسع: ص ٤٥٠، يقصد الطبعة القديمة) لا يحتمل المقام ذكرها.

أضاف المحدّث القمّي أيضاً: قال ابنُ قتيبة: لابنِ دأْب عَقِبٌ بالبصرة، وأخوه يحيى بن يزيد، وكان أبوهما يزيد أيضاً عالماً بأخبار العرب وأشعارها، وكان شاعراً أيضاً، والأغلب على آل دأْب الأخبار. انتهى.

(الشيخ عباس القمي، الكنى والألقاب، ج ١: ص ٢٨١)

إلى الله تعالى * وإطعامُ الطّعام على حبِّه * وهَوَانُ ما ظفرَ به من الدّنيا، عليه * وترْكه أن يفضِّلَ نفْسَه ووُلدَه على أحدٍ من رعيّتِه * وطعمه (طعامه) أدنى ما تأكلُ الرّعيّة * ولباسُه أدنى ما يلبسُ أحدٌ من المسلمين * وقسمُه بالسّويّة * وعدلُه في الرعيّة * والصّرامة في حربِه وقد خذله النّاس، فكان في خَذْل النّاس وذهابهم عنه بمنزلةِ اجتماعهم عليه طاعةً لله وانتهاءً إلى أمره * والحفْظ، وهو الذي تُسمّيه العربُ العقل حتّى سُمِّيَ أُذناً واعية * والسّماحة * وبثُّ الحكمة * واستخراجُ الكلمة * والإبلاغُ في المَوعظة * وحاجةُ النّاس إليه إذا حضر حتّى لا يؤخذ إلّا بقولِه * وانغلاقُ ما في الأرض على النّاس حتّى يستخرجَه * والدّفعُ عن المظلوم * وإغاثةُ الملهوف * والمُروءة * وعِفّةُ البطن والفرج * وإصلاحُ المال بيدِه ليستغني به عن مال غيرِه * وترْكُ الوهن والاستكانة * وتركُ الشّكاية في موضعِ ألمِ الجراحة * وكتمانُ ما وُجِد في جسده من الجراحات من قرنِه إلى قدمِه؛ وكانت ألفَ جراحةٍ في سبيل الله * والأمرُ بالمعروف * والنّهيُ عن المنكر* وإقامةُ الحدود ولو على نفسِه * وتركُ الكتمان في ما لله فيه الرّضا {ولو} على ولدِه * وإقرارُ النّاس بما نزلَ به القرآن من فضائلِه * وما يحدِّثُ النّاس عن رسول الله ﷺ من مناقبه * واجتماعُهم على أنّه لم يردّ على رسول الله ﷺ كلمةً قَطّ * ولم ترتعد فرائصُه في موضعٍ بعثَه فيه قَطّ * و شهادةُ الذين كانوا في أيّامه أنّه وفّرَ فَيئَهم، وظَلَف نفسَه عن دنياهم، ولم {يَرْتَشِ} في أحكامِهم * وزكاءُ القلب * وقوّةُ الصّدر عندما حكمتِ الخوارجُ عليه، و هرب كلّ مَن كان في المسجد وبقيَ على المنبر وحدَه * وما يحدِّثُ النّاسُ أنّ الطّيرَ بكتْ عليه * وما رُوي عن ابن شهاب الزّهريّ أنّ حجارة أرضِ بيت المَقدس قُلِبت عند قتلِه فوُجد تحتَها دمٌ عبيط * والأمرُ العظيم حتّى تكلّمت به الرّهبانُ وقالوا فيه * ودعاؤه النّاس إلى أن يسألوه عن كلِّ فتنةٍ تُضلّ مائةً أو تهدي مائة * وما روى الناس من عجائبِه في إخباره عن الخوارج وقتْلِهم* وتركُه مع هذا أن يظهر منه استطالةٌ أو صلَف * بل كان الغالبُ عليه إذا كان ذلك غلبةُ البكاء عليه والاستكانة لله، حتّى يقول له رسول الله ﷺ **ما هذا البكاءُ يا عليّ؟** فيقول: **أبكي لرضا رسول الله** ﷺ **عنّي**، فيقول له رسول الله ﷺ: **إنّ اللهَ و ملائكتَه ورسولَه عنك راضون** * وذَهابُ البرد عنه في أيّام البرد * وذَهابُ الحرِّ عنه في أيّام الحرّ، فكان لا يجدُ حرّاً ولا برداً * والتأييدُ بضرب السّيف في سبيل الله * والجمال "..." : أشرف يوماً على رسول الله ﷺ فقال: **ما ظننتُ إلّا أنّه أشرفَ عليَّ القمرُ ليلةَ البدر** * ومباينتُه للنّاس في إحكامِ خَلْقِه "..." بعيد ما بين المَنكبين، وإنّ ساعدَيه لا يستبينان من عَضُدَيه من إدماجِهما من إحكامِ الخلْق، لم يأخذ بيدِه أحداً إلّا حبسَ نَفَسَه، فإنْ زادَ قليلاً قتَلَه.

***

فقلنا: فما التصديقُ بالوعد؟ قالوا: قال له رسول الله ﷺ وأخبرَه بالثواب والذّخر، وجزيلِ المآب لمن

جاهد محسناً بمالِه ونفسِه ونيّته، فلم يتعجّل شيئاً من ثواب الدّنيا عوضاً من ثواب الآخرة، لم يفضّل نفسه على أحدٍ للّذي كان منه، وتركَ ثوابَه ليأخذَه مجتمعاً كاملاً يوم القيامة، وعاهدَ الله أن لا ينال من الدّنيا إلا قدْر البُلْغَة، ولا يَفْضل له شيءٌ ممّا أتعبَ فيه بدنَه، ورشحَ فيه جبينُه إلّا قدّمه قبله، فأنزل الله {تعالى}: ﴿..وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ..﴾ البقرة:١١٠.

* "..." **ثمّ العلم**. فكم من قولٍ قد قالَه عمر : لولا عليٌّ لَهلكَ عمر.

* **وأمّا غِناه عن النّاس**. فإنّه لم يوجَد على باب أحدٍ قَطّ يسألُه عن كلمةٍ، ولا يستفيدُ منه حرفاً. [أي: ولم يوجَد على باب أحدٍ يستفيد منه حرفاً]

* **ثمّ المَشورة** في كلّ أمرٍ جرى بينهم حتّى يجيئَهم بالمخرج.

* **ثمّ القضاء**. لم يتقدّم إليه أحدٌ قطّ فقال له: عُد غداً أو دفعَه، إنّما يفصلُ القضاءَ مكانَه، ثمّ لو جاءَه بعدُ لم يكن إلّا ما بدرَ منه أوّلاً.

* **ثمّ الشجاعة**. كان منها على أمرٍ لم يسبِقْهُ الأوّلون، ولم يُدرِكْهُ الآخرون من النّجدَة والبَأس "..." وذكروا أنّ رسول الله ﷺ حملَه على فرسٍ فقال: **بأبي أنت وأمّي، أنا، ما لي وللخيل؟ أنا لا أَتْبعُ أحداً، ولا أفرُّ من أحد، وإذا ارتديت سيفي لم أضعْهُ إلّا للّذي أرتدي له.**

* **ثمّ هوانُ ما ظفرَ به من الدّنيا عليه**. إنّه جمعَ الأموال ثمّ دخل إليها فقال:

هذا جَناي وخيارُه فيه وكلّ جانٍ يدُه إلى فيه.

ابيضّي واصفرّي، وغُرّي غيري؛ أهلَ الشام غداً إذا ظهروا عليكِ.

وقال: أنا يَعسوبُ المؤمنين، والمالُ يعسوبُ الظَّلَمَة.

* **ثمّ تَرْكُ التفضيل لنفسِه وولدِه على أحدٍ من أهل الإسلام**. دخلتْ عليه أختُه أمُّ هانئ بنتُ أبي طالب، فدفع إليها عشرين درهماً، فسألت أمُّ هانئ مولاتَها العجميّة فقالت: كم دفعَ إليك أميرُ المؤمنين؟ فقالت: عشرين درهماً، فانصرفتْ مسخطَة، فقال لها: **انصرِفي رحمكِ الله، ما وجدَنا في كتابِ الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق**"...".

وقامَ خطيباً بالمدينة حين ولِيَ فقال: **يا معشرَ المهاجرين والأنصار. يا معشرَ قريش. إعلموا -واللهِ- أنّي لا أَرزؤكم** [لا أُنقِصُكم، أي لا آخذ لنفسي] **من فيئِكم شيئاً ما قامَ لِي عَذقٌ** [نخلة] **بيثرب، أفتروني مانعاً نفسي وولدي ومُعطيكم؟ ولَأُسوِّينَّ بين الأسود والأحمر.**

فقام إليه عقيلُ بن أبي طالب فقال: لَتَجْعلني وأسودَ من سودان المدينة واحداً؟ فقال له: **إجلس، رحمكَ اللهُ تعالى، أما كانَ هَهنا مَن يتكلّمُ غيرُك؟ وما فضلُك عليه إلّا بسابقةٍ أو تقوى**"...".

حسدت العربُ أميرَ المؤمنين عليه السلام حسداً أنغلَ القلوب، لِما عاينوه من اجتماع خصال الدّين والدّنيا في شخصه عليه السلام دون سواه من صحابة النبيّ صلّى الله عليه وآله، إذ به هدمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بيوتَ المشركين، ونصرَ رسولَه صلى الله عليه وآله...

من خصال أمير المؤمنين عليه السلام التي اجتمعتْ عليها كلمةُ العرب: إقرارُهم بما نزل به القرآنُ الكريمُ من فضائله، وما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله من مناقبه؛ ومنها قوله له حين دخل عليه: أشرفَ عليَّ القمرُ ليلةَ البدر، وقَضاؤه عليه السلام بالفَصل، وحاجةُ النّاس إليه إذا حضرَ حتّى لا يؤخذ إلّا بقوله.

تدوينُ السِّيرة
قراءة في المَنهج

الشيخ حسين كوراني

لم تكن إمبراطوريات الجَور وفيّةً لرسول الله ﷺ، بل كان كلُّ همِّها الحكمُ باسمه، ولذلك كان الإصرارُ على الفصلِ بين العقيدة، والسِّيرة، وقد شكّلَ ذلك المنطلَقَ للشُّبهة المتداولة في فصل «بَشَريَّة الرّسول» عن الوحي والرّسالة.

حول الفصل بين العقيدة والسِّيرة، كتب الشيخ حسين كوراني، ما يلي:

«شعائر»

تواجهُ منهجَ كتابة السِّيرة إشكاليّتان:

* **الأولى**: اعتماد «الحَوْل» وحدة سردِ الأحداث بدلاً عن الموضوعات.

* **الثانية**: الفصلُ بين السّيرة، وبين ما أجمعَ عليه المسلمون من أنّ رسول الله ﷺ، هو سرُّ الخلق بإذنِه تعالى، والشاهد على النبيِّين، و«**الإنسان الأوّل**»، و«**النّورُ الأوّل**» إلى غير ذلك من الثوابت الإسلاميّة المتّفق عليها عبر القرون.

**

* لا يُمكن للمسلم أن يحقّق «**التّأسّي**»، و«**حُسن الإقتداء**» إلّا في ضوء سيرة النبيّ الأعظم ﷺ، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، التي هي في جوهرِها تجلّي الكتاب والسُّنّة، وتفسيرهما العملي، فهل يُتيح المنهجُ المعتمَد في تدوين السيرة، يُسْرَ التواصل مع «**سيرة المعصوم**»؟

تختلف دلالةُ «سيرة المعصوم» عن تاريخ «الحوليّات» الذي يعتمد وحدة السَّنة «الحَوْل» ليثْبت ما بلغَه من تاريخ المعصوم ويدوِّنه.

أبرزُ موارد الإختلاف أنّ من يقرأ تاريخ المعصوم في المصادر المختلفة، يبقى توّاقاً إلى معرفة لُباب سيرة المعصومين عليهم السلام في مفاصل فقهِ القلب والحياة، ولا يقنعُ بالحصيلة التي جمعَها بجهدٍ من ثنايا سرْد الأحداث التي تُقدَّم -في الغالب- بطريقة مشوبة باختلافِ الرّواة، ومستويات تفاعلِهم مع المشهد.

يرى الشهيد مطهّري-بحقّ- أنّ تاريخ الحوليّات «سَيْرٌ» وليس «سِيرة»، أي أنّه عرْضٌ لمَسار الأحداث، وليس استنباطاً للسِّيرة يستكشفُ الرّؤيةَ، ويَنظم المواقفَ المنسجمةَ معها من موضوعٍ محدّد.

وحيث إنّ الحقيقة ذاتُ وجوهٍ وأبعاد، لا بدّ من التعامل معها كلِّها ليُمكن التقاطُ مشهدِها المُكتمل، فمن الطبيعيّ أنْ يتسبّبَ عدمُ إدراج المواقف المرتبطة بموضوعٍ واحدٍ، في سياقٍ واحد، باختلالِ الصّورة الملتقطَة، أو قلبِها جزئيّاً أو كليّاً.

يعني ذلك أنْ يواجه التّواصل مع مفرداتِ السّيرة الموزّعة نقصاً في الإحاطة بالكثير من هذه المفردات، وربّما عجزاً في الرّبط بين ما يندرجُ في موضوعٍ واحد، ويُترجَم هذا وذاك خللاً في المدى المعرفيّ يحدُّ من مساحة التّأسّي، أو يُحدِث حجاباً دونَه، أو قطعاً في سياقِه.

يُخفِّفُ من حدّةِ سلبيّة هذه الإشكاليّة أنّها من باب منهجيّة تدوين السّيرة، رغم أنّها تؤثّر سلباً على

استنباط السّيرة من حيث الوقت وعدم تيسير التّأسّي، بل وربّما حرمان الكثيرين من فوائدها. إنّ الوصول إليها ممكن، لكنّه يحتاجُ الوقتَ الكافي لتنضيدِ المفردات ونظْمِها في موضوعات، والبناء على النتائج، ولا ترقى هذه الإشكاليّة إلى مستوى تقديم معطياتٍ خاطئة قد تتسبّب بأضرارٍ عقائديّة بالغة، كما هو شأنُ الإشكاليّة الثانية.

* الفصلُ بين السّيرة والرؤية التوحيديّة للكون والإنسان

يُجمِعُ المسلمون على ثلاثة أُسُس:

الأوّل: أنّ خلْق الله تعالى للإنسان وكَوْنه الماديّ، قد بدأ بخلقِ أوّل نبيٍّ هو آدم عليه السلام.

الثاني: أنّ مشروع الهُدى الإلهي: ﴿..فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى..﴾، كان يعني في عِلم الله تعالى إرسالَ الأنبياء وإنزالَ الرّسالات السّماويّة على مراحل، خاتمتُها القرآن الكريم المنزلُ على سيّد النبيّين وخاتمهم صلى الله عليه وآله.

الثالث: وعندما يُطرَحُ السّؤال عن معنى الخاتميّة، نجدُ الإجماع على أنّها خاتميّة البِعثة فقط، لأنّه صلى الله عليه وآله أوّلُ الأنبياءِ خلْقاً وآخرُهم بَعْثاً، كما أثبتَ ذلك عنه المسلمون على اختلاف مذاهبِهم، عبر رواياتٍ متعدّدة تصرِّحُ جميعاً بخلْقِه وثبوت نبوّته صلى الله عليه وآله، وآدمُ عليه السلام «**مُنجدِلٌ في طينتِه**» أو «**منخولٌ في طينتِه**» أو «**بين الطِّين والماء**»، وغير ذلك.

لا يتعارضُ هذا المعنى للخاتميّة مع الأساس الأوّل، لأنّ الحديث في الأوّل عن خلْقِ الإنسان من ماءٍ وتراب، وبهذا المعنى كان النبيُّ آدم عليه السلام أوّلَ إنسانٍ خلقَه الله تعالى، إلّا أنّ أبا البشر والنبيَّ الأوّل في التّسلسل حين فتح عينيه رأى أنواراً -كما يُصرِّح الشيخ المفيد في عرْضه للصّحيح من الرّوايات- فسألَ اللهَ تعالى عنها، وجاءَه الجواب الإلهي: «**محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ولولاهم ما خلقتُك**».

وعندما نرجع إلى المصادر الأمّ نجدُ كبارَ العلماء يتحدّثون عن بَدء الخلق بلغةٍ واحدة؛ من حيث الخطّ العريض العامّ الذي يُترجَم باختصار إلى أنّ رسول الله محمّداً صلى الله عليه وآله هو الإنسانُ الأوّل، وقُطبُ دائرةِ الإمكانِ والوجود، وفي الرّوايات التي يقفُ عند بعضها كبارُ المفسّرين بإجلال، أنّ أوّل ما خلقَ اللهُ تعالى: «**نور نبيِّكَ يا جابر**»، «**ومنه خَلَقَ كلَّ خير**».

لست هنا بصدد التفصيل في ذلك ولا الإستدلال عليه، بل أنا بصدَد الإلفات إليه، والتّأسيسِ عليه لموضوع «**تدوين السّيرة**».

السؤالان المركزيّان المحيِّران:

١- لماذا يتمُّ تغييبُ هذه الأُسس كلّها عند تدوين السّيرة، فإذا المنهج المعتمَد لتدوين سِيرة «**سرّ الوجود بإذن الله تعالى**» و«**الإنسان الكامل**»، و«**سيّد النبيّين والأوّلين والآخرين**» لا يختلفُ إطلاقاً عن منهج تدوين سيرة أيّ شخص؟

٢- لماذا تتمّ دراسة مفردات السّيرة ومرويّاتها بمعزلٍ عن هذه العَظَمة الإلهيّة لأقرب الخلْق إلى الله تعالى، الذي «**لم يُبعَث نبيٌّ إلّا بالإعتقاد به صلى الله عليه وآله**»؟

* تبدأُ دراسةُ سِيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله من مرحلة الجاهليّة وظُلماتِها، وقريش وانحرافاتِها، ومكّة وأصنامها، ليُقدَّم رسول الله صلى الله عليه وآله كفردٍ من هذه البيئة، إلّا أنّه مختلفٌ عنها جذريّاً، فهو الصّادق الأمين، المتعبّد في غار «حِراء»، وينطلق التدوين في المسار المعروف الحافل بما لا يتناسب مع عَظَمته صلى الله عليه وآله، حتّى عند مَن غابت عنه الأُسسُ المتقدّمة.

* أكتفي هنا بذكرِ نموذجٍ واحدٍ من هذه المُنافيات للعَظَمة المحمّدية، وهي ما درج على تلقينِه غالبُ تدوين السّيرة من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله -والعياذُ بالله- لم يتأكّد من نبوّته إلّا عندما طَمْأَنَه ورقةُ بنُ نوفل!!

أخلُصُ من ذلك إلى توكيد عظيم الفائدة الحصريّ للبَدء بتدوين سيرة رسول الله ﷺ من مرحلة ما قبل الخلْق، من النّشأة الأولى، بعد تصفية الرّوايات الكثيرة جدّاً حول تلك المرحلة لِيتمّ اعتمادُ المتّفق عليه بين المسلمين، وهو ما أولاه كبارُ العلماء عنايةً قصوى عبر القرون.

سنَجدُ أنّ محاور البحث في هذا المجال متعدّدة جداً ورواياتُها وفيرة، وبينها رواياتٌ مبسوطة جدّاً.

من هذه المحاور: بَدْءُ الخَلْق. روايات النُّور وهي حوالي المائتي رواية. روايات الطِّينة. روايات عالم الذرّ، أو النشأة الأولى كما يرجِّح هذه التّسمية السيّد الطّباطبائي في (تفسير الميزان). روايات أَخْذ ميثاقِ النبيّين والشهادة على الأنبياء.

كما سنجد أنّ هذه الرّوايات ترتبط بآياتٍ من كتاب الله تعالى، وأنّ البحث فيها قرآنيٌّ بامتياز، وأنّ العلماء اعتمدوا في دراستِها وتحليلِها نفس المنهج الإستنباطي الفقهي، الذي هو أرقى تجليّات «المنهج العقلي»، وهو بدوره مصدر «قيمة» «المنهج التّجريبي»، كما ثبت في محلِّه.

[يراجع: (في المنهج: ألمعصوم والنّصّ)، للكاتب]

تصحيحُ الإعتقاد برسول الله ﷺ، هو الحيلولة دون المعرفة الناقصة الناشئة من الفصلِ بين العقيدة والسّيرة، والتي قد تستقرُّ على نقصِها فيُمضي المسلمُ عمرَه محروماً من الإعتقاد برسول الله ﷺ بما يتناسب مع ما أجمعَ عليه المسلمون

* أبرزُ إيجابيّات هذا المنهج:

يُمكن اختصارُ سلبيّات المنهج المعتمَد فعلاً في تدوين السّيرة بالفصل بين العقيدة والسّيرة، وعليه فإنّ من بين أبرز إيجابيّات المنهج المقترَح، النتائج التّالية:

أوّلاً: تصحيحُ الإعتقاد برسول الله ﷺ.

ثانياً: تعميقُ حبِّه ﷺ، في العقول والقلوب.

ثالثاً: تَيسيرُ حُسنِ الإقتداءِ به ﷺ.

عنيتُ بتصحيحِ الإعتقاد برسول الله ﷺ، الحيلولة دون المعرفة الناقصة الناشئة من الفصل بين العقيدة والسّيرة، والتي قد تستقرُّ على نقصِها ويُمضي المسلمُ عمرَه محروماً من الإعتقاد برسول الله ﷺ بما يتناسب مع ما أجمعَ عليه المسلمون، وقد تتعافى وتكتمل، وذلك إذا أُتيح للمسلم أن يدرسَ العقيدة الإسلامية بمستوىً معتدٍّ به من العُمق والتفصيل، ليكتشف أنّ عليه أن يُعيدَ النّظرَ في كلِّ ما اختزنَه خلال دراسة السّيرة من مفردات «**حَوليّات**» السّيرة، والرُّؤى التي عقدَ القلبَ عليها، أو بقِيتْ حائرةً يبحثُ لها عن صيغةٍ نهائيّة، قد يطولُ انتظارُ الوصولِ إليها، أو يتعذّر.

وحيث إنّ أكثر المسلمين لا يُتاحُ لهم التعمّق في دراسة العقيدة إلّا بعد الإطلاع على «السّيرة»، فإنّ الخسارةَ في هذا المجال فادحة، تترك أسوأَ الأضرار على تعميق حبِّ المسلم برسول الله ﷺ ، وعلى تَيسير الإقتداء به ﷺ.

يُمكنُ اسيضاحُ بعضِ أبعادِ هذه الخسارة، من خلال استعراض تجربة فردٍ مسلمٍ درسَ السّيرة النبويّة وفقَ المنهج المعتمَد لتدوينها، واختزنَ الكثير من الحوادث والمفردات من قبيل ما تقدّم عن «وَرقة بن نوفل»، وتثبيته -والعياذ بالله- لرسول الله عندما كان «غير موقن»! بنبوّته، أو ترك الرّسول الغنمَ مع صاحبِه ليذهبَ إلى استماعِ الغناء، أو «النّهي عن تأبيرِ النّخل»، أوحمْله بعض نسائِه على عاتقه لتشاهدَ

حفل الغناء في بيت الجيران! أو عدم معرفتِه وجهَ الحكمة في هذا الموقف أو ذاك وتدخُّل بعض الصحابة لحسمِ الموقف بتقديم الرّأي السّديد! ثمّ أُتيح لهذا الفرد المسلم -الذي اختزن هذا وأشباهه، واختزن رؤىً مبنيّة عليها- أن يتعمّقَ في تفسير الآيات التي تتحدّث عن مرحلة ما قبل الخلْق، وأخْذِ ميثاق النبيّين بالإقرار بنبوّة سيّد النبيّين ﷺ، فأيُّ فِصامٍ معرفيٍّ سيكتشفُه في نفسه، وكم تشتدُّ معاناتُه ليستبرئَ ويَطْهُر، ويحسنَ إسلامُه.

* «دفناً دفناً»، و«بشريَّة الرّسول»

من الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى كثرة الوضع والتخليط في نصوص السّيرة، أنّ إمبراطوريات الجَور التي قامت باسم الإسلام، لم تكن وفيّةً لرسول الله ﷺ، بل كانت متسلّقةً تركّز على أمرَين: التّظاهر بالإسلام، وتبهيت عَظَمة رسول الله ﷺ.

قال عليٌّ عليه السلام: «إنّ العرب كرِهت أمرَ محمّدٍ ﷺ، وحَسدته على ما آتاه اللهُ من فضلِه، واستطالت أيّامَه، حتّى قَذفتْ زوجتَه، ونَفّرَت به ناقتَه، مع عظيمِ إحسانِه إليها، وجسيمِ مِنَنِه عندها، وأجمعتْ مذ كان حيّاً على صرف الأمر عن أهل بيتِه بعد موتِه، ولولا أنّ قريشاً جعلت اسمَه ذريعةً إلى الرّياسة، وسُلَّماً إلى العزّ والإمرة، لما عبدتِ اللهَ بعد موته يوماً واحداً، ولَارْتَدّت في حافِرتها، وعاد قارحُها جَذعاً، وبازِلُها بكراً، ثمّ فتح الله عليها الفتوح، فأثْرَتْ بعد الفاقة، وتَمَوَّلَتْ بعد الجهد والمَخمصة، فَحَسُنَ في عيونِها من الإسلام ما كان سَمْجاً، وثبت في قلوب كثيرٍ منها من الدِّين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنّه حقّ، لما كان كذا. ثمّ نسبتْ تلك الفتوح إلى آراء وُلاتِها، وحُسنِ تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكّد عند الناس نباهةُ قومٍ وخمول آخرين، فكنّا نحن ممّن خملَ ذكرُه، وخَبتْ نارُه، وانقطع صوتُه وَصِيتُه، حتّى أكل الدّهرُ علينا وشرِب، ومضت السّنون والأحقابُ بما فيها، ومات كثيرٌ ممّن يعرِف، ونشأ كثيرٌ ممّن لا يَعرف..». (إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠: ص ٢٩٨ – ٢٩٩، إسماعيليان)

ولأنّ فترةَ التأسيس لتدوين السّيرة كما أرادها البلاط، أمويّة بامتياز، فإنّ خير ما يكشف عن الحقد الدّفين الذي كان النّظام الأموي يُكنّه لرسول الله ﷺ، هو الحوار الذي دار بين المُغيرة بن شعبة ومعاوية.

قال المغيرة: «..قلتُ له وقد خلوتُ به: إنّك قد بلغتَ سِنّاً "..." فلو أظهرتَ عدلاً، وبسطتَ خيراً، فإنّك قد كبرت. ولو نظرتَ إلى إخوتِك من بني هاشم، فوصلتَ أرحامَهم، فوَاللهِ ما عندهم اليوم شيءٌ تخافُه، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكرُه وثوابه».

فقال: «هيهاتَ هيهات! أيُّ ذكرٍ أرجو بقاءَه! ملَكَ أخو تَيْمٍ فعدل وفعلَ ما فعل، فما عدا أنْ هلكَ حتّى هلكَ ذكرُه، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملَك أخو عديٍّ، فاجتهدَ وشمّرَ عشر سنين، فما عدا أنْ هلكَ حتّى هلكَ ذكرُه، إلّا أن يقول قائل: عمر. وإنّ ابن أبي كبشة ليُصاحُ به كلَّ يومٍ خمس مرّات: أشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله، فأيُّ عملٍ يبقى، وأيُّ ذكرٍ يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا واللهِ إلّا دفْناً دَفْنا».

(المسعودي، مُروج الذّهب، ج ٢: ص ٥٤، برنامج المكتبة الشاملة)

وفي (شرح النّهج) لابن أبي الحديد أيضاً: «روى أحمد بنُ أبي طاهر في كتاب (أخبار الملوك) أنّ معاوية سمع المؤذّن يقول: **أشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله**، فقال: للهِ أبوك يا ابنَ عبدِ الله! لقد كنتَ عاليَ الهمّة، ما رضيتَ لنفسِك إلّا أن يُقرَنَ اسمُك باسمِ ربِّ العالمين».

* سيرةُ أهل البيت عليهم السلام

* ممّا حمل إمبراطوريّات الجور على التّعتيم على روايات ما قبل الخَلْق، أنّها تتحدّث عن الحقيقة المحمّديّة بما يشمل أهلَ البيت عليهم السلام.

* ولئِن كان حقدُ الأنظمة المتسلِّقة الجائرة على رسول الله صلى الله عليه وآله يحملهم على الوضع والإفتراء لتشويه صورتِه، فإنّ حقدَهم على أهل البيت عليهم السلام، حملَهم على «الدّفن، الدّفن» كما تقدّم في كلام معاوية، بل إنّ أبرز أسباب الحقد على رسول الله صلى الله عليه وآله، هو الحقدُ على أهل البيت عليهم السلام، لسببَين:

الأول: أنّ عليّاً عليه السلام، قتلَ «الآباءَ، والأخوالَ، والإخوة» في جهاده بين يدَي رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثاني: التأكيد الإلهي - النبويّ على عَظَمة أهل البيت، وقيادتهم للأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اكتمال إمامةِ اثنَي عشر إماماً «**كلّهم من قريش**». وهو ما جعل منْعَ أهل البيت من الحكم، وفصْل الأمّة عنهم محور صراع الجاهليّة المركزيّ. يشترك في ذلك الأوّلون من النّواصب والآخرون، الأُمويّون والعباسيّون وغيرهم كابنِ الزّبير الذي ينقل عنه «المسعودي» قوله لابن عبّاس: «**إنّي لَأَكْتُمُ بُغضَكم أهْلَ هذا البيت منذ أربعين سنة!**».

كما ينقل عنه ابن أبي الحديد ما يلي: «وكان عبدُ الله بن الزّبير يُبغِضُ عليّاً عليه السلام، ويَنتقِصُه "..." وروى عمر بن شبّه، وابنُ الكلبيّ، والواقديّ، وغيرُهم من رواة السِّير، أنّه مكثَ أيّام ادّعائه الخلافة أربعين جمعةً لا يُصلّي فيها على النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقال: لا يمنعُني من ذكرِه إلّا أن تشمخَ رجالٌ بآنافها. وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمّر بن المثنى: إنّ له أُهَيْلَ سوءٍ يُنغِضون رؤوسَهم عند ذكرِه».

* سيرةُ أهل البيت عليهم السلام: لا تعدِل برسول الله أحداً

لا فرقَ في منهج تدوين السّيرة أن يكون المدوَّنُ سيرةَ النبيّ صلى الله عليه وآله، أو سيرةَ أهل البيت عليهم السلام، فقد أجمع المسلمون، على وحدة الحقيقة المحمّديّة بجميع تجلّياتها، لا يُناقشُ في ذلك عالمٌ بالقرآن الكريم والسُّنّة النبويّة، شرط أن لا تضربَه لوثةُ بلاط الحكّام المُتَسلِّلين النّواصب.

* «سُئِل الإمام أبو بكر بن داود: أخديجةُ أفضل أم عائشة؟ فأجاب بأنّ عائشة أَقْرَأَها رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من جبرئيل، وخديجة أَقْرَأَها جبرئيلُ السّلامَ من ربهِّا على لسانِ نبيِّه!

فقِيل: خديجة أفضل أم فاطمة؟ فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **فاطمة بضعةٌ مني**، ولا أعدِلُ ببضعةِ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أحداً.

وهو استقراءٌ حَسَن. يشهدُ بذلك أنّ "أبا لُبابة" لمّا ربطَ نفسه وحلف أن لا يحلَّه إلّا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فجاءت فاطمة لِتحلَّه فأبى من أجل قَسمِه، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **إنّما فاطمة بضعةٌ مني** "..." ومن شرفها أنّ المهديَّ الذي يملأُ الأرضَ عدلاً من وُلدِها "..."»

(ابن الدّمشقي، جواهر المطالب، ج ١: ص ١٥١ -١٥٢، دانش)

* وما ينطبق على الصّدِّيقة الكبرى البضعة عليها السلام ينطبقُ على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وعلى مَن كان بحكم الزهراء عليها السلام؛ من أبنائها الأئمّة الذين سمّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالإسم، ورُوي ذلك في روايات مستفيضة في المصادر الشيعيّة والسُّنيّة.

وأَكتفي هنا بذكر رواية واحدة حول اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، في خصائص مرحلة ما قبل الخلْق وغيرها، وهي الرّواية التالية:

قال الشّيخ «الماحوزيّ» في كتابه (الأربعون):

«الحديث الحادي والثلاثون {توسُّل آدم عليه السلام بأصحاب الكساء عليهم السلام}: "الحموي" في كتاب (فرائد السّمطين)، بأسناده عن أبي هريرة، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

لمّا خلقَ اللهُ آدم أبا البشر، ونفخَ فيه من روحِه، التفتَ آدمُ يُمنةَ العرش، فإذا في النّور خمسةُ أشباحٍ سُجّداً وركّعاً.

قال آدم: يا ربِّ هل خلقتَ أحداً من طينٍ قبلي؟

قال: لا يا آدم. [لا ينافي أنّهم عليهم السلام كانوا أنواراً، كما هو واضح]

قال: فمَن هؤلاء الخمسة الذين أَراهم في هيئتي وصورتِي؟

قال: هؤلاء خمسةٌ من وُلدِك، لولاهم ما خلقتُك، هؤلاء خمسةٌ شَققتُ لهم خمسةَ أسماءٍ من أسمائي، لولاهم ما خلقتُ الجنّة ولا النّار، ولا العرشَ ولا الكرسيّ، ولا السّماءَ ولا الأرض، ولا الملائكةَ ولا الجنَّ ولا الإنس.

فأنا المحمودُ وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطرُ وهذه فاطمة، وأنا ذو الإحسان وهذا الحَسن، وأنا المُحسِنُ وهذا الحسين، آليتُ بعزّتي أنّه لا يأتيني أحدٌ بمثقالِ ذرّةٍ من خردلٍ من بغضِ أحدِهم إلّا أدخلتُه ناري ولا أبالي.

يا آدم، هؤلاء صفوتي من خَلْقِي، بهم أُنجِيهم وبهم أُهلِكُهم، فإذا كان لك إليَّ حاجةٌ فَبِهؤلاء توسّل.

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: **نحنُ سفينةُ النّجاة، مَن تعلّقَ بها نجا، ومن حادَ عنها هلك، فمَن كان له إلى الله حاجة، فَلْيَسأَل بنا أهلَ البيت».**

أضاف الشيخ الماحوزي: «أقول: أمثالُ هذه الأخبار لا تُحصى كثرةً، وفيها دلالةٌ قاطعةٌ على أفضليّتِه عليه السلام، بل أفضلية زوجتِه فاطمة عليها السلام، ووَلدَيه الحسن والحسين عليهما السلام على مَن عدا النبيّ صلى الله عليه وآله، حتّى أُولي العَزم، والأخبارُ به مستفيضة، وقد أفردَها بعضُ أصحابِنا بالتّصنيف..».

(الشيخ الماحوزي، كتاب الأربعين: ص ٣٩٥، مطبعة أمير)

* سيرة أمير المؤمنين عليه السلام

* يُحتِّمُ اعتمادُ هذا المنهج في تدوين سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، وفرةُ العلماء الشيعة والسنّة الذين تحدّثوا عن الرّوايات المشتركة بين سيّد النبيّين وسيّد أوصيائه، ومن محاور هذه الروايات:

١ – أنّهما نورٌ واحد.

٢ – وأنّ الأنبياء بُعثِوا على الإقرار بولاية سيّد النبيّين، وولاية أمير المؤمنين صلّى الله عليهما وآلهما.

* من روايات المحور الأول:

أ– «أورد ابنُ شيرويه الدّيلمي –وهو من أعيان العلماء السُّنة– في كتاب (الفردوس، في باب الخاء)، قال بإسناده عن سلمان الفارسي –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **خُلِقْتُ أنا وعليّ من نورٍ واحدٍ قبلَ أن يخلقَ اللهُ آدمَ بأربعةِ آلاف عام، فلمّا خلقَ الله تعالى آدمَ ركّب ذلك النّور في صُلبِه، فلم نزَل في شيءٍ واحدٍ حتّى افترقنا في صُلب عبدِ المطّلب، فَفيَّ النبوّة، وفي عليٍّ الخلافة».** (السيد هاشم البحراني، غاية المرام، ج ١: ص ٣٠– بتصرّف)

ب– قال السيّد ابن طاوس : «..قولُه صلى الله عليه وآله: **كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدَي الله.** فمن ذلك ما رواه أحمدُ بن حنبل [في] مُسندِه عن زاذان عن سلمان قال: سمعتُ حبيبي رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: **كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدَي الله عزَّ وجلّ قبل أن يخلق آدمَ بأربعة عشر ألف عام ، فلمّا خلق اللهُ تعالى آدم قسم ذلك النّور جزئَين، فجزءٌ أنا وجزءٌ عليّ..».** (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ١٥، الخيام)

*** ومن روايات المحور الثاني:**

قال السيّد علي الميلاني في (نفحات الأزهار):

* «حديثُ بعْث الأنبياء على ولاية سيّدنا عليٍّ عليه السلام، وقد رواه جماعةٌ من أعلام أهل السُّنّة، ومنهم: ١- الحاكم النيسابوري. ٢- أبو إسحاق الثّعلبي. ٣- أبو نعيم الأصفهاني. ٤- الخطيب الخَوارزمي. ٥- عبد الرزّاق الرّسعني. ٦- السيّد علي الهمداني. ٧- السيّد شهاب الدين أحمد. ٨- شمس الدين الجيلاني. ٩- عبد الوهاب بن محمّد رفيع الدين أحمد. ١٠- ميرزا محمّد البدخشاني».

* ثمّ استعرضَ السيّد الميلاني روايةَ كلٍّ من العلماء المتقدّمة أسماؤهم، أكتفي هنا بذكر بعضها. قال:

أ- رواية الحاكم: رواه بسندِهِ عن عبد الله بن مسعود حيث قال: حدّثني محمّد بن المظفّر الحافظ، نا [مختصر حدّثنا] عبد الله بن محمّد بن غزوان، نا عليّ بنُ جابر، نا محمّد بن خالد بن عبد الله، نا محمّد بن فضيل، نا محمّد بن سوقة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**أتاني ملَكٌ فقال يا محمّد: واسأَل مَن أرسلنا من قبلِك من رُسلِنا على ما بُعِثوا**، قال: **قلتُ: على ما بُعِثوا؟ قال: على ولايتِك وولايةِ عليٍّ بنِ أبي طالب**». قال الحاكم: تفرّد به عليُّ بن جابر عن محمد بن خالد عن محمد بن فضيل، ولم نكتب إلّا عن ابن مظفّر، وهو عندنا حافظٌ ثقةٌ مأمون.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أتاني ملَكٌ فقال يا محمّد:

واسأَل مَن أرسلنا من قبلِك

من رُسلِنا على ما بُعِثوا،

قال: قلتُ: على ما بُعِثوا؟

قال: على ولايتِك وولايةِ

عليِّ بنِ أبي طالب».

(الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث)

ب- رواية شهاب الدين أحمد: رواه عن أبي هريرة قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: «**لمّا أُسْرِيَ بي ليلةَ المعراج فاجتمعَ عليَّ الأنبياءُ في السّماء فأوحى اللهُ إليَّ: سَلْهُمْ يا محمّد، بماذا بُعِثتُم؟ قالوا: بُعِثنا على شهادة أنْ لا إله إلّا الله، وعلى الإقرار بنُبوّتك، والولاية لعليِّ بنِ أبي طالب**».

أوردَه الشيخ المرتضى العارف الربّاني السيّد شرف الدين عليّ الهمداني في بعض تصانيفه وقال: رواه الحافظ أبو نعيم.

ج- رواية عبد الوهاب بن محمّد: رواه عن أبي نعيم الأصبهاني عن أبي هريرة، مثله.

(السيد علي الميلاني، نفحات الأزهار: ج ٥، ص ٢٥٨، مهر)

* لدى تطبيق هذا المنهج في تدوين السّيرة، سنَجِدُ التّلازم بين سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وسيرة سيِّدِ أوصيائه عليه وعليهم السلام، مبدأً متأَصّلاً تناول العلماءُ المسلمون عبر القرون رواياتِه الكثيرةَ بالبحث والتّحليل، إلّا أنّها بقِيت في مظانّها لا يصلُ إليها إلّا مَن تعمّدَ البحث والتّنقيب، ولو أنّها كانت قد أُوردت كمدخلٍ إلى السِّيرة –سواءً سيرة النبيّ أم الوصيّ صلّى الله عليهما وآلهما– لَاختَلفَ الأمر، وأمكنَ انتشارُها بين النّاس على نطاقٍ واسع.

* هَبْ أنّ العذرَ في ما مضى كان يتداخلُ مع بطش إمبراطوريات الجَور، وتعقُّبهم كلَّ مَن يتحدّث في فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، فما عذرُ مَن يُصِرُّ على تغييب هذا الحشد الكبير من الرّوايات، وهي على العموم تُقدِّم تفسيراً لآياتٍ من القرآن الكريم، في المراحل والأجواء التي يُمكن فيها تقديمُ هذه الرّوايات، خصوصاً في عصرنا حيث أصبحَ بالإمكان إيصالُ المعلومة إلى أربع رياح الأرض بغاية اليُسر وأدنى كلفة.

***

يبقى من الضّروريّ جداً، الوقوف على أبرز العَقبات التي تمنعُ اعتمادَ هذا المنهج، وهي الخلافُ المنهجيّ الجوهريّ، المُتمثِّلُ بعلاماتِ الإستفهام العريضة عند طيفٍ من الإسلاميّين في كلِّ بلدٍ إسلامي، يوصِدُ كلَّ منافذَ الفِكر والتأمّل والسُّماع والحوار دون مَن يريد أن يحدِّثه أو يتحدَّث بروايات «ما قبل الخَلْق» و«عوالم النّور»، و«النّور الواحد»، و«النّشأة الأولى» عموماً.

يرى غالبُ هذا الطّيف أنّ كلَّ هذا أو جُلَّه تجديفٌ وإسرائيليّات، ويرى أَمْثلُهم طريقةً أنّ النّجاة في الإحتياط، فمِمّا يُغتَنم عدمُ التعرّض لهذه الروايات، والضّرْبُ عنها صفحاً!

لقد تعاظم هذا الطّيفُ مع تَغلغُل الغزو الثقافي في مفاصل الأُمّة التعليميّة والتربويّة، فالغزو الثقافيّ يعني بدءَ اجتياح الثقافةِ الماديّة للثقافةِ الإنسانيّة بما هو الإنسان روحٌ وجَسد، وهي حصراً الثقافة الدينيّة، بل الإسلاميّة منها بالخصوص.

وبديهيٌّ أنّ الغيبَ نقيضُ «الشّهادة» التي تحشرُ الثقافةُ الماديّةُ الوجودَ ببعضِ أجزائها. لذلك كان عدوانُ الغزو الثقافي -وما يزال- مُنصبّاً على الغَيب والغَيبيّات؛ ومن أبرز مصاديقِهما ما يرتبطُ بحديث الخَلْق، وما قبل الخلْق.

مع الإمام الخميني بدأت الأمّة تتعرّف على آفاقٍ ثقافيّة عقائديّة، كان سدُّ الغزوِ الثقافي والموج المتلاطم للحداثة المغلوطة والعقلانيّة المدّعاة، قد حال دونَها، فإذا كثيرٌ منا في عداد ﴿المُغْرَقين﴾.

ظلَّ تعاظمُ هذا الطّيفِ المَغزوِّ ثقافياً -وهو يحسبُ أنّه يُحسِن صنعاً- في مسار تعاظمٍ مُطّرد، إلى انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، بقيادة عبدٍ صالحٍ فقيهٍ نوعيّ، وفيلسوفٍ من الدّرجة الأولى.

مع الإمام الخميني بدأت الأمّة تتعرّف على آفاقٍ ثقافيّة عقائديّة، كان سدُّ الغزوِ الثقافيِّ والموج المتلاطمِ للحداثة المغلوطة والعقلانيّة المدّعاة، قد حال دونَها، فإذا كثيرٌ منا في عداد ﴿المُغْرَقين﴾.

اكتشفنا مع الإمام الخميني أنّ لغة «**النّور الأوّل**» و«**النّور الواحد**» وروايات «**الطِّينة**» وغيرها، ليست «طلاسم»، ولا «إسرائيليّات»، بل هي لغةُ القرآن الكريم، والرّوايات الشريفة، لغة ﴿..أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ..﴾ البقرة:٣٣، ولغة «**نورُ نبيِّك يا جابر**».

واكتشفنا مع أبي مصطفى رضوان الله تعالى عليه، أنّ اللّغة التي طالما اعتبرناها رطانةً يُعرِض أَمْثلُنا عنها لأنّه لا يفهمُها ولا يريدُ أن يفهمَها، ويتوجّسُ منها خيفةَ الإنحراف، عنيتُ لغةَ: «العقل الكلّ»، و«جمْع الجمْع» و«السِّرّ المُقنَّع بالسِّر»، وما شابه ذلك، هي لغةٌ علميّةٌ تخصّصيّة، كتب الإمام عنها في رسالتِه إلى غورباتشوف ما حاصله: أنّ المتميّز بذكائه يحتاجُ إلى عمرٍ مديدٍ ليتعاملَ مع كنوزِها والأسرار.

* يُشكِّلُ التصالحُ مع «**خطّ الإمام**»، وَوَعْي أنّه لا ينحصرُ بالسّياسة والثورة على الطّاغوت، مدخلاً إلى التّصالح مع هذه الخزائن العقائديّة المُغيَّبة.

رَغِدَ العَيْشُ فَزِدْهُ رَغَدا

العلّامة الشيخ إسماعيل الشيرازي

قال العلّامة الأميني في (الغدير): الحاج ميرزا إسماعيل الشيرازي المتوفّى ١٣٠٥ للهجرة، أحدُ شعراء الغدير من حُجج الطائفة، يأتي ذكرُه في شعراء القرن الرابع عشر، له قصيدة موشّحة في المولود المقدَّس (الإمام علي عليه السلام)، ألا وهي:

حَبّذا آناءُ أُنْسٍ أَقْبَلَتْ ... أَدْرَكَتْ نفسي بها ما أَمَّلَتْ
وَضَعَتْ أُمُّ العُلَى ما حَمَلَتْ ... طاب أصلاً وتعالى مَحْتِدا
مالكاً ثِقْلَ وِلاءِ الأُمَمِ

آنسَتْ نَفْسِي من الكعبةِ نُورْ ... مثلَ ما آنسَ موسى نارَ طُورْ
يوم غَشِي الملأَ الأعْلى سُرورْ ... قَرَعَ السَّمعَ نداءٌ كنِدا
شاطئِ الوادي طِوَى من حرَمِ

وَلَدَتْ شمسُ الضُّحى بدرَ التَّمامْ ... فانْجَلَتْ عنا دَياجِيرُ الظَّلامْ
نادِ: يا بُشراكُمُ هذا غلامْ ... وجهُه فَلْقَةُ بَدْرٍ يُهتدَى
بِسَنا أنواره في الظُّلَمِ

هذه فاطمةٌ بنتُ أَسَدْ ... أَقْبَلَتْ تَحْمِلُ لاهوتَ الأبدْ
فاسجدوا ذلّاً له في مَن سَجَدْ ... فله الأملاكُ خَرَّتْ سُجَّدا
إذْ تَجَلَّى نورُه في آدمِ

كُشِفَ السِّتْرُ عن الحقِّ المبينْ ... وتجلّى وجهُ ربِّ العالمينْ
وبدا مصباحُ مِشكاةِ اليقينْ ... وبَدَتْ مُشرِقةً شمسُ الهدى
فانْجلى ليلُ الضَّلالِ المُظْلِمِ

نُسِخَ التأبيد من نَفْيِ «ترى» ... فأرانا وَجْهَهُ ربُّ الورَى
ليتَ موسى كان فينا فَيرى ... ما تمنّاه بطُورٍ مُجْهَدا
فانثنى عنهُ بكفَّيْ مُعْدِمِ

هل دَرَتْ أمُّ العُلى ما وضَعَتْ؟ ... أمْ دَرَتْ ثَدْيُ الهُدى ما أَرْضَعَتْ؟
أمْ دَرَتْ كَفُّ النُّهى ما رَفَعَتْ؟ ... أمْ دَرى ربُّ الحجى ما وَلَدا؟
جَلَّ معناهُ فلمَّا يَعْلَمِ

سيِّدٌ فاق عُلاً كلَّ الأنامْ كان إذ لا كائنٌ وهْو إمامْ
شَرَّفَ اللهُ به البيتَ الحَرامْ حين أضحى لِعُلاهُ مَوْلِدا
فَوَطَا تُرْبَتَهُ بالْقَدَمِ

إنْ يَكُ يُجْعَلُ لله البَنُونْ وتعالى اللهُ عمَّا يَصِفُونْ
فَوَلِيدُ الْبَيْتِ أحرى أَنْ يَكونْ لِوَلِيِّ البيتِ حقّاً وَلَدا
لا عُزيرٌ لا ولا ابنُ مَرْيَمِ

هو بعدَ المصطفى خيرُ الوَرى مِن ذُرى العَرْشِ إلى تحتِ الثَّرى
قد كَسَتْ عَلْياؤه أمَّ القُرى غُرَّةً تَحْمي حِماها أبدا
حيث لا يدنوه مَن لَمْ يُحْرِمِ

سَبَقَ الكونَ جميعاً في الوُجودْ وطَوى عالَمَ غَيْبٍ وشُهُودُ
كلُّ ما في الكونِ من يُمْناهُ جودْ إذْ هو الكائنُ لله يدا
ويَدُ الله مَدَرُّ الأنْعُمِ

سيِّدٌ حازتْ به الفضلَ مُضَرْ بِفَخارٍ، فَسَما كلَّ البشرْ
وجهُه في فَلَكِ العَليا قَمَرْ فَبِهِ لا بالنُّجومِ يُهتدى
نحو مَغْناهُ لِنَيْلِ المَغْنَمِ

هو بدْرٌ وذَراريهِ بُدُورْ عَقُمَتْ عن مِثلهمْ أُمُّ الدُّهورْ
كعبةُ الوُفّادِ في كلِّ الشُّهور فازَ مَنْ نَحْوَ فِناها وَفَدا
بِمَطافٍ منهُ أوْ مُسْتَلَمِ

ورِثوا العَلْياءَ قِدْماً من قُصَيّ وَنَزارٍ ثمّ فِهْرٍ ولُؤيّ
لا يُبارَى حيُّهم قَطُّ بِحَيّ وهُمُ أَزْكَى البرايا مَحْتِدا
وإليهمْ كلُّ فَخْرٍ يَنْتَمي

أيُّها المُرْجَى لِقاهُ في المماتْ كلُّ مَوْتٍ فيهِ لُقْياكَ حَياةْ
ليتَما، عُجِّل بي ما هُوَ آتْ عَلَّني أَلْقَى حَياتي في الرَّدى
فايزاً منه بأَوْفَى النِّعَمِ

يا مَن أرجوه لكلِّ خير

أبرزُ أوراد الرّجَبيّين

«شعائر»

«يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِنِي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَجَمِيعَ خَيْرِ الآخِرَةِ ..».

ما يلي، الأدعية اليوميّة التي ورد استحباب قراءتها عن أهل البيت عليهم السلام، تقدّمها «شعائر» مع التماس الدّعاء للمؤمنين، وتنقسم إلى قسمين:

الأوّل: ما يُدعى به بعد كلّ فريضة. الثّاني: ما يُدعى به في كلّ يوم من أيام شهر رجب.

* يشمل القسم الأوّل الدّعاء التّالي:

عن محمّد السجّاد في حديث طويل، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلتُ فداك، هذا رجب، علّمني فيه دعاءً ينفعني الله به، قال: فقال لي أبو عبد الله عليه السلام:

اكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم، وقل في كلّ يوم من رجب صباحاً ومساءً وفي أعقاب صلواتك في يومك وليلتك: يَا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَآمَنُ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يَا مَنْ يُعْطِي الكَثِيرَ بِالقَلِيلِ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِنِي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَجَمِيعَ خَيْرِ الآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنِّي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ شَرِّ الدُّنْيَا وَشَرِّ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مَا أَعْطَيْتَ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ يَا كَرِيمُ.

قال: ثمّ مدّ أبو عبد الله عليه السلام يده اليسرى فقبض على لحيته ودعا بهذا الدّعاء وهو يلوذ بسبّابته اليمنى، ثمّ قال بعد ذلك: **يَا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ، يَا ذَا النَّعْمَاءِ وَالجُودِ، يَا ذَا المَنِّ وَالطَّوْلِ، حَرِّمْ شَيْبَتِي عَلَى النَّارِ.**

* القسم الثّاني، وهو يشمل الأدعية التّالية:

خَابَ الوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ

عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه كان إذا دخل رجب يدعو بهذا الدّعاء في كلّ يوم من أيّامه:

خَابَ الوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وخَسِرَ المُتَعَرِّضُونَ إِلّا لَكَ، وَضَاعَ المُلِمُّونَ إِلّا بِكَ، وَأَجْدَبَ المُنْتَجِعُونَ إِلّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ، بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاغِبِينَ، وَخَيْرُكَ مَبْذُولٌ لِلطَّالِبِينَ، وَفَضْلُكَ مُبَاحٌ لِلسَّائِلِينَ، وَنَيْلُكَ مُتَاحٌ لِلآمِلِينَ، وَرِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ، وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ، عَادَتُكَ الإِحْسَانُ إِلَى المُسِيئِينَ، وَسَبِيلُكَ الإِبْقَاءُ عَلَى المُعْتَدِينَ. أَللَّهُمَّ فَاهْدِنِي هُدَى المُهْتَدِينَ، وَارْزُقْنِي اجْتِهَادَ المُجْتَهِدِينَ، وَلاَ تَجْعَلْنِي مِنَ الغَافِلِينَ المُبْعَدِينَ، وَاغْفِرْ لِي يَومَ الدِّينِ.

أَللَّهُمَّ وَمَوَاعِيدُكَ الصَّادِقَةُ

أيضاً، يُستحبُّ أن يُدعى بهذا الدّعاء: **يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ ضَمِيرَ الصَّامِتِينَ، لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْكَ سَمْعٌ حَاضِرٌ وَجَوَابٌ عَتِيدٌ، أَللَّهُمَّ وَمَوَاعِيدُكَ الصَّادِقَةُ وَأَيَادِيكَ الفَاضِلَةُ وَرَحْمَتُكَ الوَاسِعَةُ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَقْضِيَ حَوَائِجِي لِلدُّنْيَا والآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.**

..وَامْنُنْ بِغِنَاكَ عَلَى فَقْرِي

عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند مولاي أبي عبد الله عليه السلام، إذ دخل علينا المعلّى بن خنيس في رجب فتذاكروا الدّعاء فيه، فقال المعلّى: يا سيّدي علّمني دعاء يجمع كلّ ما أودعته الشّيعة في كتبها فقال: قل يا معلّى:

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صَبْرَ الشَّاكِرِينَ لَكَ، وَعَمَلَ الخَائِفِينَ مِنْكَ، وَيَقِينَ العَابِدِينَ لَكَ، أَللَّهُمَّ أَنْتَ العَلِيُّ العَظِيمُ، وَأَنَا عَبْدُكَ البَائِسُ الفَقِيرُ، وَأَنْتَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ، وَأَنَا العَبْدُ الذَّلِيلُ، أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَامْنُنْ بِغِنَاكَ عَلَى فَقْرِي، وَبِحِلْمِكَ عَلَى جَهْلِي، وَبِقُوَّتِكَ عَلَى ضَعْفِي يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ، أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الأَوْصِيَاءِ المَرْضِيِّينَ، وَاكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَا مَنْ سَمَا فِي العِزِّ

دعاء يدعى به في كلّ يوم من رجب ويُدعى به في مسجد صعصعة أيضاً:

أَللَّهُمَّ يَا ذَا المَنِّ السَّابِغَةِ، وَالآلاءِ الوَازِعَةِ، وَالرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ،

وَالقُدْرَةِ الجَامِعَةِ، وَالنِّعَمِ الجَسِيمَةِ وَالمَوَاهِبِ العَظِيمَةِ، وَالأيَادِي الجَمِيلَةِ، والعَطَايَا الجَزِيلَةِ، يَا مَنْ لاَ يُنْعَتُ بِتَمْثِيلٍ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِنَظِيرٍ، وَلا يُغْلَبُ بِظَهِيرٍ، يَا مَنْ خَلَقَ فَرَزَقَ، وَأَلْهَمَ فَأَنْطَقَ، وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلاَ فَارتفَعَ، وَقَدَّرَ فَأَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَأَتْقَنَ، وَاحْتَجَّ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ فَأَسْبَغَ، وَأَعْطَى فَأَجْزَلَ، وَمَنَحَ فَأَفْضَلَ. يَا مَنْ سَمَا فِي العِزِّ فَفَاتَ خَوَاطِرَ الأَبْصَارِ، وَدَنَا فِي اللُّطْفِ فَجَازَ هَوَاجِسَ الأَفْكَارِ، يَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْمُلْكِ فِلاَ نِدَّ لَهُ فِي مَلَكُوتِ سُلْطَانِهِ، وَتَفَرَّدَ بِالكِبْرِيَاءِ وَالآلاءِ، فَلا ضِدَّ لَهُ فِي جَبَرُوتِ شَأْنِهِ، يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاءِ هَيْبَتِهِ دَقَائِقُ لَطَائِفِ الأَوْهَامِ، وَانْحَسَرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ عَظَمَتِهِ خَطَائِفُ أَبْصَارِ الأَنَامِ، يَا مَنْ عَنَتِ الوُجُوهُ لِهَيْبَتِهِ، وَخَضَعَتِ الرِّقَابُ لِعَظَمَتِهِ، وَوَجِلَتِ القُلُوبُ مِنْ خِيفَتِهِ، أَسْأَلُكَ بِهَذِهِ المِدْحَةِ الَّتِي لاَ تَنْبَغِي إِلّا لَكَ، وَبِمَا وَأَيْتَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ لِدَاعِيكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَبِمَا ضَمِنْتَ الإِجَابَةَ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ لِلدَّاعِينَ، يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، وَيَا أَبْصَرَ المُبْصِرِينَ، وَيَا أَنْظَرَ النَّاظِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الحَاسِبِينَ، وَيَا أَحْكَمَ الحَاكِمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى أَهلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الأَخْيَارِ، وَأَنْ تَقْسِمَ (واقسِم) لِي فِي شَهْرِنَا هَذا خَيْرَ مَا قَسَمْتَ، وَأَنْ تَحْتِمَ (واحتِم) لِي فِي قَضَائِكَ خَيْرَ مَا حَتَمْتَ، وَتَخْتِمَ لِي بِالسَّعَادَةِ فِيمَنْ خَتَمْتَ، وَأَحْيِنِي مَا أَحْيَيْتَنِي مَوْفُوراً، وَأَمِتْنِي مَسْرُوراً وَمَغْفُوراً، وَتَوَلَّ أَنْتَ نَجَاتِي مِنْ مُسَاءَلَةِ البَرْزَخِ، وَادْرَأْ عَنِّي مُنْكَراً وَنَكِيراً، وَأَرِ عَيْنِي مُبَشِّراً وَبَشِيراً، واجْعَلْ لِي إِلَى رِضْوَانِكَ وَجِنَانِكَ مَصِيراً، وَعَيْشاً قَرِيراً وَمُلْكاً كَبِيراً، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

..وَأَصْلِحْ لَنَا خَبِيئَةَ أَسْرَارِنَا

عن ابن عياش قال: ممّا خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدّسة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. أُدعُ في كلّ يومٍ من أيّام رجب: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيَّتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا (بينهم) إِلّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادٌ وأَشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأَذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ، فَبِذَلِكَ أَسْأَلُكَ وَبِمَوَاقِعِ العِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ وبِمَقَامَاتِكَ وعَلاماتِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَزِيدَنِي إِيمَاناً وَتَثْبِيتاً، يَا باطِناً فِي ظُهُورِهِ، ويَا ظاهراً فِي بُطُونِهِ وَمَكْنُونِهِ، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ والدَّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْهِهِ، وَمَعْرُوفاً بِغَيْرِ شِبْهِهِ، حَادَّ كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُودٍ، أَهْلَ الكِبْرِيَاءِ وَالجُودِ.

يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْفٍ، وَلا يُؤَيَّنُ بِأَيْنٍ، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ، وعَالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ، صلِّ على عِبَادِكَ الْمُنْتَجَبِينَ، وَبَشَرِكَ الْمُحْتَجِبِينَ وَمَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، والبُهْمِ الصَّافِّينَ الحَافِّينَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِنَا هَذا الْمُرَجَّبِ الْمُكَرَّمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الأَشْهُرِ الحُرُمِ، وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا فِيهِ النِّعَمَ، وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ القِسَمَ، وأَبْرِرْ لَنَا فِيهِ القَسَمَ، بِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلى النَّهَارِ فَأَضَاءَ وَعَلى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا تَعْلَمُ مِنَّا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ العِصَمِ، وَاكْفِنَا كَوَافِيَ قَدَرِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنَا إِلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنَا مِنْ خَيْرِكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيما كَتَبْتَهُ لَنَا مِنْ أَعْمَارِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا خَبِيئَةَ أَسْرَارِنَا، وَأَعْطِنَا مِنْكَ الأَمَانَ، واسْتَعْمِلْنَا بِحُسْنِ الإِيمَانِ، وَبَلِّغْنَا شَهْرَ الصِّيَامِ، وما بَعْدَهُ مِنَ الأَيَّامِ والأَعْوَامِ، يَا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ.

دعاءُ المولودَين في رجب عليهما السلام

وممّا خرج من النّاحية المقدّسة على يد الشيخ أبي القاسم رضي الله عنه، هذا الدّعاء في أيّام رجب:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالمَوْلُودَيْنِ فِي رَجَبٍ، مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثَّانِي وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ، وَأَتَقَرَّبُ بِهِما إِلَيْكَ خَيْرَ القُرَبِ، يا مَنْ إِلَيْهِ المَعْرُوفُ طُلِبَ، وفِي مَا لَدَيْهِ رُغِبَ، أَسْأَلُكَ سُؤَالَ مُعْتَرِفٍ مُذْنِبٍ قَدْ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ، وَأَوْثَقَتْهُ عُيُوبُهُ، وَطَالَ عَلى الخَطَايَا دُؤُوبُهُ، وَمِنَ الرَّزَايَا خُطُوبُهُ، يَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ، وَحُسْنَ الأَوْبَةِ، والنُّزُوعَ مِنَ الحَوْبَةِ، وَمِنَ النَّارِ فَكَاكَ رَقَبَتِهِ، والعَفْوَ عَمَّا فِي رِبْقَتِهِ، فَأَنْتَ يا مَوْلايَ أَعْظَمُ أَمَلِهِ وَثِقَتِهِ. اللَّهُمَّ وأَسْأَلُكَ بِمَسَائِلِكَ الشَّرِيفَةِ، وَوَسَائِلِكَ الْمُنِيفَةِ، أَنْ تَتَغَمَّدَنِي فِي هَذا الشَّهْرِ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ وَاسِعَةٍ، وَنِعْمَةٍ وَازِعَةٍ، وَنَفْسٍ بِمَا رَزَقْتَهَا قَانِعَةٍ إِلَى نُزُولِ الحَافِرَةِ، وَمَحَلِّ الآخِرَةِ، وَمَا هِيَ إِلَيْهَا صَائِرَةٌ.

واجبُنا في عصرِ الغَيبة
من أدبِ القلبِ والجوارح واللِّسان

إعداد: «شعائر»

في ذكر طائفةٍ من آداب مراسم العبوديّة، ولوازم الاحترام والتوقير لإمام العصر المهديّ المنتظَر صلوات الله عليه، مقتطفة ومختصرة من كتاب (النجم الثاقب) للمحدّث الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ للهجرة)، حيث يؤكّد رضوان الله عليه أنّ هذه الآداب مطلوبة لذاتها، وإنْ كانت سبباً للخيرات العاجلة والآجلة، ودخول العامل لها في زمرة المحبّين المطيعين.

إعلم أنّه لا طريقَ لكسب المنافع الدنيوية والأُخروية، ودفع الشرور الأرضية والسماوية، إلّا بالأخذ بحُجزة صاحب العصر والزمان عليه السلام، والالتماس منه –وهو وليُّ النِّعَم– بلسانِ القوّة والحال أو بلسان التضرّع والمقال.

وينبغي في أثناء ذلك الالتزامُ بجملةٍ من التكاليف؛ قلبيّة، وجوارحيّة، ولسانيّة، وماليّة، نبيّن بعضها كما يلي:

الأول: أن يكون مهموماً له عليه السلام في أيّام الغَيبة والفراق، وسببه متعدّد:

أ) لمستوريّته ومحجوبيّته صلوات الله عليه، والعيون لمّا تقرّ بعدُ بالنظر إلى نور جماله، مع وجوده بين الأنام، واطّلاعه عليه السلام على خفايا أعمال العباد في آناء اللّيل والأيام. فلا يكون الإنسان صادقاً بادّعائه بالوصول إلى درجة الإيمان هذه بمجرّد القول باللّسان، إلّا أن تكون محبّته لمواليه عليهم السلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يؤمنُ عبدٌ حتّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِه، وأهلي أحبَّ إليه من أهله، وعترتي أحبَّ إليه من عترتِه..**».

ولعلّ هذا المقام هو أوّل درجة الإيمان، عندما تكون محبّته لمواليه عليهم السلام مثل محبّته لأخصّ أولادِه وأقربهم وأكملِهم عندَه.

ب) لأنّ ذلك السلطان العظيم الشأن، لمّا يرتدِ بعدُ لباسَ الخلافة **والسّلطة الظاهريّة** على جميع العالم، والذي ما خِيط لأحدٍ إلّا له ، فلَه الرّتقُ والفَتْقُ وإجراءُ الأحكام والحدود، وتبليغ الأوامر الإلهيّة، ومنع الاعتداء والجَور، وإعانة الضعيف، وإغاثة المظلوم، وأخذ الحقوق، وإظهار الحقّ وإعلانه، وإبطال الباطل وإزهاقه، وهو عليه السلام الذي لا يأتيه الظُّلم والعدوان.

عن الامام الباقر عليه السلام أنّه قال لعبد الله بن ظبيان: «**ما من عيدٍ للمسلمين –أضحى ولا فطر– إلّا وهو يتجدَّد لآل محمّدٍ عليهم السلام فيه حزنٌ.**

قِيلَ: ولِمَ؟ قال: **إنّهم يرون حقَّهم في أيدي غيرهم**».

ج) ولعدم الحصول على الطريق الواسع المستقيم الواضح للشّريعة المطهّرة، وانحصار الطريق للوصول إليه بطُرُقٍ ضيّقة ظلماء، كَمَنَ في كلِّ مضيقٍ منها مجموعةٌ من اللّصوص الداخليّين للدِّين المبين، يُدخلون دائماً الشكوك والشُّبهات في قلوب العامّة بل الخاصّة، حتّى يكذِّبَ ويلعنَ ويشتمَ أصحابُ هذه الفِرقة القليلة والعصابة المُهتدية –الإمامية– بعضَهم بعضاً، ويتسلّط عليهم أعداؤهم، ويخرجوا من الدّين أفواجاً أفواجاً، ويعجزَ العلماءُ الصّالحون عن إظهار عِلمهم، ويصدقَ وعدُ الصّادقين عليهم السلام، بأنّه سيأتي زمانٌ على المؤمن حفظُ دينِه أشدّ من القبض على جمرةِ نارٍ في اليد.

الثاني: وهو أيضاً من التكاليف القلبيّة؛ نعني به انتظارَ فرج آل محمّد عليهم السلام في كلّ آن، وترقّب ظهور وقيام الدولة القاهرة والسَّلطنة الظاهرة لمهديّ آل محمّدٍ عليهم السلام، وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً، وانتصار الدّين القويم على جميع الأديان كما أخبر به الله تعالى نبيَّه الأكرم ووعدَه بذلك، بل بشَّر به جميعُ الأنبياء والأمم، أنّه يأتي يومٌ مثل هذا اليوم الذي لا يُعبَد فيه غيرُ الله تعالى، ولا يبقى من الدّين شيءٌ مخفيٌّ وراء سِترٍ وحجاب مخافةَ أحد، كما في زيارة مهديِّ آل محمّد عليهم السلام:

«**السّلامُ على المهديِّ الذي وعدَ اللهُ به الأُمَمَ أنْ يجمعَ به الكلِم، ويلمَّ به الشَّعْث، ويملأَ به الأرض عدلاً وقسطاً، ويُنجزَ به وعدَ المؤمنين**».

وروى الشيخ [أحمد] الطبرسي في (الاحتجاج) أنّه خرج توقيعٌ عن صاحب الأمر عليه السلام بيد محمد بن عثمان، وكان في آخره: «**وأكثِروا الدّعاء بتعجيل الفَرَج، فإنّ ذلك فَرَجكم**».

الثالث: من التكاليف الدعاءُ لحفظ الوجود المبارك لإمام العصر عليه السلام من شرِّ شياطين الإنس والجنّ، والدّعاءُ بطلب التعجيل لنصرتِه وظفره وغلَبته على الكفّار والمُلحدين والمنافقين. وهذا أيضاً نوعٌ من إظهار العبوديّة والرِّضا بما وعد اللهُ تعالى من أنّ هذا الجوهر الثمين يُصنَع في خزانة قدرتِه ورحمتِه، وأسدل على وجهه حجابَ العَظَمة والجلالة إلى اليوم الذي يرى المصلحة بإظهار ذلك الجوهر الثمين، وإضاءة الدّنيا من شعاع نورِه.

ولا يظهر أثرٌ من الدعاء في مثل هذا الوعد المنجَز الحتمي إلّا أداء مراسم العبودية وإظهار الشوق وزيادة المحبّة والثواب، والرّضا بمواهب الله تعالى الكبرى. كما أنّهم عليهم السلام أكّدوا على الدّعاء له صلوات الله عليه في أغلب الأوقات.

قال السيّد الجليل عليّ بن طاوس في الفصل الثامن من كتاب (فلاح السائل) بعد أن ذكر الترغيب في الدعاء للإخوان: «إذا كان هذا كلُّه فضل الدعاء لإخوانك، فكيف فضلُ الدعاء لسلطانك الذي كان سبب إمكانك وأنت تعتقد أنْ لولاه ما خلق اللهُ نفسَك ولا أحداً من المكلّفين في زمانه وزمانك، وأنّ اللُّطفَ بوجوده صلوات الله عليه سببٌ لكلّ ما أنت وغيرك فيه، وسببٌ لكلّ خير تبلغون إليه ".." وأحضِر قلبك ولسانك في الدّعاء لذلك المولى العظيم الشأن، وإيّاك أن تعتقد أنني قلت هذا لأنّه محتاجٌ إلى دعائك. هيهات هيهات! إنْ اعتقدتَ هذا فأنت مريضٌ في اعتقادك وولائك، بل إنّما قلت هذا لما عرّفتُك من حقّه العظيم عليك وإحسانِه الجسيم إليك، ولأنّك إذا دعوت له قبل الدعاء لنفسك ولمن يعزّ عليك كان أقرب إلى أن يفتح الله جلّ جلاله أبوابَ الإجابة بين يديك، لأنّ أبواب قبول الدعوات قد غلّقْتَها أيّها العبدُ بأغلاق [بأقفال] الجنايات، فإذا دعوتَ لهذا المولى الخاصّ عند مالكِ الأحياء والأموات يوشَك أن تُفتح أبواب الإجابة لأجله، فتدخل أنت -في الدّعاء لنفسك ولمن تدعو له- في زمرة فضلِه، وتتّسعَ رحمةُ الله جلّ جلاله لك، وكرمُه وعنايتُه بك، لتعلُّقِك في الدّعاء بحبلِه.

ولا تقُل: فما رأيتُ فلاناً وفلاناً من الذين تقتدي بهم من شيوخك بما أقول يعملون، وما وجدتُهم إلّا وهم عن مولانا الذي أشرتَ إليه صلوات الله عليه غافلون وله مهمِلون، فأقول لك اعمل بما قلتُ لك فهو الحقُّ الواضح، ومَن أهمل مولانا وغفل عمّا ذكرت عنه فهو والله الغلطُ الفاضح.

الرابع: التصدّق بما يتيسر في كلّ وقت لحفظ الوجود المبارك لإمام العصر عليه السلام. فإنّ الصدقةَ التي يُعطيها الإنسان لأيٍّ كان هي ابتغاءٌ لفائدة عن نفسه، أو عن محبوبٍ عزيزٍ له مكانةٌ عنده. وقد ثبت ببراهين العقل والنقل أنّه لا شيء أعزُّ وأغلى من وجود إمام العصر المقدّس عليه السلام، بل [ثبت] أنّه أحبّ إلى المؤمن من نفسه، وإن لم يكن كذلك فهو ضعفٌ ونقصٌ في الإيمان، وضعفٌ وخَللٌ في الاعتقاد.

> **إنّ أبواب قبول الدّعوات قد غلّقْتَها أيّها العبدُ بأقفال الجنايات، فإذا دعوتَ لمولاك صاحب الزّمان يوشَك أن تُفتح أبواب الإجابة لأجله، فتدخلَ في زمرة فضله، وتتّسعَ رحمةُ الله لك، لتعلُّقِك في الدّعاء بحبلِه.**

وبما أنّ ناموس العصر، ومدار الدّهر، ومُنيرَ الشمس والقمر، وسببَ سكون الأرض، وحركةَ الأفلاك، ورونقَ الدنيا من الأسفل إلى الأعلى، هو الحجّة بن الحسن صلوات الله عليهما، فمن اللّازم أن يكون الهدفُ الأوّل والغاية الأولى التشبّث بكلّ وسيلةٍ وسبب -مثل الدّعاء، والتضرّع، والتصدُّق والتوسّل- لبقاء صحّته، وتحصيل عافيتِه وقضاء حاجتِه، ودفع البلاءِ الذي نزل به، ليكون وجودُه المقدّس سالماً ومحفوظاً.

الخامس: الحجُّ عن إمام العصر عليه السلام، والاستنابة بالحجّ عنه، كما هو معروفٌ بين الشيعة في القديم، وأقرّه عليه السلام. [أنظر: الخرائج، القطب الراوندي]

السادس: القيام تعظيماً لسُماع اسمه الشريفِ عليه السلام، وبالأخصّ إذا كان بإسمِه المبارك «**القائم**» صلوات الله عليه، كما استقرّت عليه سيرة الاماميّة. جاء في الخبر أنّه ذُكِر يوماً اسمُه المبارك في مجلس الإمام الصّادق عليه السلام، فقام الصّادق عليه السلام تعظيماً واحتراماً له.

صلوات خاصّة بشهر رجب

صلاة سلمان، وليلة الرّغائب، وكلّ ليلة، ويوم الجمعة

إعداد: خليل الشيخ علي

يزخر شهر رجب بالصّلوات التي تؤدّى في أيّام خاصّة منه، وأخرى في أيّ وقت من الشّهر، وهي ممّا وعد الله عزَّ وجلَّ عليها الثّواب العظيم والمغفرة.

ما يلي، صلوات شهر رجب تقدّمها «شعائر»، فلا نحرم أنفسنا في هذا الموسم العبادي من مُورِثات الأجر والغنيمة.

«علامةٌ بينكم وبين المنافقين»:

صلاة سلمان الفارسيّ رضي الله عنه في أوّل رجب، وأوسطه، وآخره

روى سلمان الفارسي رحمة الله عليه، قال: «دخلتُ على رسول الله ﷺ في آخر يوم من جُمادى الآخرة في وقت لم أدخل عليه فيه قبله، قال:

يا سلمان أنت منّا أهل البيت، أفلا أحدّثك؟ قلت: بلى فداك أبي وأمّي يا رسول الله، قال: **يا سلمان، ما من مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ صلّى في هذا الشّهر ثلاثين ركعة وهو شهر رجب، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، إلّا محا الله تعالى عنه كلّ ذنب عملَه في صغره وكبره، "..." يا سلمان أخبرني بذلك جبرئيل عليه السلام، وقال: يا محمّد هذه علامةٌ بينكم وبين المنافقين لأنّ المنافقين لا يُصلّون ذلك.**

قال سلمان: فقلت: يا رسول الله، أخبرني كيف أصلّي هذه الثلاثين ركعة، ومتى أصلّيها؟ قال:

يا سلمان، تصلّي في أوّله عشر ركعات، تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة واحدة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، فإذا سلّمت رفعت يديك وقلت:

لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، أَللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجِدُّ، ثمّ امسح بها وجهك.

وصلِّ في وسط الشّهر عشر ركعات [بالكيفيّة نفسها]، **فإذا سلّمت فارفع يديك إلى السّماء، وقل: لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، إِلَهاً وَاحِداً أَحَداً فَرْداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولاَ وَلَداً، ثمّ امسح بها وجهك.**

وصلِّ في آخر الشّهر عشر ركعات [أيضاً كما سبق]، **فإذا سلّمت فارفع يديك إلى السّماء، وقل: لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، ثمّ امسح بها وجهك، وسَلْ حاجتَك، فإنّه يُستجاب لك دعاؤك، ويجعل الله بينك وبين جهنّم سبعة خنادق؛ كلّ خندق كما بين السّماء والأرض "..."».**

صلاة أوّل ليلة جمعة من شهر رجب (ليلة الرّغائب)

عن رسول الله ﷺ: «.. **لا تغفلوا عن أوّل ليلة جمعة منه** [رجب]، **فإنّها ليلة تُسمّيها الملائكة ليلة الرّغائب، وذلك أنّه إذا مضى ثُلث الليل، لم يبقَ ملك في السماوات والأرض إلّا يجتمعون في الكعبة وحواليها، ويطّلع الله عليهم اطّلاعة فيقول لهم: يا ملائكتي، سلوني ما شئتم، فيقولون: ربّنا حاجتنا إليك أن تغفر لِصُوّام رجب، فيقول الله تبارك وتعالى: قد فعلتُ ذلك».**

ثمّ قال: «ما مِن أحدٍ صام يوم الخميس، أوّل خميس من رجب، ثمّ يصلّي بين العشاء والعتمة [أنظر: «حدود الله» من هذا العدد] اثنتَي عشرة ركعة، يفصل بين كلّ ركعتين بتسليمة، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، و(إنّا أنزلناه في ليلة القدر) ثلاث مرّات، و(قل هو الله أحد) اثنتي عشرة مرّة، فإذا فرغ من صلاته صلّى عليّ سبعين مرّة، يقول: أَللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آلِهِ، ثمّ يسجد، ويقول في سجوده سبعين مرة: سُبُّوحٌ قُدُّوس رَبُّ المَلاَئِكَةِ والرُّوحِ، ثمّ يرفع رأسه ويقول: رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيُّ الأَعْظَمُ، ثمّ يسجد سجدة أخرى، فيقول فيها مثل ما قال في السّجدة الأولى، ثمّ يَسأل الله حاجته في سجوده، فإنّه تُقضى إن شاء الله تعالى».

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يُصلّي عبدٌ أو أَمَةٌ هذه الصلاة إلّا غفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت ذنوبه مثل زَبَد البحر "‥" فإذا كان أوّل ليلة نزوله إلى قبره بعث الله إليه ثوابَ هذه الصّلاة في أحسن صورة "‥" فيقول: يا حبيبي أبشِر فقد نجوتَ من كلّ شدّة، فيقول: مَن أنت، فما رأيت أحسن وجهاً منك ولا شممتُ رائحةً أطيبَ من رائحتك؟ فيقول: يا حبيبي أنا ثواب تلك الصّلاة التي صلَّيتَها ليلة كذا في بلدة كذا في شهر كذا في سنة كذا، جئتُ اللّيلة لأقضي حقَّك، وآنس وحدتك وأرفع عنك وحشتَك، فإذا نُفِخ في الصُّور ظلَّلتُ في عرصة القيامة على رأسك، وإنّك لن تُعدَم الخير من مولاك أبداً "‥"».

صلاة ركعتين في كلّ ليلة

صلاة ركعتين في كلّ ليلة: عن النبيّ ﷺ: «مَن صلّى في رجب ستّين ركعة، في كلّ ليلة منه ركعتين، يَقرأ في كلّ ركعة منهما فاتحة الكتاب مرّة، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، و(قل هو الله أحد) مرّة، فإذا سلّم منهما رفع يديه، وقال: لا إِلَهَ إِلّا الله وَحدهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحيِي ويُمِيتُ، وهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قدير، وإليهِ المَصيرُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ، أَللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وَآلِهِ، ويمسح بيديه وجهه، فإنَّ الله سبحانه يَستجيب الدّعاء (دعاءَه)، ويُعطيه ثواب ستين حجّة وستّين عمرة».

صلاة أخرى تُعرف أيضاً بصلاة سلمان

عن سلمان رضي الله عنه أنّه قال: «قال رسول الله ﷺ: من صلّى (في أيّ) ليلة من ليالي رجب عشر ركعات، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و(قل يا أيّها الكافرون) و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، غفر الله تبارك وتعالى له كلّ ذنبٍ عمل وسلف له من ذنوبه، وكتبَ الله تبارك وتعالى له بكلّ ركعة عبادة ستين سنة، "‥"».

صلاة ركعتين في أيّ ليلة من رجب

عن رسول الله ﷺ: «مَن قرأ في ليلةٍ من شهر رجب (قل هو الله أحد) مائة مرّة في ركعتين، فكأنّما صام مائة سنة في سبيل الله، وأعطاه الله مائة قصر في جوار نبيّ من الأنبياء عليهم السلام».

صلاة يوم الجمعة من رجب بين صلاتي الظّهر والعصر

النّبيّ ﷺ: «مَن صلّى يوم الجمعة في شهر رجب ما بين الظّهر والعصر أربع ركعات، يقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة، وآية الكرسي سبع مرّات، و(قل هو الله أحد) خمس مرّات، ثمّ قال: أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو وأسأله التوبة – عشر مرّات، كتب الله تبارك وتعالى له من يوم يصلّيها إلى يوم يموت كلّ يوم ألف حسنة، وأعطاه الله تعالى بكلّ آية قرأها مدينة في الجنّة..».

السّعادة في ترك الذّنب

تلازمُ العِلم والعمل

إعداد: عبد الله النابلسي

«من الواضحات أنّ ترك المعصية في الإعتقاد والعمل يُغني عن غيره، فغيره يحتاجه، بينما هو لا يحتاج إلى غيره، بل هو مولِّدٌ للحسنات ودافعٌ للسيّئات».

كلمات لشيخ الفقهاء العارفين الشيخ محمّد تقي بهجت قدس سره، ألقاها في جمعٍ طلب منه الموعظة، تُقدّمها «شعائر» لقرّائها الكرام.

قلتُ مراراً وأكرّر الآن: إنَّ مَن يعلم بأنَّ كلّ مَن يَذكر الله تعالى فالله جليسُه، لا يحتاج إلى أيّة موعظة؛ إذ إنّه يعلم ما الذي يجب عليه فعله أو تركه، ويعلم أنّ عليه أن يأتي بما يعلمه، ويحتاط في ما لا يعلمه.

حول العِلم والعمل

ثمّة جماعة يتعاملون مع الوعظ والخطابة والإرشاد -والتي هي مقدّمة للأمور العمليّة المناسبة- معاملة ذي المقدّمة. وكأنّ المطلوب أن **يتكلّموا ويسمعوا لمجرَّد أن يتكلّموا ويسمعوا**، وهذا اشتباه. إنَّ التّعليم والتعلُّم إنّما يكون مناسباً لأجل العمل، ولا استقلاليّة لهما.

وقد قالوا عليهم السلام لإفادة هذا المطلب والحثّ عليه: «**كونوا دعاةً لنا بغير ألسنتكم**»؛ تكلّموا من خلال العمل، وتعلّموا من العمل، وليكُن سماعكم بالعمل.

يطلب منّا البعض الدّعاء، فنسأل لأيّ شيء؟ فيبيِّنون العلّة، فنشرح لهم الدّواء، وبدلاً من أداء الشّكر واستعماله، يقولون ثانية: أدعوا لنا، وبعيداً عمّا نقوله وما يريدون فإنّهم يخلطون شرطيّة الدّعاء مع نفسيّته.

إنّنا لا نخرج عن عهدة التّكليف، بل علينا تحصيل النّتيجة بواسطة العمل، ومن المحال أن يكون العمل بلا نتيجة، أو تحصل النّتيجة من غير العمل، ليس الأمر كذلك.

جعلنا الله من أهل العمل، لا مجرّد قوّالين، فلا نُقدِم على حركة عمليّة من دون علم، ولا نتوقّف مع العلم. لِنقم بأداء ما نعرفه، ولنتوقّف ونحتاط في ما لا نعرفه، إلى أن يحصل لنا العلم به، ومن المقطوع به أن لا ندم في هذا النّهج.

إذا كان لا بدَّ من موعظة

* أُنظروا إلى أعمال مَن لديكم اعتقاد حسَن بهم، فما يأتون به عن اختيار فعليكم بإتيانه، وما يتركونه عن اختيار فعليكم بتركه، وهذا من أفضل السُّبُل للوصول للمقاصد العالية، والمواعظ العمليّة أرقى وأشدّ تأثيراً من المواعظ القوليّة.

* من الأمور الواضحة أنّ قراءة القرآن في كلّ يوم، والأدعية المناسبة للأوقات والأمكنة، في التّعقيبات وغيرها، وكثرة التّردُّد إلى المساجد والمشاهد المشرَّفة، وزيارة العلماء والصُّلحاء ومجالستهم، ممّا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله. كما يجب مراقبة ازدياد البصيرة والأنس بالعبادة والتّلاوة والآيات يوماً بيوم.

* وعلى العكس من ذلك، فإنّ كثرة مجالسة أهل الغفلة تزيد من قساوة القلب وظُلمته، ومن النّفور من العبادات والزّيارات، ولذا نجد أنَّ الأحوال الحسنة الحاصلة من العبادات والزّيارات وأنحاء التّلاوة تتبدّل بسبب مجالسة ضعفاء الإيمان إلى سوء الحال والنّقصان. فمجالسة ضعفاء الإيمان في غير صورة الإضطرار، أو من دون قصد هدايتهم تسبِّب فقدان الملَكات الحسنة للمرء، بل إنّه يكتسب أخلاقهم الفاسدة.

* من الواضحات أنّ ترك المعصية في الإعتقاد والعمل يغني عن غيره، فغيره يحتاجه، بينما هو لا يحتاج إلى غيره، بل هو مولِّد للحسنات ودافعٌ للسيّئات.

* يظنّ البعض أنّهم قد اجتازوا مرحلة ترك المعصية، غافلين عن أنَّ المعصية لا تختصّ بالكبائر المعروفة، بل الإصرار على الصّغائر أيضاً كبيرة، فالنّظرة الحادّة إلى المؤمن لإخافته إيذاءٌ محرَّم، كما أنّ الإبتسام للعاصي لتشجيعه إعانة على المعصية.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفّقنا للعزم الرّاسخ الثّابت الدّائم على ترك المعصية، فإنّه مفتاح سعادة الدّنيا والآخرة.

النّبوّة الخاتمة

بلوغ الإنسانيّة سنّ الرشد

السّيّد محمّد باقر الصدر قدس سره

في ذكرى المبعث النّبويّ الشّريف، الذي وصفه الشّهيد السّعيد السيّد محمّد باقر الصّدر قدس سره بـ «أروَع ذكرى مرّت في حياة الإنسان»، تتقدّم «شعائر» من قرّائها الكرام بالتّهنئة والتّبريك، وتقدِّم محاضرة للسيّد الصّدر -مقتطفة باختصار من كتاب (أهل البيت تنوُّع أدوار، ووحدة هدف)- ألقاها بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٨٨ للهجرة.

بمناسبة ذكرى يوم المبعث، وهي أروع ذكرى مرَّت في حياة الإنسان، وفي يومٍ هو أشرف يومٍ في تاريخ الإنسان، سواءً قيّمنا الأيّام بما تشتمل عليه من أحداث، أم بما تتمخَّض عنه من نتائج، فإنَّ هذا اليوم يبقى هو اليوم الأوّل في تاريخ الإنسان، لأنّه اليوم الذي استطاع فيه الإنسان أن يبلغ الذّروة التي رشَّحته لها عشرات الآلاف من الرّسالات والنّبوّات، فأصبح قاب قوسين أو أدنى، متمثِّلاً في شخص النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وبمناسبة يوم المبعث والنّبوّة الخاتمة، نتحدّث عن فكرة التّغيير والتّجديد في النّبوّة، وهي ظاهرة تاريخيّة، عاشها الإنسان على مرّ الزمن إلى أن وُضع لها الحدّ النهائي مع الرّسالة الإسلاميّة الخاتمة. وهذا التّغيير والتّجديد له أسباب عديدة معقولة؛ يمكن أن يقوم على واحدٍ أو أكثر منها:

السّبب الأوّل: وهو في ما إذا كانت هذه النّبوّة قد استنفدت أغراضها، واستكملت أهدافها، وأنهت شوطها المرسوم لها. ففي مثل هذه الحالة، لا بدَّ لها وأن تُخلي الميدان لنبوّةٍ تحمل أهدافاً جديدة، تريد بها التّرقّي بالإنسان إلى المستوى المطلوب.

وأقصد بكون النّبوّة تستنفد أغراضها، أن تكون النّبوّة بالذّات، وَصْفة لمرضٍ طارئ في حياة البشريّة.

فمثلاً ما يُقال عن المسيحيّة، من أنّها كانت تركز على الجانب الغيبي اللّامنظور، وعلى جعل النّفس منقطعة عن كلّ علائق الدّنيا، هذا التركيز -الذي قامت على أساسه لاحقاً فكرة الرَّهبنة- كان علاجاً لمرض عاشه شعب بني إسرائيل؛ هو الإنغماس المطلَق في الدُّنيا، وفي علائقها. هذه الحالة النّفسيّة التي كانت تجعل الإنسان اليهودي مشدوداً إلى درهمه ودينار، كانت بحاجة إلى وصفة تنتشله من ضرورات يومه وغده، وتذكِّره بأمسه وربِّه، لهذا كان في المسيحيّة هذا النّوع من «الإفراط» المناسب مع حالة موضعيّة زمانيّة معيَّنة في التّاريخ الطويل للإنسان. أمّا هذا النّوع من الإفراط حينما يؤخَذ كخطٍّ عامّ للإنسان، يُعتبَر شذوذاً وانحرافاً، لأنّه دواء للمريض وليس طعاماً للصّحيح.

السّبب الثّاني: اندثار تراث النّبوّة السابقة، بحيث يستحيل البناء عليه أو العمل بموجبه. فالمسيحيّة -مثلاً- بعد أن غادر السّيّد المسيح عليه السلام مسرح الدّعوة والعمل، لم يبقَ منها شيء حقيقي يمكن أن يُقام على أساسه العمل النّبوي. الإنجيل الذي يحدِّث عنه القرآن الكريم فُقِد نهائيّاً، والأناجيل التي ظهرت في فتراتٍ لاحقة هي كُتُب ألَّفها طلّاب السّيّد المسيح عليه السلام على أفضل التّقادير، فالرّسالة المتمثِّلة في الكتاب السَّماوي قد انطفأت، والحواريُّون كانوا من حيث القلَّة والتّشتُّت والإضطراب الذّهني، ما يجعلهم غير قادرين على حماية التّراث الباقي في أذهانهم عن السّيّد المسيح عليه السلام.

السّبب الثّالث: إنّ الرّسالة التي نزلت على النّبيّ، كانت محدودة باعتبار «محدوديّة» النّبيّ نفسه، و«المحدوديّة» وإن كانت مفهوماً عامّاً، إلّا أنّ هذا المفهوم العامّ على ما يقول المناطقة [أهل المنطق]، يصدق على أفراده بالتّشكيك، هناك على ما تقول الرّوايات نبيٌّ للبشريّة، ونبيٌّ للقبيلة، وهناك نبوّات تختلف من حيث السّعة والضّيق، باختلاف طبيعة النّبيّ نفسه.

ومن الواضح أنّ الأنبياء كغير الأنبياء، يتفاوتون في درجات تلقِّيهم للمعارف الإلهيّة عن طريق الوحي من قِبَل الله سبحانه وتعالى، فإذا كانت النّبوّة محدودة بطبيعة قابليّات هذا النّبيّ، كان لا بدَّ في خارج هذه الحدود الزّمانيّة والمكانيّة، من نبوَّة أُخرى تمارس عملها في سبيل الله سبحانه.

السّبب الرّابع: هو تطوّر الإنسان المدعوّ نفسه، لا محدوديّة الإنسان الدّاعي، وكون المدعوّ يتصاعد بالتّدريج لا بالطّفرة، وينمو على مرّ الزّمن في أحضان الرّسالات الإلهيّة، فيكتسب من كلّ رسالة درجة من النّموّ، تُهيِّئه وتُعدّه، لكي يكون على مستوى الرّسالة الجديدة وأعبائها الكبيرة، ومسؤوليّاتها الأوسع نطاقاً.

والتّطوُّر في النّبوّة -موضع البحث ههنا لا ما عداه من أصناف التطوّر- يرتبط **بخطَّين اثنَين**:

الخطّ الأوّل - الوعي التّوحيدي عند الإنسان: تستهدف النّبوّة أن تصنع الإنسان من داخله، وأن تصنع له **قاعدة فكريّة أساسيّة** يقوم على أساسها بناؤه الدّاخلي، وعلى أساس هذا الأخير يقوم البناء الخارجي، وهذه القاعدة الفكريّة الأساسيّة هي: التّوحيد؛ أي ربط الإنسان بكامل وجوده وجوانب حياته بربٍّ واحدٍ أحدٍ، وهي بعدُ القاسم المشترك بين كلّ النّبوّات والرّسالات التي عاشها الإنسان منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض.

إلّا أنَّ فكرة التّوحيد ليست ذات درجة حدِّيّة، وإنّما هي بنفسها ذات درجات من العمق والأصالة والتّركيز والتّرسيخ، فهذه الدّرجات متفاوتة، كان لا بدَّ بمقتضى الحكمة الإلهيّة أن يُهيَّأ الإنسان لها بالتّدريج. هذا الإنسان الذي غرق بمقتضى تركيبه العضوي والطّبيعي في حسّه ودنياه، حينما يُدعى إلى فكرة التّوحيد، لا بدَّ من أن يُنتزَع من عالم حسّه ودُنياه بالتّدريج، لكي ينفتح على فكرة التّوحيد التي هي فكرة الغَيْب. فالغَيْب يجب أن يُعطى له على مراحل، وعلى درجات، وكلّ درجة تُهيِّئ ذهنه لتلقّي التّوحيد.

القرآن الكريم يطرح فكرة التّوحيد بأنصع وأوسع ما يمكن من التّنزيه الذي يبقى محتفظاً بقدرته على تحريك الإنسان، لأنّه ينزِّه هذه الفكرة ويجرِّدها من العلائق المادّيّة مع الإنسان، كما في التّوراة والإنجيل المحرَّفَين؛ فالأوّل -التّوراة- يقدِّم الإله في إطارٍ قوميٍّ كأنّه اليهود في مقابل الأصنام والأوثان التي هي آلهة الشّعوب والقبائل الأخرى، والثّاني -الإنجيل- لا يتحدَّث عن الخالق الذي لا شريك له، وإنّما عن الأب الواحد للجماعة البشريّة - والعياذ بالله- والذي له أبناء لهم لغات شتَّى.

أمّا القرآن الكريم، فإنّه يجرِّد الله عن أيّ علاقة مادّيّة مع أيّ إنسان، حتّى مع أشرف إنسان على وجه الأرض، مع صاحب الرّسالة بالذّات ﷺ، حيث يقف النّبيّ محمّد ﷺ في لغة القرآن بين يدي الله تعالى، عبداً ذليلاً خاضعاً يتلقّى الأوامر، وليس له إلّا الطّاعة، وإلّا أنْ ينفِّذ حرفيّاً، مثل هذه الفكرة هي أقصى ما يمكن أن يصل إليه التّنزيه والتّعميق والتّنسيق في فكرة التّوحيد، مع الحفاظ على فاعليّة الفكرة وعلى محرّكيّتها.

الخطّ الثّاني - تحمُّل أعباء المسؤوليّة الأخلاقيّة للدّعوة: يعني كَوْن الإنسان بالغاً إلى درجة تؤهِّله لأن يتحمَّل أعباء دعوة لها ضريبتها وواجباتها وآلامها وهمومها. مثل هذا التّحمُّل أيضاً له درجات، ولم يستطع الإنسان بالطّفرة، أن يصل إلى درجة تحمُّل أعباء الرّسالة العالميّة الواسعة غير محدودة الزّمان والمكان، وإنّما استطاع أن يصل إلى ذلك عبر مران طويل.

يوم المبعث هو أشرف يوم في تاريخ الإنسان، سواءً قيَّمنا الأيّام بما تشتمل عليه من أحداث، أم بما تتمخَّض عنه من نتائج.

المقارنة بين ما تحمّلته أمّتا موسى وعيسى عليهما السلام من مسؤوليّات، وما تحمّلته الأمّة الإسلاميّة بالرّسالة الخاتمة، المقارنة ما بين هذا وذاك، يكشف درجة كبيرة في تحمُّل المسؤوليّات، تُعبِّر عن نموٍّ الاستعداد على مرّ الزّمن، فنبيّ الله موسى عليه السلام مات وشعب بني إسرائيل في التّيه، كتب الله جلَّ جلالُه عليهم التّيه أربعين سنة لأنّهم لم يستجيبوا لمتطلّبات الرّسالة، لم يستجيبوا أبداً لِما تقتضيه رسالة نبيّهم بالنّسبة إليهم.

في المحصّلة: هذان هما الخطّان اللّذان ترتبط بهما التّغييرات في النّبوّة، ولهما حدٌّ نهائي يصل إليه الإنسان، هذا الحدّ النّهائي هو الذي وصل إليه الإنسان حينما جاء الإسلام.

الإسلام كرسالة شاملة كاملة عامّة للحياة، جاءت على أبواب وصول الإنسان إلى رشده الكامل، من ناحية استعداده لتقبُّل وعيٍ توحيديٍّ صحيح كامل شامل، ومن ناحية تحمُّله لمسؤوليّة أعباء الدّعوة.

ونحن باستقراء تاريخنا المنظور، منذ جاء الإسلام إلى يومنا هذا، لا نجد أيّ تغيُّر حقيقي في هذَين الخطَّين، لا في مدى اتّساع الوعي التّوحيدي عند الإنسان، ولا في اتّساع التّحمُّلات الأخلاقيّة في أعباء الدّعوة.

النِّيّةُ سِرٌّ مستودَع
بها يبلغُ الإنسانُ نصابَه اللّازم

الشيخ عبد الله جوادي آملي

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّما الأعمال بالنيّات، ولكلّ امرئٍ ما نوى، فمَن غزا ابتغاءَ ما عند الله فقد وقع أجرُه على الله، ومن غزا يريدُ عرَض الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلّا ما نوى».

وفي وصيّته صلى الله عليه وآله لأبيّ ذرّ: «وَلْيَكن لك في كلّ شيء نيّة، حتّى في النوم والأكل».

النيّة بمعنى: قصد التقرّب من الله سبحانه، وهي روح العمل الذي بها يحيا ومن دونها يموت، ولا أثر للمَيت. وبها تصحّ العبادة، ومن دونها تبطل. وحيث إنّ للنيّة درجات؛ فلِلصّحّة مراتب، وإن كانت مشتركة في أصل الإمتثال، وسقوط الإعادة أوالقضاء، ولكن لكلٍّ من تلك المراتب ثوابٌ يختصّ بها، وقُربٌ يحصل منها، ولا يحصلُ ذلك الثواب أو القرب من دونها.

حقيقةُ النيّة بمعنى قصد القُربة هي روحُ العمل وقلبُه، وهي أفضلُ من العمل؛ لأنّ حياتَه بها، كما يُستفاد ممّا رواه الكليني رحمه الله بإسناده، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..﴾ هود:٧؛ الملك:٢، قال: «**ليس يعني أكثرَكم عملاً، ولكنْ أصوبَكم عملاً، وإنّما الإصابة خشيةُ الله عزّ وجلّ، والنيّة الصادقة والحَسنة**»، ثمّ قال عليه السلام: «**الإبقاءُ على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص** [هو] **الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحدٌ إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل، ألا وإنّ النيّة هي العمل**»، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿..كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤، يعني: على نيّته.

خلوصُ النيّة سرٌّ ملكوتيّ

ومن هنا يظهر الجمعُ بين الأصل الحاكم بأنّ: «**أفضل الأعمال أحمزُها**» [أي أمتنُها وأقواها]، وبين الأصل الحاكم بأنّ: «**نيّة المؤمن خيرٌ من عمله**»؛ لأنّ النيّة إذا كانت روحَ العمل ولبّه ومغزاه كانت أفضلَ منه، كما أنّها لا بدّ وأن تكون خالصة، إذ الرّياء المتمشّي في العمل لا يتطرّق إليه إلّا من طريق النيّة فحسب، وتحصيلُ الإخلاص في النيّة أحمزُ وأصعب، لذا تكون أفضل من العمل.

وأمّا سرّ كون نيّة الكافر شرّاً من عمله فلِأنّ النيّة هي الأصل كما مرّ، والأصلُ -الذي به يتقوّم الفرعُ وعليه يتّكئ الغصنُ وإليه يرجع ما عداه- أهمُّ، سواءً في طرف الخير أم الشرّ.

والنيّة لمّا كانت أمراً قلبيّاً لا يطّلع الناس عليها، لا يتطرّق إليها الرّياء والسُّمعة ونحو ذلك؛ لخروجها عن مرأى الناس ومسمعِهم، والعمل لكونه مرئيّاً أو مسموعاً قابلٌ لأن يتسرّب إليه الرّياء، ولذا قد علّل في (عِلل الشرائع) حسبما رواه زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام كوْن «**نيّة المؤمنِ خيرٌ من عمله**» بذلك، ولكنّ التأمّل في ما تقدّم يوضِح المراد، إذ الرّياء لا يسري إلى العمل إلّا من طريق النيّة، وهي -النيّة- لمّا كانت مستورةً عن أَعين الناس وأسماعِهم تنزّل بلباسِ العمل وتكتسيه، حتّى تصير مرئيّةً أومسموعة.

ولمّا كان العقل العمليّ -بما له من الشؤون والآثار: كالإرادة والإخلاص ونحو ذلك- نورٌ يُعبَد به الرّحمن، وتُكتَسب به الجنان، فإذا كان ذلك النّور مضيئاً بلا انطفاء ولا انخساف حصل الإيمانُ والإخلاص، وإذا كان منخسفاً بطَوع الهوى حصل الكفرُ أو الرّياء، كما يُستفاد ممّا رواه الكليني رحمه الله، عن أبي عبد الله عليه السلام: «**ليس بين الإيمان والكفر إلّا قلّةُ العقل**»، قيل: وكيف ذاك يا ابنَ رسول الله؟ قال عليه السلام: «**إنّ العبدَ يرفعُ رغبتَه إلى مخلوق، فلو أخلصَ نيّتَه لله، لآتاه الله الذي يريدُ في أسرع من ذلك**».

فالإخلاص الذي هو الأساس في النيّة سرٌّ ملكوتيّ لا يناله إلّا مَن أحبّه الله، ولا يحبُّ الله أحداً إلّا مَن تقرّب إليه بالنوافل، وباتّباع آثار حبيبِه رسول الله صلى الله عليه وآله، المتقرّبِ إليه تعالى بالنّوافل كلِّها، والفرائض طُرّها.

فلِلنيّة سرٌّ إلهيّ لا يُنال إلّا بطيّ مراحل تكون النيّةُ في بعضها حالاً، وفي بعضِها مَلَكَة، إلى أن تنتهي إلى مرحلة الإخلاص الذي هو سرٌّ إلهيّ، وكما أنّ المحبّ لله تعالى إنّما يصير محبوباً إذا اتّبع حبيبَه، فكذلك المخلِص -بالكسر- إنّما يصير مخلَصاً -بالفتح- إذا اتّبع مَن استخلَصَه اللهُ لنفسِه فصار مخلَصاً -بالفتح- محضاً، وللمخلَص -بالفتح- أوصافُ وأحكامُ ودرجات، لعلّ أعلاها ما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ١٥٩-١٦٠، حيث دلّ على أنّه ليس لأحدٍ أن يصِفَ الله سبحانه إلّا العباد المخلَصين، وأنّهم يعرفونه تعالى بما هو اللازم اللّائق، وإنْ لم يكتنهوه، وكفى بذلك ذخراً وشرفاً.

وليُعلَم: أنّ الدّارج بين أبناء الظّاهر من النيّة ما هو الإخطار بالبال، أي: الذي ليس له إلّا وجودٌ ذهنيّ، وهو كما قيل: نيّةٌ بالحَمل الأوّليّ، وغفلةٌ وذهول بالحمل الشائع الصناعيّ. وأمّا نفس العمل الخارجيّ فصادر عادةً لا عبادة، حيث إنّه لا أثر للوجود الذهنيّ، ولا بعثَ له، وإلّا لما تخلّله الشكّ والسّهو، والزّيادة والنقيصة، وما إلى ذلك ممّا هو المُبتلى به للنّاس، بل المهمّ في النيّة هو: انبعاثُ الرّوح من العادة إلى العبادة بحيث لا يقرأ ولا يركع ولا يسجد في الصّلاة، وهكذا لا يغسل ولا يمسح في الوضوء -وفي غيرهما- إلّا ببَعث ذلك الأمر القلبيّ، وهذا إنّما يتمشّى من قلبٍ ليس فيه سوى الله تعالى، المعبّر عليه في لسان النصوص «**بالقلب السّليم**» كما روى القطب الراونديّ في (لبّ اللُباب) عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سُئل، ما القلب السّليم؟ فقال: «**دينٌ بلا شكٍّ وهوى، وعملٌ بلا سُمعةٍ ورياء**». كذلك روى الكليني عن الصّادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء:٨٩: «**القلبُ السّليم: الذي يلقى ربّه وليس فيه أحدٌ سواه**"..." **وكلُّ قلبٍ فيه شركٌ أو شكٌّ فهو ساقط، وإنّما أراد بالزّهد في الدّنيا لتفرغَ قلوبهُم للآخرة**».

وإذا كان القلبُ وعاءً لعدّة من الأهداف والأغراض الّتي يجمعها حبُّ الدنيا، فكيف يكون العمل الصادر عنه لله وحده؟ وحيث إنّ الإخلاصَ صَعبُ الوصول فقد أُمِر بالزّهد ونحوه لا لنفسه، بل لحصول ذلك الهدف السّامي. والإخلاص بالمعنى الذي هو سرٌّ من أسرار الله ليس أمراً ذهنيّاً حصوليّاً، بل هو أمرٌ عينيٌّ حضوريّ، فعليه يكون مقاماً معلوماً لدى الله سبحانه لا يتخطّاه إلّا مَن ارتدى برداء المحبّة، أي: كان محبوباً لله بعد أن كان محبّاً له تعالى.

ثمّ إنّ بين عبادة العبيد وعبادة الطُّمعاء (التجّار) وبين عبادة المحبّين الأحرار فرقاً، فضلاً عن عبادة المحبوبين، سيّما إذا بلغوا -أي: المحبوبون- مرتبة المخلِصين -بالكسر- الّذين إذا جدّوا واجتهدوا وهاجروا من غير الله إليه تعالى يستخلصُهم الله لنفسه، فيصيرون مخلَصين -بالفتح-، وهنالك تتبيّن روحُ النيّة وسرُّها الّتي هي روح العمل وسرُّه، فالعمل حيٌّ بالنيّة، وهي تحيا بسرّها الذي هو الإخلاص، الذي هو سرٌّ من أسراره تعالى، المودَعُ في قلبِ مَن أحبّه تعالى ولم يحبَّ سواه، سواءً نفسه أم غيره.

وممّا ينبّه على أنّ النيّة هي روح العمل وأنّها أصلٌ حاكمٌ عليه، هو ما قاله مولانا الصّادق عليه السلام: «**ما ضَعُف بدنٌ عمّا قويت عليه النيّة**»، لدلالته على أنّ العمل البدنيّ تابعٌ للقصد القلبيّ وجوداً وعدماً، وقوّةً وضعفاً، بحيث يدور العمل البدنيّ مدار النيّة في جميع ما أُشير إليه، حتّى أنّ البدن الضعيف يقدر على العمل إذا قويت النيّة، كما أنّ البدن القويّ يضعف عنه إذا ضعُفت النّيّة، فالإنسان بنيّته لا ببدنِه، وهذا الحديثُ من غُرَر الأحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، لتفسيرِه حدَّ الإنسان بأنّه حيوانٌ ناطقٌ ناوٍ، إذ لولا النيّة الّتي هي السرّ المستودَع لما بلغ الإنسانُ نصابَه اللّازم، فهو بعدُ غيرُ بالغ.

والشاهدُ الآخر على أصالة النيّة: أنّها إذا تحقّقت وقويت تكون الصّلاةُ مناجاةً مع الله، ومعراجاً للمصلّي، وإذا ضعُفت وذهل المصلّي عنها، تفقد تلك الصّلاة صِبغةَ النجوى، ويصير المصلّي مستحقّاً للويل، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون: ٤-٧.

إنّ المصلّي الناوي الذي تكون نيّتُه خالصةً لا يكون جزوعاً ولا مَنوعاً، بل هو ممّن في ماله حَقٌّ مَعلُومٌ لِلسّائِلِ والمَحرُوم، والمصلّي السّاهي الذي تكون نيّتُه مشوبةً بالذّهول يُرائي ويمنعُ الماعون، وكم من فرق بينهما، ومدارُ الفرق إنّما هو النيّة في الأوّل، والذُّهول عنها في الثاني، لا فعلُ الصّلاة ظاهراً لاستوائها في الحالَين.

«القاضي النّعمان» بن محمّد بنِ منصور
كبيرُ علماءِ الدّولة الفاطميّة

إعداد: أكرم زيدان

علَمٌ من أعلام التشيُّع في المغرب وشمال إفريقية في القرن الرابع الهجري، عَدَّه جمعٌ من أهل التّحقيق إماميَّ المذهب، على الرّغم من كونه مُنظّراً «للإسماعيليّة» في أوجّ الدّولة الفاطميّة.

*** تولّى منصب القضاء لسنوات مديدة، وتبعه في ذلك ولداه وأحفاده.**

*** خطّ عشرات المؤلّفات في ميادين العقيدة والفقه والتّأريخ، لا يزال بعضها مرجعاً لطوائف كبيرة من أتباع طائفة «البُهرة» في الهند.**

*** وصفه المؤرّخ المصري المعاصر له الحسن بن إبراهيم اللّيثي بالقول: «كان النّعمان في غاية الفضل، من أهل القرآن والعلم بمعانيه، عالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء، واللّغة والشّعر، والمعرفة بأيّام الناس، مع عقلٍ وإنصاف، وألّف لأهل البيت من الكُتُب آلاف أوراقٍ بأحسن تأليف..».**

هو «أبو حنيفة»، النّعمان بن محمّد، بن منصور، بن أحمد بن حيّون التميمي، وُلد بمدينة «القيروان» من بلاد المغرب، لم تُذكر سنة ولادته وإن كان البعض قد استقرب أن تكون في حدود ٢٩٢ للهجرة. اشتُهِر لاحقاً بـ «القاضي النّعمان» وصار اللّقبُ عَلماً له.

كان والده محمّد بن منصور من المشتغلين بالعلم، وُصف بأنّه كان صاحب الصّلاة بـ«سوسة»، توفّي سنة ٣٥١ للهجرة عن مائة وأربع سنين.

للقاضي النعمان ولدان (عليّ ومحمّد)، تولّيا القضاء من بعده. فأمّا عليّ وهو الأكبر، فوُلد بالقيروان سنة ٣٢٨ للهجرة، وقدِم مصر مع والده في صحبة الخليفة الفاطمي الرابع «المُعزّ»، ثمّ تولّى القضاء بعد وفاة أبيه، وكان أوّل من لُقّب بقاضي القضاة في مصر. توفّي سنة ٣٤٧ للهجرة.

وأمّا محمّد، فوُلد كذلك في المغرب سنة ٣٤٥ للهجرة، وقدِم مع الأسرة إلى مصر، ولما توفّي أخوه عليّ -وكان ينوب عنه في القضاء أيّام حياته- أرسل إليه العزيز بالله الفاطمي: «إنّ القضاء لك من بعد أخيك ولا نُخرِجه عن هذا البيت»، فبقِي في منصبه إلى وفاته سنّة ٣٩٩ للهجرة؛ أيّامَ الحاكم بأمر الله، وقد ورد أنّ محمّداً بن النّعمان كان جيّد المعرفة بالأحكام، متفنّناً في علوم كثيرة، حسن الأدب والدراية بالأخبار والشّعر وأيّام النّاس.

لازم القاضي النّعمان أربعاً من خلفاء الدولة الفاطميّة، وتولّى القضاء في غير مدينة من مُدن شما إفريقيا؛ منها: مدينة طرابلس الغرب (ليبيا اليوم)، والقيروان (تونس) وفي جامعها الأعظم أَمَّ الجمعة والجماعة.

القاضي النّعمان والفاطميّون

لم يُعرف شيء عن حياة القاضي النّعمان قبل ارتباطه بالخلفاء الفاطميّين، وإن كان تقريبهم له -كما يظهر- راجعٌ إلى شهرته العلميّة ومقوّماته الشّخصيّة المميّزة، فقد ذكرت التواريخ أنّه كان مقرّباً من مؤسّس الدّولة الفاطميّة «عبيد الله بن محمّد» الملقّب بالمهدي، فرافقه حوالي تسع سنوات إلى حين وفاته سنة ٣٢٢ للهجرة، ثمّ لازم خليفة عبيد الله «القائمَ بأمر الله» الذي ولّاه قضاء طرابلس الغرب، اثنتَي عشرة سنة.

وفي عهد «المنصور بالله» تولّى النّعمان قضاء المنصوريّة، وكان قضاؤه يشمل سائر المدن الإفريقيّة، وأصبح مرجعاً لجميع القضاة حتّى عهد «المُعزّ لدين الله» الذي قرّبه إليه وأدناه من مجلسه، فوضع فيه كتاب (المجالس والمسامرات).

جاء في كتاب (أدب مصر الفاطميّة) للدكتور المصري محمّد كامل حسين: «دخل النّعمان في خدمة عبيد الله بن محمّد واتّصل به، ولا ندري نوع الخدمة التي كان يؤدّيها ولا الصّلة التي اتّصلَها به، ولكن بعد وفاة عبيد الله اتّصل النّعمان بالقائم بأمر الله طوال مدّة حكمِه.

جامع القيروان في تونس

وفي أواخر أيّام القائم، وُلِّي النّعمان قضاء مدينة طرابلس الغرب، أمّا قبل ولايته قضاء طرابلس فلا نكاد نعرف عنه شيئاً. ولمّا بنى المنصور مدينة المنصوريّة كان النعمان أوّل مَن ولِي قضاءها، بل ولّاه المنصور القضاء على سائر مدن إفريقيا. وأصبح النّعمان شديد الصِّلة بالخليفة الفاطمي مقرّباً منه، وظلّ قاضي قضاة هذه المدن ومن تحته قضاتُها، إلى أن تولّى المعزّ لدين الله الخلافة، فاشتدّت صلة النّعمان به حتى إنّه كان يجالسه ويسايره، وقلّ أن يفارقه بعد أن كان مستوحشاً منه. ولكن المعزّ طلب إليه أن يكون في عهده كما كان في عهد أبيه المنصور بالله، ثمّ قربت الصّلة بين المعزّ والنّعمان حتى أصبح النّعمان جليسَه ومُسايِرَه، ووضع النّعمان كتابه (المجالس والمسايرات) الذي جمع فيه كلّ ما رآه وما سمعه من المعزّ».

قال معاصره اللّيثي: «ولم نشاهد بمصر لقاضٍ من القُضاة من الرِّياسة ما شاهدناه لمحمّد بن النّعمان. ولا بلغنا ذلك عن قاضٍ بالعراق..».

العقيدة والمذهب

اختُلف في مذهب النّعمان قبل صِلته بالفاطميّين، فقيل إنّه كان مالكيّاً، لشيوع المذهب المالكي في المغرب، وقيل إنّه كان حنفيّاً. ويرى بعض مؤرِّخي الإسماعيليّة أنّه كان إسماعيليّاً منذ ولادته. وأمّا من قال بكونه إماميّاً اثني عشريّاً -وأوّلهم العلّامة المجلسي- فيرون أنّه اعتنق التّشيّع الإمامي إثر اطّلاعه على حقائق الأمور، وأنّه مارس التقيّة في إخفاء حقيقة مذهبه خوفاً من بطش الخلفاء الفاطميّين.

قال المجلسي في (بحار الأنوار): «النّعمان بن محمّد بن منصور، قاضي مصر في أيّام الدّولة الإسماعيليّة، وكان مالكيّاً أوّلاً، ثمّ اهتدى وصار إماميّاً، وأخبار هذا الكتاب [دعائم الإسلام] موافقة لما في كُتبنا المشهورة، لكن لم يروِ عن الأئمّة بعد الصّادق عليه السلام خوفاً من الخلفاء الإسماعيليّة، وتحت سِتْر التقيّة أظهرَ الحقَّ لمَن نظر فيه متعمّقاً، وأخبارُه تصلح للتّأييد والتّأكيد».

وذكر السيّد مهدي بحر العلوم في كتابه (الفوائد الرجاليّة) ما نصُّه: «نعمان بن محمّد بن منصور، قاضي مصر. وقد كان في بدء أمره مالكيّاً، ثمّ انتقل إلى مذهب الإماميّة، وصَنَّف على طريق الشّيعة كُتباً، منها كتاب (دعائم الإسلام)، وله فيه وفي غيره ردود على فقهاء العامّة كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي وغيرهم».

وقال المحدّث النوري في (خاتمة المستدرك) مستدلّاً على «اعتبار» كتاب (دعائم الإسلام) للقاضي النعمان: « الثالث [من الأدلّة] في تصريح الجماعة [المجلسي ومن بعده] بأنّه أظهر الحقّ تحت أستار التّقيّة لمَن نظر فيه متعمِّقاً. وهو حقّ لا مِرية فيه، بل لا يحتاج إلى التّعمُّق في النّظر».

وعلّلَ العلّامة الطّهراني في (الذّريعة) عدم تصريح النّعمان بإماميّته: «ولمّا كان قاضياً من قِبل الخلفاء الفاطميّين المعتقدين بإمامة إسماعيل بن جعفر الصّادق عليه السلام، ثمّ أولاد إسماعيل، كان يتّقي في تصانيفه من أن يروي عن الأئمّة بعد الإمام الصّادق صريحاً، لكنّه يروي عنهم بالكُنى المشتركة، فيروي عن الرّضا عليه السلام بعنوان أبي الحسن، وعن الجواد عليه السلام بعنوان أبي جعفر».

هذا ما صرّح به علماء الإماميّة رضوان الله عليهم. ومن غير الإماميّة، قال ابن خلّكان في ترجمة القاضي النّعمان: «أحد الأئمّة الفضلاء المُشار إليهم، وكان مالكيّ المذهب، ثمّ انتقل إلى مذهب الإماميّة».

بدوره قال ابن حجر العسقلاني: «كان مالكيّاً، ثمّ تحوّل إماميّاً،

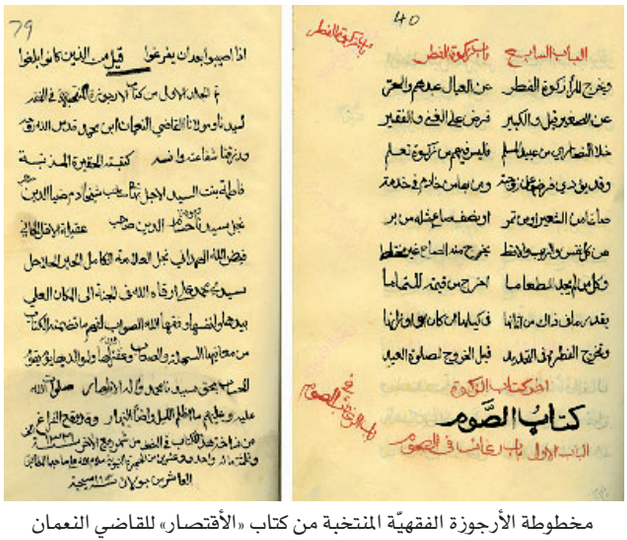

مخطوطة الأرجوزة الفقهيّة المنتخبة من كتاب «الأقتصار» للقاضي النعمان

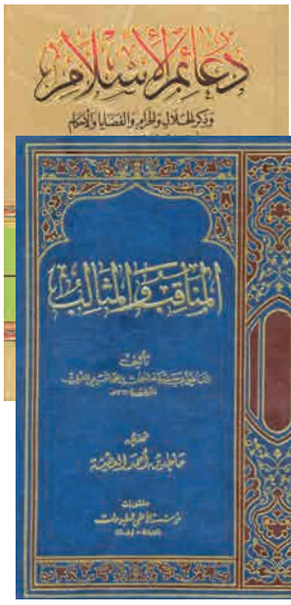

وولّي القضاء للمعزّ الفاطمي صاحب مصر، وصنّف لهم التّصانيف على مذهبهم».

مؤلفاته

لم يقتصر نشاط القاضي النّعمان الفكري على جانبٍ واحد، بل ساهم في مختلف فروع المعرفة التي أغنت المكتبة الفاطميّة؛ من الفقه، والعقيدة، والتّأويل، والتّأريخ، والوعظ. وذُكر له من المؤلّفات ما يزيد على الخمسين، نورد أبرزها حسب حروف التهجّي:

١ – (الأخبار) في الفقه: قال عنه النّعمان: «أخبرتُ فيه عمّا أجمعَ الرُّواة عليه واختلفوا فيه من أصول الفُتيا».

٢ – (اختلاف أصول المذاهب) أو (اختلاف الفقهاء): وُصف بأنّه ينتصر فيه لأهل البيت عليهم السلام، ويردّ على مُخالفيهم.

٣ – (الأرجوزة المختارة): وهي قصيدة في إثبات حقّ أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام.

٤ – (أساس التأويل): جمع فيه تأويل ما أتى في ظاهر قِصص الأنبياء عليهم السلام، ممّن وردت أسماؤهم في كتاب الله المجيد.

٥ – (الاقتصار) في الفقه: وصفه بالقول: «ثمّ رأيت وبالله توفيقي أن أقتصر على الثابت ممّا أجمعوا عليه واختلفوا فيه، بمجملٍ من القول لتقريبِه وتخفيفه وتسهيلِه..».

٦– (الإيضاح) في الفقه: قال عنه: «فرأيتُ جمعَه وتصنيفه وبسطَه وتأليفه، على ما أدّته الرُّواة ".." وذكرتُ ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ".." فبلغ زهاء ثلاثة آلاف ورقة».

٧ – (تربية المؤمنين بالتّوقيف على حدود باطن الدّين).

٨ – (التّوحيد): قال عنه: «إنّ هذا الكتاب على ما قدّمتُ ذكره في إثبات حقيقة توحيد الله، ونفي التّشبيه والصّفات عنه لا شريك له ".." وابتدأتُ فيه بذكر خطبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب تُعرف بالوحيدة، وهي قوله: الحمد لله القديم الدائم، الحيّ الأحد الصّمد، الذي لم يزل أوّلاً بلا توهُّم غاية..».

جامع الصالح – آخر مَعلَم شُيّد في عهد الفاطميّين

٩ – (دعائم الإسلام في مسائل الحلال والحرام والقضايا والأحكام): من أشهر مؤلّفات القاضي النّعمان الفقهية، وهو مكوّن من جزأين؛ الأوّل عن فقه العبادات –استناداً إلى حديث «الدعائم السّبع» الذي رواه عن الإمام الصّادق عليه السلام– وقد قسّم هذا الجزء إلى ثمانية أبواب سمَّى كلّ بابٍ منها كتاباً، وهي كالآتي:

أ– كتاب الولاية وذِكر الفَرق ما بين الإيمان والإسلام.

ب– كتاب الطّهارة وذكر صفاتِها وآدابها.

ت– كتاب الصّلاة وصفاتها ومواقيتها وثوابها.

ث– كتاب الجنائز وذكر ما يتعلّق بالغسل والحنوط والسّير والدّفن والتّعازي والصّبر.

ج– كتاب الزّكاة وذكر الرّغائب في إيتائها ومقاديرها والتّغليظ على مَن لا يؤدّيها.

ح– كتاب الصّوم والاعتكاف وذكر التّرغيب فيه وواجباته وما يفسده.

خ– كتاب الحجّ وصفته وواجباته ومواقيتُه.

د– كتاب الجهاد وصِفتُه وما ينبغي للوالي أن ينظر فيه.

أمّا الجزء الثّاني فهو عن فقه المعاملات والتي تمَّ تقسيمها إلى خمسةٍ وعشرين باباً، أو كتاباً، مثل: كتاب البيوع وأحكامُها، كتاب الأطعمة، كتاب الأشربة، كتاب الطّبّ، كتاب اللّباس والطِّيب، كتاب الصّيد، كتاب الذّبائح، كتاب الضّحايا والعقائق، كتاب النّكاح، كتاب الطّلاق، كتاب العتق، كتاب العطايا، كتاب الوصايا، كتاب الفرائض، كتاب الدّيات، كتاب الحدود، كتاب السّراق والمحاربين، كتاب الرّدّة والبِدعة، كتاب

الغصب والتّعدّي، كتاب العارية والوديعة، كتاب اللّقطة واللّقيطة والآبق، كتاب القسمة والبنيان، كتاب الشّهادات، كتاب الدّعوى والبيان، كتاب آداب القضاة.

ونظراً لحُسن تنظيم كتاب (دعائم الإسلام) وسهولة الرّجوع إلى أبوابه، فقد اعتُبِر دستوراً شرعيّاً ومدوَّنة فقهيّة للدّولة الفاطميّة وكلّ مَن سار على نهجهم.

وقد ذكر الدّاعي إدريس عماد الدّين القرشي في سبب تأليف هذا الكتاب، أنّه حضر القاضي النّعمان بن محمّد وجماعة من الدّعاة عند المعزّ لدين الله، فذكروا الأقاويل التي اختُرعت، والمذاهب والآراء التي افترقت بها فِرقُ الإسلام وما اجتمعت وما أتت به علماؤها وابتدعت، ثمّ ذكر لهم المعزّ لدين الله الحديث: «**إذا ظهرتِ البِدَعُ في أمّتي فليُظهر العالمُ علمَه، وإلّا فعليه لعنة الله**».

ونظر المعزّ إلى القاضي النّعمان بن محمّد، فقال: أنت المعنيّ بذلك في هذا الأوان يا نعمان، ثمّ أمره بتأليف كتاب الدّعائم وأصّل له أصوله وفرّع له فروعه وأخبره بـ«صحيح» الرّوايات التي رواها بطُرقُه عن رسول الله، فأتمّ القاضي النّعمان بن محمّد تأليف هذا الكتاب على ما وصفه له المعزّ، وأصّله وكان يعرضه عليه فصلاً فصلاً، وباباً باباً، فيُثبت منه ويُقيم الأود ويسدُّ الخَلل –كما يقول إدريس القَرشي– حتّى أتمّه، فجاء كتاباً جامعاً مختصراً غاية في التّنظيم والإحكام.

١٠ – (ذات البيان): ردّ فيه على ابن قتيبة على ما أورده في كتابه (عيون المعارف).

١١ – (شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار): من أشهر كُتبه، سيأتي الكلام عنه مفصّلاً في «قراءة في كتاب» من هذا العدد.

١٢ – (قصيدة في سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السلام).

١٣ – (المجالس والمسايرات): ويُعتبر أهمّ مصدر إسماعيلي في تواريخ الخلفاء الفاطميّين، وخاصّة الخليفة الرابع المُعِزّ، فقد نقل النّعمان عنه نصوصاً ذات قيمة تأريخيّة، تُلقي بعض الضّوء على جوانب من حياة الفاطميّين، وعقائدهم المغطّاة بستار التقيّة.

١٤– (مختصر الآثار في ما رُوي عن الأئمّة الأطهار): في الفقه والأدعية.

١٥ – (مفاتيح النّعمة): تفسير قوله تعالى: ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة..﴾ التوبة:١١١.

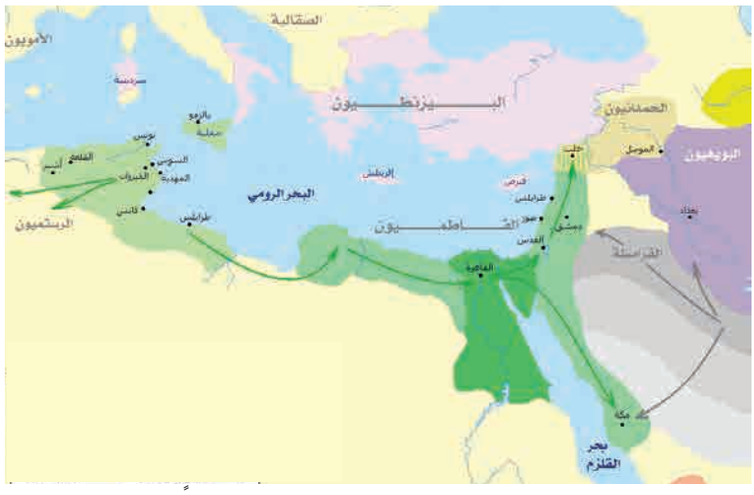

حدود الدولة الفاطمية – بلغت جزيرة صقلية غرباً

١٦ – (المناقب والمثالب): يذكر فيه جملة من مناقب الهاشميّين ومثالب الأمويّين. وصَفه العلّامة المجلسي بقوله: «كتابٌ لطيف مشتملٌ على فوائد جليلة».

١٧ – (المنتخبة): قصيدة فقهيّة قال عنها: « وقد نظمتُه [كتاب الاقتصار] موزوناً رجزاً مزدوجاً في قصيدة سمّيتها (المنتخبة) إنتخبتها لمَن أراد حفظها..».

١٨ – (أجوبة القاضي النّعمان لأسئلة فقهيّة).

كانت تلك جملة من الكتب الموجودة نُسخُها للقاضي النّعمان، ومن كتبه المفقودة: (الآثار النبويّة) في الفقه – (الإتّفاق والافتراق) في علم الإمام عليّ عليه السلام – (أصول الحديث) – (الإمامة) – (البلاغ الأكبر والنّاموس الأعظم) في أصول الدّين – (تأويل القرآن) – (التّقريع والتّعنيف لمن لم يعلم العلم) – (الدّعاء) – (الردّ على الخوارج) – (الرّسالة المصريّة في الردّ على الشافعي) – (كيفيّة الصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله) – (معالم الهدى) – (نهج السّبيل إلى معرفة علم التّأويل).

وفاته

عام ٣٦٢ للهجرة انتقل الخليفة الفاطمي المُعزّ إلى مصر، وجعلها قاعدةً لحُكمه، وصحبَه القاضي النّعمان إليها، وبالتّعاون الفكري مع النّعمان أسّس مُلكَه وحكمَه، وبنى مدينة القاهرة واتّخذها عاصمة لخلافته التي منها بعث الدّعاة إلى أرجاء العالم الإسلامي.

وبعد أقلّ من عام توفّي النعمان في القاهرة في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة أو رجب سنة ٣٦٣ للهجرة، فحزن المعزّ لموته، وصلّى عليه، وأضجعه بنفسه في التّابوت، ودفنَه في داره بالقاهرة.

أصالةُ حوار الأديان
التّأسيس القرآني للحوار

د. محمد الطالبي *

إذا ما أردنا أن نستقصي الجذور الأولى للحوار بين الإسلام وبين سائر الأديان والعقائد، نجدها في ثنايا الآيات القرآنيّة، وفي سُنّة رسول الله ﷺ. يُخاطب الله تعالى البشر –وبالتّبع نبيُّه الأكرم ﷺ– بلُغةِ الفطرة التي جُبلوا عليها، وبمفاهيم وتصوّرات نجدها في صلب أذهانهم.

إذاً، فالحوار الإسلامي مع ما عداه بدأ مع نزول الوحي، لأنّ التنزيل تفاعلٌ مع التاريخ. وقد نزل القرآن الكريم –إلى ذلك– في إحداثيّات الزمان والمكان؛ في وسطٍ نلتقي فيه أوّلاً بالوثنيّة، التي يبدو أنها كانت تمثّل التيار الأكبر في ذلك العصر، وعليه نجد في القرآن حواراً مع الوثنيين.

وإلى هؤلاء الوثنيّين ضمّ ذلك الوسط مجموعاتٍ بشريّة –لعلّها كانت صغيرة من حيث العدد– احتفظت بتعاليم إبراهيم عليه السلام، وبذكرياتٍ عن حياته وما كان يدين به، وهذه المجموعات الصغيرة يشار إليها بـ «الحنيفيّة». ويروى أنّ أجداد النبيّ ﷺ كانوا – قبل المبعث الشريف– على الحنيفيّة، وهي ديانة توحيديّة بنصّ القرآن الكريم، لم تشُبها شوائب الوثنيّة التي طالت اليهوديّة والنصرانيّة. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة:١٣٥.

وإلى جانب هؤلاء، نجد قوماً كانوا ماديّين مُلحدين دهريّين، لا يُدخلون في تصوّراتهم للحياة البشريّة البُعد الإلهيّ أو البعد الماورائيّ؛ وهم الذين قال فيهم القرآن: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ..﴾ الجاثية:٢٤. الماديّة ليست، إذاً، وليدة القرن التاسع عشر، أو وليدة هذا العصر، بل لها جذورها في القديم، وشهادة القرآن عن الدهريّين لا جدال فيها، وكان هؤلاء ينكرون البَعث: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المؤمنون: ٨٢-٨٣، وهناك آيات أُخَرَ تنقل عنهم الإنكار والإستكبار نفسه.

إلى جانب الدّهريّين، يتحدّث القرآن الكريم إلى أهل الكتاب؛ المسيحيّين واليهود الذين تواجدوا في مناطق متفرّقة؛ مثل نجران ويثرب وغيرهما من حواضر الجزيرة العربيّة. والملفت أنّ الخطاب القرآني يؤكّد –في سياق الحوار مع هؤلاء– على حقيقة أنّهم عارفون مسبقاً ببعثة الرسول الأعظم ﷺ، من خلال ما ورد في كُتُبهم التي توارثوها جيلاً بعد جيل. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۘ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة:١٤٦.

هكذا نجد القرآن الكريم في حوار مفتوح مع الوثنيّين من ناحية، ومع الدّهريين من ناحية أخرى، ومع أهل الكتاب بصنفَيهما من ناحية ثالثة. وكلّ هذا يدلّ على أنّ القرآن هو كتاب حوار بامتياز.

الدّعوة القرآنية رحمةٌ بالعباد

فالحوار إذاً، بين الإسلام وغيره من الأديان والملل، ليس جديداً، إذ نشأ الإسلام في بيئة تعدّدية تفرض الحوار، وفي هذه البيئة ضبط القرآن بكلّ وضوح أخلاقيّة الجدل، مؤكّداً على الدّعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى الجدال «**بالّتي هي أحسن**»، ممّا لا يدع مجالاً للمسّ بكرامة الإنسان الذي أراده الله حرّاً في اختياره.

لقد اتّخذ الحوار أيّام التّنزيل شكلاً جدليّاً، إذ القرآن كلّه دعوة، دعوة لكلّ النّاس للإيمان بالله وبرسالة خاتم أنبيائه ورُسلِه. والمخاطِب هو الله تعالى، مُبشّراً ومُنذراً، كلّ ذلك رحمةً منه ومحبّةً لخلقه، حتى لا يخسر أحدٌ نفسه، و﴿..لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ..﴾ النساء:١٦٥، إذ في النّهاية ﴿.. لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ..﴾ البقرة: ٢٥٦، و﴿..كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾الأنعام:١٢. وهكذا فإنّ الجدل القرآنيّ هو رحمة، وغايتُه شرح الصّدور إلى الإيمان عن طريق الإقناع، إذ من طبيعة الإيمان أن يكون اقتناعاً حرّاً أو لا يكون.

* مفكّر من تونس – بتصرّف

من وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله

* يُقطَعُ الطّريقُ بالسّهر الدائم، والظّمأ في الهَواجر..
* الكلمةُ الطيّبةُ صدَقة

إعداد: علي حمّود

أورد الشيخ جمال الدّين أحمد بن فهد الحلّي رضوان الله عليه (ت: ٨٤١ للهجرة) في رسالته الأخلاقيّة (التّحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول) وصيّةً من رسول الله صلى الله عليه وآله للصّحابي أسامة بن زيد. ونظراً لسقوط بعض العبارات من النسخة المطبوعة من (التّحصين)، فقد تمّ ضبطُ متن الوصيّة على مقتطفات منها أوردها المحدّث النّوري في (مستدرك الوسائل)، وأخرى أوردها السيّد البروجردي في (جامع أحاديث الشيعة).

تليها، فقرات منتقاة –مراعاةً للمساحة المخصّصة- من وصيّته صلى الله عليه وآله للصّحابيّ الجليل أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه، مرويّة عن الشيخ الطّوسي قدس سره.

قال الشيخ ابن فهد الحلّي روى الشيخ أبو محمّد جعفر بن أحمد بن القمّي نزيل الرَّيّ [المشهور بابن الرازي] في كتابه (المُنبئ عن زهد النبيّ صلى الله عليه وآله) قال: حدَّثنا أحمد بن عليّ بن بلال عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله و[قد] أقبل على أُسامة بن زيد، فقال:

يا أسامة، عليك بطريق الحقّ، وإيّاك أن تختلج دونه بزهرة رغبات الدّنيا وغَضارة نعيمِها وبائد سرورها وزائلِ عيشِها.

فقال أسامة: يا رسولَ الله، وما أيسرُ ما يُقطَع به ذلك الطريق؟

قال صلى الله عليه وآله: **السّهرُ الدّائم، والظَّمأُ في الهواجر، وكفُّ النّفس عن الشّهوات، وتركُ اتّباع الهوى، واجتنابُ أبناء الدّنيا.**

يا أسامة، عليك بالصَّوم فإنّه قربةٌ إلى الله وليس شيءٌ أطيب عند الله من ريحِ فمِ صائمٍ تَرَك الطّعام والشّراب لله ربِّ العالمين، وآثرَ اللهَ على ما سواه، وابتاعَ آخرتَه بدنياه، فإنْ استطعتَ أن يأتيك الموتُ وأنت جائعٌ وكبدُك ظمآن فافعل، فإنّك تنالُ بذلك أشرفَ المنازل، وتحلُّ مع الأبرار والشّهداء والصّالحين.

عليك بالسُّجود والصّلاة

يا أسامة، عليك بالسُّجود فإنّه أقرب ما يكون العبد من ربّه [متى] **كان ساجداً، وما من عبدٍ سجد لله سجدةً إلّا كتبَ له بها حسنةً ومحا عنه سيِّئة، ورفع له بها درجة، وأقبلَ اللهُ عليه بوجهِه وباهى به ملائكته.**

يا أسامة، عليك بالصَّلاة فإنَّها أفضلُ أعمال العباد، لأنَّ الصَّلاة رأسُ الدِّين وعمودُه وذروةُ سَنامه.

واحذر يا أسامة دعاء عباد الله [الذين] **أنهكوا الأبدان، وصاحبوا الأحزان، وأزالوا اللُّحوم، وأذابوا الشُّحوم، وأظمَأوا الكبود ".." حتى غشيت منهم الأبصار شوقاً إلى الواحد القهّار، فإنَّ الله إذا نظر إليهم باهى بهم الملائكة، وغشّاهم بالرّحمة، بهم يدفعُ الله الزلازلَ والفتن.**

..الّذين إذا شهِدوا لم يُعرفوا

ثمَّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى علا بكاؤه واشتدَّ نحيبُه، وهاب القومُ أنْ يكلِّموه فظنُّوا لِأمرٍ قد حدثَ من السّماء، ثمَّ إنّه صلى الله عليه وآله رفع رأسَه فتنفّسَ الصُّعداء، ثمَّ قال:

أوه أوه، بؤساً لهذه الأمّة، ماذا يلقى مَن أطاع الله، كيف يُطردون ويُضرَبون ويُكذَّبون لأجل أنَّهم أطاعوا الله، فأذلّوهم بطاعة الله، ألا ولا تقوم السّاعة حتى يبغض النّاس مَن أطاع الله ويحبُّون (يحبّوا) مَن عصى.

فقال بعضهم: يا رسول الله، والنّاس يومئذٍ على الإسلام؟

قال: **وأين الإسلام يومئذٍ؟ إنَّ المسلم يومئذٍ كالغريب الشَّريد، ذلك زمانٌ يذهبُ فيه الإسلام ولا يبقى إلّا اسمُه، ويندرس فيه القرآن فلا يبقى إلّا رَسْمُه.**

قال: يا رسول الله، وفي ماذا يكذِّبون مَن أطاع ويطردونهم ويعذِّبونهم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **تركَ القومُ الطّريق وركنوا إلى الدُّنيا، ورفضوا الآخرة،**

وأكلوا الطَّيِّبات ولبسوا الثّياب المزيَّنات، وخدمتهم أبناءُ فارس والرُّوم، فهم يغتذون (يغتدون) في طيّب الطّعام، ولذيذ الشّراب، وزكيّ الرّيح، ومشيَّد البنيان، ومزخرف البيوت، ومجد (منجّدة) المجالس، يتبرَّجُ الرَّجل منهم كما تتبرَّج الزّوجةُ لزوجها، وتتبرَّج النّساءُ بالحُليّ والحُلل المزيَّنة، زيُّهم يومئذٍ زيُّ الملوك الجبابرة. يتباهون بالجاه وأولياءُ الله عليهم العناء، مشحبة ألوانُهم من السَّهر، ومنحنيةٌ أصلابهُم من القيام، قد لصقت بطونُهم بظهورهم من طول الصّيام. قد أذهلوا أنفسَهم وذبحوها بالعَطش طلباً لرضى الله، وشوقاً إلى جزيل ثوابه، وخوفاً من أليم عقابه، فإذا تكلَّم منهم متكلِّمٌ بحقٍّ أو تفوَّه بصدقٍ قيل له: اسكُت، فأنت قرينُ الشّيطان ورأسُ الضّلالة. يتأوَّلون كتاب الله على غير تأويله، ويقولون مَن حرَّم زينةَ التي أخرجَ لعبادِه والطّيّبات من الرِّزق.

واعلم [يا] أسامة أنَّ أكثر النّاس عند الله منزلةً يوم القيامة وأجزلَهم ثواباً وأكرمَهم مآباً مَن طال في [الدّنيا] حزنُه، وكَثُر فيها همُّه، ودام فيها غمُّه، وكثُر جوعُه وعطشُه؛ أولئك الأبرارُ الأتقياءُ الأخيارُ، إنْ شهِدوا لم يُعرَفوا وإن غابوا لم يُفتَقَدوا.

يا أسامة، أولئك تعرفهم بقاعٌ، وتبكي إذا فقَدَتْهُم محاريبُها، فاتّخِذهم لِنفسك كنزاً وذُخراً لعلَّك تنجو بهم من زلازل الدُّنيا وأهوال القيامة، وإيَّاك أن تَدَعَ ما هُم فيه وعليه، فتزلَّ قدمُك وتهوي في النّار، فتكون من الخاسرين.

واحذر يا أسامة أن تكون مِن الذين قالوا سَمِعنا وهم لا يَسمعون.

من وصاياه صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاريّ

يا أبا ذرّ: احفظ ما أُوصيك به تكُن سعيداً في الدّنيا والآخرة.

يا أبا ذرّ:

- إنَّ الله تبارك وتعالى لم يوحِ إليَّ أن اجمَع المالَ ولكن أوحى إليَّ أن ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ الحجر:٩٨-٩٩.

- الجليسُ الصّالحُ خيرٌ من الوحدة، والوحدةُ خيرٌ من جليس السُّوء، وإملاءُ الخير خيرٌ من السُّكوت، والسُّكوتُ خيرٌ من إملاء الشرّ.

- لا تصاحِب إلَّا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلَّا تقيّ، ولا تأكل طعامَ الفاسقين.

- اترك فضولَ الكلام، وحسبُك من الكلام ما تبلغُ به حاجتَك.

- كفى بالمرء كذِباً أن يحدِّث بكلّ ما يسمع.

- ما من شيءٍ أحقّ بطول السّجن من اللّسان.

- إنَّ من إجلال الله إكرام ذي الشّيبة المسلم، وإكرام حَمَلة القرآن العاملين، وإكرام السُّلطان المُقسِط.

- يا أبا ذرّ، الكلمةُ الطيّبة صدَقة، وكلُّ خطوةٍ تخطوها إلى الصّلاة صدقة.

- إنَّك ما دمتَ في الصّلاة فإنَّك تقرعُ بابَ الملِك الجبّار، ومَن يُكثِر قرع باب الملِك يفتَح له.

- يقول الله تعالى: لا أجمعُ على عبدٍ خوفَين ولا أجمع له أمنَين، فإذا أَمِنَني في الدُّنيا أَخَفْتُه يوم القيامة، وإذا خافني في الدُّنيا آمنتُه يوم القيامة.

- الكيِّسُ مَن دان نفسه وعمل لِما بعد الموت، والعاجز مَن اتَّبعَ نفْسَه وهواها وتمنّى على الله عزَّ وجلَّ الأماني.

- إنَّ أحبّكم إلى الله جلَّ ثناؤه أكثرُكم ذكراً له، وأكرمكم عند الله عزَّ وجلَّ أتقاكم له، وأنجاكم من عذاب الله أشدّكم له خوفاً.

- إذا سُئلتَ عن علمٍ لا تعلمه فقُل: لا أعلمه، تَنْجُ من تبعتِه، ولا تُفْتِ بما لا علم لك به، تَنْجُ من عذاب الله يوم القيامة.

- إنَّ الرّجل ليُحرَم رزقه بالذّنب يُصيبُه.

- دَع ما لستَ منه في شيءٍ، فلا تنطق بما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن ورقك.

- أيّما رجل تطوَّع في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة كان له حقّاً واجباً بيتٌ في الجنّة.

- يا أبا ذرّ، لو أنَّ الناس كلّهم أخذوا بهذه الآية لكَفَتهم: ﴿.. وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ..﴾ الطلاق:٢-٣.

يا أبا ذرّ، التّقوى هَهنا، التّقوى هَهنا، وأشار ﷺ إلى صدره.

الإمام الخامنئي لقادة القوّة البرّية للجيش:

جيوشُ العالم في خدمةِ مصالحِ الفئاتِ الحاكمة

إعداد: شعائر

مقتطفات مهمّة من كلمة وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئي حفظه الله، والتي ألقاها في الثاني والعشرين من نيسان الفائت، في حشدٍ من قادة وضبّاط القوّة البريّة التّابعة لجيش الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

يُشار إلى أنّ ضرورات الإختصار والتّحرير اقتضت إدخال تعديلات شكليّة على بعض العبارات فوُضِعت بين معقوفتين [ ].

".." [جاء في الحديث القدسيّ]: «**لأعذّبنّ كلّ رعيّة في الإسلام أطاعت إماماً جائراً ليس من الله عزَّ وجلَّ وإن كانت الرعيّة في أعمالها برّةً تقيّة..**». فمضمون هذا الحديث هو أنّه لو كان زمام أمور أي مجتمع بيد الفاسدين وغير الكفوئين والظّالمين والمنحرفين، فإنّ التّحرّكات الإيمانيّة للأفراد في هذا المجتمع لن تصل إلى نتيجة. ففي هذه الحالة إنّ الذين يطيعون هؤلاء الظّالمين ويسلّمون لهم سيعذّبهم الله. وهنا في الحديث نفسه يوجد عكسُه أيضاً: «..**ولأعفونَّ عن كلّ رعية في الإسلام أطاعت إماماً هادياً من الله عزَّ وجلَّ، وإنْ كانت الرّعيّةُ في أعمالها ظالمةً مسيئة**». وهذا ما يحتاج إلى شرح، حيث لا ينبغي الإكتفاء بظاهره.

وخلاصة الأمر ولبّ المطلب هو أنّه لو كان النّظام والحاكميّة في أيّ نظامٍ أو جماعةٍ أو بلدٍ أو مجتمعٍ هو النّظام الإلهي والعادل، فإنَّ الذين يطيعون هذا النّظام سينالون عفوَ الله ولو كانوا خطّائين. ويمكنكم أن تجعلوا هذا مقياساً لأيّ بلدٍ، وتحاسبوا على أساسه أيّ شعبٍ أو مجتمعٍ؛ وفي المعيار المتعلّق بأيّ مؤسّسة -كمؤسّسة الجيش- يمكننا أيضاً ملاحظة هذا الأمر، وأن نحاسب على أساسه.

***

يُعدّ الجيش من أكثر المؤسّسات شعبيّةً في بلدنا. "..".

صحيحٌ أنّ جيوش العالم تتشكّل تحت شعار حفظ المصالح القوميّة وتعمل على هذا الأساس، لكن هل هذا الأمر واقعاً كذلك؟ فهل كان جيش أمريكا في العراق وفي أفغانستان يحافظ على المصالح القوميّة لأمريكا؟ وهل أنّ شعب أمريكا استفاد من احتلال أفغانستان؟ وهل هو راضٍ ومسرور من قتل شعب أفغانستان؟ وهل أنّ مصالح أمريكا يتمّ تأمينها من خلال قيام مرتزقتهم بإطلاق الرَّصاص على النّاس، والتّمثيل بجثثهم، والتقاط الصُّوَر مع جثثِهم [المقطّعة]؟

لو أنّ أحداً سأل زعماء الولايات المتّحدة ماذا تريدون من كلّ هذا الجيش الكبير وهذه الأجهزة الحديثة وما فوق الحديثة لقالوا: من أجل المصالح القوميّة. لكن هل أنّ جوابهم صادقٌ؟

وهكذا الأمر في كلّ بلاد العالم. ".." من الممكن أن نجد في بعض الزّوايا هنا وهناك ما يمكن أن ينقض كلامنا، ولكن ما شاهدناه وعرفناه هو هكذا على الأغلب في كلّ بلاد العالم؛ فالجيوش يتمّ تشكيلها تحت عنوان المصالح القوميّة، ولكنّها ليست في خدمة هذه المصالح؛ بل إنّها تكون في خدمة طلّاب الزّعامة السّياسيّة. وقد كان الأمر هكذا طيلة التّاريخ. ".." [ما نشاهده اليوم في العالم هو

أنّ الجيوش] إمّا أن تكون في خدمة المطامع الشّخصيّة [للحكّام] أو لِحفظ القوى الطّاغوتيّة.

في بدايات الثّورة، وفي واحدٍ من هذه القصور الملكّية حيث وُضع قسم من قوّات الجيش من أجل الحراسة، كانت هناك لوحة إعلانات كبيرة، كُتب عليها ما مضمونه: نحن -أي الجنود- قد التحقنا بالجيش من أجل حفظ حياة هذا الطاغوت! [الشاه]

[أليسَ] هذا بعيداً جداً عن المصالح القوميّة؟ لو أنّنا وجدنا في هذا العالم جيشاً يحمل قناعات الشّعب ومشاعره نفسها، ولا يرى [إلى نفسه على أنّه] لخدمة الأفراد بل لخدمة الشّعب ومصالحه بالمعنى الحقيقي، فمثل هذا الجيش له أهمّية وقيمة عظيمة، وهذا هو جيشكم. وفي الحقيقة ليس عندي موردٌ آخر يُشبِهُه.

أمّا بالنّسبة لهذه الدُّول التي شهدت الثّورات مؤخّراً، فلنرَ ماذا ستُثمر وماذا سيفعلون. ولكن إلى الآن، فإنّني لا أرى جيشاً مثيلاً؛ جيشٌ لا يكون في خدمة طلّاب القدرة الشّخصيّة ولا يُفني نفسه من أجل شخص. وهذا ما أريد أن أؤكّد عليه؛ **فلا الله يرضى، ولا أحكام الإسلام تجوّز أن نقول إنّ جيشنا أو قوّاتِنا المسلّحة أو عناصرنا تفدي نفسها لفلان، أبداً... نعم، فليَمُت الجميع من أجل الإسلام، وليَمُت هذا الفلان من أجل الإسلام أيضاً.** «..» وهذا الموت يُدعى شهادة. في هذه الحالة يكون الجيش جيشاً إلهيّاً ومعنويّاً، ويكون حينها إسلاميّاً "..".

***

اليوم يوجد تحرّكٌ في العالم عرفه الجميع وأدركه، وهو تحرّكٌ مخالفٌ لنظام التّسلّط. إنّ قضيّتنا ليست مع الأشخاص -من أيّ جهةٍ كانوا وفي أيّ رتبة كانوا- القضيّة هي قضيّة نظام التّسلّط. فماذا يعني هذا النّظام؟

إنّه عبارة عن تقسيم دول العالم وشعوبه إلى قسمين، إلى المتسلِّط والرّاضي بالتّسلُّط. ولا شكّ أنّ بعض هؤلاء المتسلّطين الخُبثاء يكتمون هذا المعنى والمضمون وينكرونهما، ولا يأتون على ذكرهما؛ لكنّ البعض منهم وبسبب بلاهتهم الذّاتيّة يصرّحون به، كرئيس أمريكا السّابق [جورج بوش] الذي صرّح قائلاً: إنّ كلّ مَن لا يكون في قضيّة أفغانستان وقضيّة الهجوم على البرجَين وأمثالها مع أمريكا فهو ضدّنا! هذه حماقة، فالمتسلِّطون في العالم هكذا يقيمون علاقاتهم مع العالم؛ وينبغي في المقابل أن يوجد الذي يرضى بمثل هذا التسلّط.

إنّ مشكلة الأجهزة المقتدرة المتسلّطة في العالم هي أنّ هناك تحرّكاً قد انطلق في العالم، وهو يعارض هذا التّقسيم. وفي مركز هذا التّحرّك تقع إيران الإسلاميّة وأنتم.

لقد كان صبر إيران الإسلاميّة كبيراً. ففي اليوم الأوّل الذي بدأنا به هذا التّحرُّك لم يكن هناك في العالم مَن يستجيب لنا. ".." جميع الحركات التّاريخيّة على هذا المنوال. فإنّ التّحرّكات التّاريخيّة وإن كانت تبدو للوهلة الأولى دفعيّةً، لكنّها ليست كذلك بتاتاً، إنّها متدرِّجة تنتظر نقطة النُّضج والتّفتّح؛ فتقع حادثةٌ أو تحدث قضيّة وفجأةً فإنّ ذلك الإستعداد وتلك القدرة المتراكمة المتجمِّعة والمتضافرة تبرز بنفسها وتنفلت من عقالها، فيحدث كما حدث في مصر وبقيّة الأماكن. ثلاثون سنة مرّت حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم. "..".

المستعمرون والمقتدرون يخافون -بالمعنى الواقعي للكلمة- من هذه الحركة. وكلّ هذه الإضطرابات والتّهديدات والحَظْر والحصار ناشئة من الخوف. إنّني لا أدّعي أنّهم يخافون الجمهوريّة الإسلاميّة بالخصوص كدولةٍ أو كجيشٍ، بل يخافون من هذه الحركة، من هذه الظّاهرة غير المسبوقة والتي بالنّسبة لهم هي مجهولة بالكامل. وهذه الحركة هنا تتفاقم وهنا تُبثّ وهنا تتجدّد. إنّهم يخافون من شبابنا المؤمنين أُولي العزم، ومن مشاعرنا الوطنيّة المتأجّجة المصحوبة بالمعرفة الجيّدة -ولا نقول العالية- ففي يومنا هذا يُعدّ مستوى المعرفة والبصيرة في بلدنا وللإنصاف جيداً.

***

".." [يقال دائماً] إنّ العمود الفقري للجيش هو القوّة البرّيّة. [لقد تقلّص احتمال نشوب معارك برّيّة في حروب اليوم] وازداد احتمال وقوع المعارك البحريّة والجويّة وأمثالها، لكنَّ القوّة البرّيّة يجب أن تحافظ على جهوزيّتها الحقيقيّة وتزيدها رقيّاً. والإستعداد الحقيقي يعني الإيمان والدّافع والتّدرُّب وتعلُّم الإختصاصات اللّازمة ".." وثبات وصلابة الشّخصيّة [التي] لا يمكن أن تؤثّر فيها الإغراءات المختلفة وتذلّها ".."

أللّهمَّ بمحمّدٍ وآل محمّدٍ اشملنا مع أولئك الذين قلت عنهم ﴿..رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ..﴾ المائدة:١١٩.

أللّهمَّ اشملنا بدعاء وليّ العصر أرواحنا فداه، واجعل دعاءه مستجاباً فينا.

مجزرة دير ياسين

شارون يؤسِّس للكيان الغاصب

إعداد: «شعائر»

كان لمجزرة دير ياسين الأثر الأكبر في نكبة فلسطين، من خلال استغلال الإعلام الغربيّ والصّهيونيّ هول المجزرة لتهجير الفلسطينيين من قراهم، إذ سقطت بعدها عشرات القرى الفلسطينيّة عام ١٩٤٨ دون قتال يُذكر، علماً أنّ مجازر أُخَرَ فاقتها في عدد القتلى، كمجازر الطّنطورة، واللّدّ والرّملة والدوايمة. ولأجل ذلك قال مناحيم بيغن الرّئيس الأسبق لحكومة الكيان الغاصب: «لولا دير ياسين لما قامت إسرائيل».

تقع قرية دير ياسين على بعد كيلومترٍ واحد إلى الغرب من مدينة القدس. كانت مساحة أراضيها عام ١٩٤٥ (٢٨٥٧ دونماً)، وأُقيمت القرية على اثنَي عشر دونماً منها.

المجزرة المشؤومة

بعد الهجوم على قرية القسطل المجاورة، واستشهاد القائد عبد القادر الحسيني، قامت قوات من عصابات «الأرغون» و«شتيرن» -وكان من أبرز المشاركين في هذه المجزرة، الإرهابي أرييل شارون- بتفخيخ بيوت عديدة في القرية يوم الجمعة ٩ نيسان/ أبريل ١٩٤٨ م، وأطلقوا النيران على كلّ من يتحرّك داخل المنازل، ثم دخلوها بأزياء عربية، فتيسّر لهم الوصول إلى مواقع المدافعين عن القرية، واقتادوا عدداً من الرجال والنساء وقتلوهم، وكان معظم الضّحايا من الأطفال والنساء، وقد مثّل المجرمون بجُثث الضحايا، وتمكّن بعض السّكّان من الإفلات والتجأوا إلى القرى العربيّة المجاورة.

وخيرُ دليلٍ على بشاعة هذه المجزرة هي شهادة القنصل الأمريكي في القدس «روبرت مكات»، إذ يقول في تقريره للخارجية الأمريكية: «إنّ الأطفال كانت تُبتَر أطرافُهم وتكسر ضلوعُهم، **وإنّ شارون ارتكبَ من المجازر ما يفوق ما ارتكبَه هتلر بشاعةً** "..." إنّه كان يجمع الأعضاء التناسليّة للأطفال في جُعبته، ويُباهي بها قيادات تنظيم الهاغانا».

بدوره قال مندوب الصليب الأحمر الدّوليّ في القدس «جاك دي رينيه»: «..كان جلّ أفراد العصابة، سواء الرّجال منهم أم النّساء في سنّ المراهقة، مدجّجين بالسّلاح، يحملون المسدّسات والرّشّاشات والقنابل والسّكاكين الطويلة، وكانت معظم السّكاكين ملطّخةً بالدّماء..».

شهادات من قلب المجزرة

كثيرة هي الشهادات عن هول المجزرة، وهنا نورد شهادتين تختصران ما حلّ في ذلك اليوم المشؤوم:

شهادة حليمة عيد

«أخرج الإرهابيّون عروساً من القرية مع عريسها وثلاثين شخصاً آخرين من منازلهم وأطلقوا عليهم الرصاص، وشاهدت جنديّاً يُمسك شقيقتي صالحة، الحامل في شهرها التاسع، ويفرغ رصاص رشّاشه في جسدِها، ثم يتحوّل بعد ذلك إلى جزّار فيمسك سكيناً ويشقّ بطنها ويخرج الطّفل ويذبحه».

شهادة محمّد عارف سمّور

«أمسك الجنود بصبيّ في السادسة من عمره اسمُه فؤاد، فضمّت الأمّ ابنها إلى صدرها لكنّهم قتلوه... وأكملت الأمّ عمرها مجنونة».

ستبقى مجزرة دير ياسين وصمة عار في جبين الكيان الغاصب، وداعِميه، واللّاهثين إلى الصّلح معه.

صوَر من المجزرة نقلاً عن مواقع إلكترونيّة

دوائر ثقافية

مواجهةُ العَولمة بالرَّوحنة	الشيخ محمّد مهدي شمس الدّين رحمه الله
عليٌّ ..كمثل البيت الحرام	إعـداد: «شعـائر»
شرحُ الأخبار في فضائلِ الأئمّة الأطهار عليهم السلام	قراءة: سلام ياسين
دعاء الإستفتاح أو عمل أمّ داود	«شعائر»
الفَيء والصّفيّ	إعـداد: «شعـائر»
حكم ولغة . تاريخ وبلدان	إعداد: جمال برّو
إصدارات: عربيّة . أجنبيّة . دوريات	يـاسر حمـادة

مواجهةُ العَولمة بالرَّوحنة*

الشيخ محمّد مهدي شمس الدّين رحمه الله

..أمّا العولمة، وكما يبدو من تطبيقاتها، فهي تقوم على اجتياحٍ للثّقافات الأخرى ومَحْوها محواً كاملاً، وإذا كان لهذه الثّقافات من بقاء فسيكون بقاءً فلكلوريّاً لمجرّد الاستمتاع وليس لتنمية وإخصاب الذّات الإنسانيّة. إنّها سيطرة القوى الكبرى والغالبة، وهي إلى جانب السّيطرة الاقتصاديّة والسّياسيّة تمارس السّيطرة الثّقافيّة، وتستخدم كلَّ تنوُّعٍ ثقافي في سبيل التّنكيل بالآخرين وإرهابهم لأجل استتباعهم ثقافيّاً.

إنَّ العولمة بالصّيغة الأمريكيّة التي يحاولون فرضها على العالم لا تمثِّل تحدّياً بقدر ما تمثِّل غزواً، فهي مشروع يتسلَّم واقع الهيمنة على السّياسة والاقتصاد من جهة، وبالقدرة غير المسبوقة في توجيه الإعلام من جهة أخرى، كما أنّها تتسلَّح أيضاً بالقدرة على التّشريع على المستوى الدّولي. ولذا فإنّ العولمة لا تمثِّل في نظرنا تحدّياً، بل تمثِّل غزواً، وهذا الغزو لا بدَّ من مقاومته. "..."

ومن جهة أخرى، فإنَّ العولمة تؤدّي إلى تشجيع عوامل التَّفتُّت والإنقسام داخل المجتمعات الأخرى، وإلى إثارة التّناقضات العِرقيّة والدّينيّة والمذهبيّة بين الأقوام داخل المجتمعات، وتؤدّي بهذه المجتمعات إلى حروب وتوتُّرات داخليّة تُتيح الاستيلاء عليها، والهيمنة عليها وعلى اقتصادها، إنّها تتيح تفتيت البُنى الثقافيّة والأخلاقيّة وأنظمة القِيَم داخل مجتمع وداخل كلّ حضارة لمصلحة تيّار الحداثة، كما يتجاوز في ما يسمّى الحضارة الأمريكيّة والثّقافة الأمريكيّة ونمط الحياة والعيش الأمريكي.

هذا يفرض علينا، يفرض على كلِّ شعب، كلِّ حضارة، كلِّ ثقافة، مسؤوليّاتِ تحصين الذّات من جهة، والانفتاح من جهة أخرى: تحصين الذّات بما لا يعني الإنغلاق، والإنفتاح بما لا يعني الذّوبان.

بالنّسبة لنا في العالم العربي والإسلامي، فإنَّ هذا يفرضُ مسؤوليّاتٍ تربويّةً في الأُسرة، والمدرسة، والجامعة، والحياة العامّة. وهي مسؤوليّات أكبر وأثقل ضرورة وإلحاحاً ممّا كانت عليه الحال قبل نشوء الموجة الثّقافيّة والتيّار الثّقافي الماحق والسّاحق الذي يتدفَّق بواسطة الإنترنت والتلفزيون والسينما والصّحافة، وما إلى ذلك تحت عنوان الحداثة. "..."

إنّنا نرى أنَّ من غير الواقعي ومن غير الصّحيح والمنطقي مواجهة العولمة بالإنغلاق، أو برفض كلِّ شيء، أو بالعودة إلى النّصّ من دون وعي. إنَّ علم الشّريعة هو علمُ الفقه الذي هو علم الوعي، والفقه يعني تجاوز النّصّ لا بمعنى رفضه، بل بمعنى التعمُّق بفهمه عموديّاً وأفقيّاً بما يستكشفُ المستقبل، وبما يستجيبُ لضرورات الحاضر.

نعتقد أنَّ الاساس في المواجهة يجب أن يرتكز على الأمور التي سبقت الإشارة إليها. ونضيف إلى ذلك أنّه لا بدَّ من تطويرٍ عميقٍ في مناهج التّعليم وفي العلوم عندنا، ابتداءً من رياض الأطفال إلى أرقى المستويات الجامعيّة. يجب تطوير نظام التّعليم بما يتوافق مع حاجات الأمّة ومع الإندماج في الطّبيعة ومع رؤية المستقبل، يجب أن نعيد تكوين علاقتنا مع الطّبيعة.

وفي الوقت نفسه، يجب إعادة الإعتبار بكلّ قوّة إلى الأُسرة وقِيَم الأسرة، وإلى بُنى وقِيَم الاجتماع الإسلامي، إلى إعطاء مفاهيم الحوار والمحلّة والحرفة وكلّ الأُطر التي انتظم فيها الاجتماع الأهلي العربي الإسلامي على مدى التّاريخ، إنطلاقاً من مبدأ الأخوّة أو مبدأ التّآخي الذي أرساه الإسلام في التّعبير الأوّل من تعابير الإجتماع المديني في المدينة بعد الهجرة النّبويّة الشريفة.

يجب إعادة الاعتبار إلى هذه القيم لا باعتبارها ثقافيّة نظريّة، بل باعتبارها أساليب لتكوين الاجتماع الإسلامي العربي على الأسُس الفكريّة الإسلاميّة التي تنبع من نظام القِيَم الإسلاميّة العربيّة الذي تستهدفه تيّارات الحداثة، بكلّ ما تحتوية من فرديّة وشهوانيّة حسّيّة وماديّة.

وفي ظلّ ذلك يجب تعميقُ الوعي الرُّوحي (رَوْحَنة الحياة ورَوْحَنة السُّلوك) في مقابل ما تقتضيه الحداثة من ماديّة ومن ذرائعيّة ونفعيّة، يجب أن تعمَّق في شخصيّة المسلم روح العبادة وروح الارتباط بالله –الرَّوحنة– وهذه وظيفة العلم والتّربية داخل الأسرة، وداخل المدرسة، وداخل مؤسَّسات المجتمع الأهلي.

* من دراسة بعنوان: «موقف الإسلام من العولمة في المجال الثقافي والسياسي».

فرائد

عليٌّ ..كمثل البيت الحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: .. أعطى اللهُ عليّاً من الفضل جزءاً لو قُسِّم على أهل الأرض لَوَسِعهم، وأعطاه من الفهم جزءاً لو قُسِّم على أهل الأرض لَوَسِعهم، شبّهت لينَه بلينِ لوط، وخُلُقَه بِخُلُق يحيى، وزهدَه بزهد أيّوب، وسخاءَه بسخاء إبراهيم، وبهجتَه ببهجة سليمان بن داود، وقوّته بقوّة داود. ".." عليٌّ منّي وأنا من عليّ، مَن تولّى عليّاً فقد تولّاني، حبُّ عليٍّ نعمة، واتّباعُه فضيلة ".." مثله كمثل بيت الله الحرام، يُزار ولا يزور ".." وَصَفَه الله في كتابه، ومدحه بآياته ".." فهو الكريم حيّاً والشّهيد ميتاً.

(الأمالي، الشيخ الصدوق)

أَفضل النّاس..

خطب رسول الله صلى الله عليه وآله خطبةً ذرفت منها عيون المُستمعين، ووجلت منها قلوبهم، جاء فيها:

أيُّها النّاس، إنَّ أفضل النّاس عبدٌ تواضع عن رفعة، وزَهد عن رغبة، وأَنصف عن قوّة، وحلم عن قدرة.

أَلَا وإنّ أفضل النّاس عبدٌ أخذ في الدّنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف، وتزوَّد للرَّحيل، وتأهَّب للمسير، أَلَا وإنّ أعقل الناس عبدٌ عرف ربَّه فأطاعه، وعرف عدوَّه فعصاه، وعرف دار إقامته فأصلحها، وعرف سرعة رحيله فتزوَّد لها.

أَلَا وإنَّ خير الزّاد ما صحبه التّقوى، وخير العمل ما تقدَّمته النيّة، وأعلى النّاس منزلة عند الله أخوفهم منه.

(بحار الأنوار، العلّامة المجلسي)

للحفظ من الإنس والجن

عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال: «ما أُبالي إذا قلت هذه الكلمات ولو اجتمعت عليّ الجنّ والإنس، وهي: بسم اللهِ وباللهِ ومن اللهِ وإلى اللهِ وفي سبيلِ الله، أللّهمَّ إليك أسلمتُ نفسي، وإليك وجّهتُ وجهي، وإليك فوّضتُ أمري، فاحفظني بِحفظِ الإيمان من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قِبَلي، وادفعْ عنّي بحولِكَ وقوّتك، فإنّه لا حَوْلَ ولا قوّة إلّا بالله العليِّ العظيم».

(الكافي، الشيخ الكليني)

لا تَقْنَط

عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: قلت لأبي الحسن (الرضا) عليه السلام: جُعلت فداك إنّي قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شيء، فقال: **يا أحمد إيّاك والشّيطان أن يكون له عليك سبيل حتى يُقنِّطك، إنَّ أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: إنَّ المؤمن يسأل الله عزَّ وجلَّ حاجة فيؤخّر عنه تعجيل إجابته حبّاً لصوته واستماع نحيبه،** ثمّ قال: ".." أخبرني عنك لو أنّي قلت لك قولاً أَكُنت تثق به منّي؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم أثق بقولك فبِمَن أثق وأنت حجّة الله على خلقه؟ قال: **فكُن بالله أوثق، فإنّك على موعد من الله، أليس الله عزَّ وجلَّ يقول:** ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ.. ﴾ البقرة:١٨٦، **وقال:** ﴿.. لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ..﴾ الزمر:٥٣، **وقال:** ﴿.. وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا..﴾ البقرة:٢٦٨، **فكُن بالله عزَّ وجلَّ أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلَّا خيراً، فإنّه مغفور لكم.**

(الكافي، الشيخ الكليني)

قراءة في كتاب

شرحُ الأخبار في فضائلِ الأئمّة الأطهار عليهم السلام
للقاضي النُّعمان المغربي

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: «شرحُ الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام»
المؤلّف: القاضي النعمان المغربي (٢٩٢ - ٣٦٣ للهجرة)
تحقيق: السيّد محمّد الحسيني الجلالي
الناشر: «مؤسّسة النشر الإسلامي»، قم المقدّسة ١٤١٤ للهجرة (ثلاثة مجلّدات)

يُعدُّ هذا الكتاب: (**شرحُ الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار** عليهم السلام) من أشهر كُتُب قاضي القضاة في الدولة الفاطميّة أيّام نشأتها وصعودها؛ النّعمان بن محمّد التميمي المغربي، الذي تقدّمت ترجمتُه في هذا العدد [أنظر: أعلام]، وهو من كُتُب التاريخ الإسلامي الذي استعرض فيه المؤلّف محطّاتٍ بارزة في حياة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وفضائلهم.. إلى الإمام الصادق عليه السلام، انسجاماً مع العقيدة الفاطميّة التي ترى أنّ الإمامة صارت في إسماعيل ابنِ الإمام الصادق عليه السلام. كما أنَّ المؤلّف تعرَّض لمسألة المهدويّة بما ينطبق مع المذهب الإسماعيلي، وأنّ المهدي تمثّل -في زعمِهم- بـ «عُبيد الله بن محمّد» أوّلِ الخلفاء الفاطميّين.

[مرّ في ترجمة المؤلّف القاضي النّعمان أنّ طائفةً من علمائنا رضوان الله عليهم قالوا بأنّه كان إماميّاً اثنَي عشريّاً، من ذلك قول الشيخ الطّهراني في (الذريعة): «ولمّا كان قاضياً من قِبل الخلفاء الفاطميّين «..» كان يتّقي في تصانيفه من أن يروي عن الأئمّة بعد الإمام الصادق عليه السلام صريحاً، لكنّه يروي عنهم بالكُنى المشتركة، فيروي عن الرّضا عليه السلام بعنوان أبي الحسن، وعن الجواد عليه السلام بعنوان أبي جعفر».]

وأكثرُ ما توسّع الكتاب في ما يتعلّق بفضائل أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام، وردِّ شُبهات المخالفين للقول بأفضليّته.

ولأنّ الكتاب يُعدّ من تراث الإسماعيليّين، الذين يتحفّظون على نشر ما يتعلّق بعقيدتهم عملاً بمبدأ التقيّة -كما يفهمونها- فقد بذل المحقّق جهداً كبيراً في الحصول على نُسَخ الكتاب، التي لم تكن واحدةٌ منها تامّة الأجزاء، وكانت النسخة الأقرب للتّمام، نسخة مصوّرة في مكتبة السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمه الله في قم المقدّسة.

وقد وصف المحدّث النوري (ت: ١٣٢١ للهجرة) الكتاب في (خاتمة المستدرك) بقوله: «كتاب (شرح الأخبار) للقاضي النعمان "..."، وهو مقصورٌ في الفضائل والمناقب، وشطرٍ من المثالب، مشتملٌ على سبعة أجزاء [وهي التي وصلت إليه]، يُنبئ عن سعة اطّلاعه، وطول باعه، وفضله وكماله».

يتألّف الكتاب من ستة عشر جزءاً [في مجلّدات ثلاثة] هي كالتالي: في حديث «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**» - في سبْق عليّ عليه السلام إلى الإسلام - في جهاد عليٍّ عليه السلام - في جهاده مع جموع النّاكثين والقاسطين والمارقين - في بقيّة أخبار القاسطين - في الذين عدلوا إلى معاوية - في مناقب عليٍّ عليه السلام وردّ الحشويّة - في بيان ما جاء من الأمر بطاعة عليّ - في ما نزل من الوحي والقرآن في عليٍّ عليه السلام -في مصاب أمير المؤمنين عليه السلام- تمام ما جاء من الأخبار مجملاً من ذكر أهل البيت عليهم السلام - فضائل الحسن والحسين عليهما السلام - في من قُتل مع الحسين عليه السلام - في الإمام جعفر الصادق عليه السلام - في ذكر معالم المهديّ وبشاراته [ما ينطبق مع الدعوة الفاطميّة] - في صفات شيعة عليّ عليه السلام.

ويندرج تحت هذه الأجزاء أو الفصول عناوين كثيرة، منها وقائع تاريخيّة، ومنها تراجم لعدد كبير ممَّن ينتسبون لآل البيت عليهم السلام بالمعنى العامّ، كالسيّدة خديجة عليها السلام، وأولاد عبد المطّلب، وشهداء

كربلاء من الطالبيّين رضوان الله عليهم.

ويمكن الجزم بأنّ المؤلّف -على القول بإماميّته- لم يكن حرّاً في ما يكتبه في هذا الكتاب وفي سائر مؤلّفاته، إذ كان محكوماً برغبات وتوجّهات الخلفاء الفاطميّين في هذا المجال، وقد صرّح بعرض ما جمعه ودوّنه على الخليفة المُعزّ، بقوله في خطبةِ الكتاب: «جمعتُ من الآثار في فضل الأئمّة الأطهار، حسب ما وجدتُه ".." فصحّحتُ من ذلك ما بسطتُه في كتابي هذا، ألّفته بأن عرضته على وليّ الأمر ".." مولاي الإمام المعزّ لدين الله ".." وأثبتُّ منه ما أثبتَه وصحّ عنده وعرفه، وآثره عن آبائه الطاهرين، وأجازني سماعه منه، وبأن أرويه لمن يأخذ عنّي عنه، فبسطتُ في هذا الكتاب ما أثبتَه وأجازَه وعرفَه، وأسقطتُ ما رفعَه من ذلك وأنكرَه».

مصادر الكتاب

لم يكن للمؤلّف صِلة بالروايات التي أوردها في كتابه إلّا عن طريق النقل عن المصادر المتوفّرة عنده في المغرب العربي، وتلك التي عند الخلفاء الفاطميّين بالخصوص، وقد نقل عن جملة من المصادر يُعتبَر بعضها الآن مفقوداً، مع حذفه للأسانيد أو اختصارها، وتجنّبه التكرار في متون الروايات المتّفقة أو المتقاربة معنىً، وهو يكرّر هذا الإلتزام في كلّ مناسبة. يقول: «اختصرتُ كما شرطتُ في أوّل هذا الكتاب أكثر ما جاء في ذلك، واقتصرت على حديثٍ واحدٍ من كلّ فنّ، وحذفتُ التكرار الذي يُدخله أصحاب الحديث وغيرُهم باختلاف الأسانيد..».

ومن أبرز المصادر التي اعتمد عليها:

* (المغازي) لابن إسحاق (ت:١٥١ للهجرة).
* (المغازي) لمحمّد الواقدي (ت:٢٠٧ للهجرة).
* (تفسير القمي) لعليّ بن إبراهيم القمي (ت:٣٠٧ للهجرة)، من مشايخ الكليني.
* (الخصائص) للنسائي (ت: ٣٠٢ للهجرة).
* (الغدير) -كتاب مفقود- للطبري (ت: ٣١٠ للهجرة)، نقل عنه نصوصاً كثيرة.

مختارات من الكتاب

* ممّا أورده في الجزء الثاني عن سبق عليٍّ عليه السلام إلى الإسلام، رواية طويلة عن سعيد بن جبير يصف ما جرى بين عبد الله بن عباس ورجل شاميّ جاء يسأل عن الوجه في قتال عليّ عليه السلام للناكثين، جاء في آخرها قول النبيّ صلى الله عليه وآله لأمّ سَلَمة: «**يا أمّ سلمة، هو ابنُ عمّي حقّاً، وهو أخي ووزيري وخيرُ من أُخلفُ في أهلي، وسيّد المسلمين وأميرُ المؤمنين من بعدي، وقائدُ الغرّ المحجّلين يوم القيامة إليَّ، وصاحبُ حوضي، ورفيقي في الجنّة، وسبطاي إبناه، وقرّةُ عيني وثمرةُ قلبي وريحانتَي من الدّنيا، إشهَدي بذلك يا أمّ سلَمة، وبأنَّ زوجته فاطمة سيدةُ نساء العالمين**».

* وعلى كثرة ما أورده في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومثالب أعدائه، التي استحوذت على معظم مادّة الكتاب نجده يقول: «إنّا لم نُثبت في كتابنا هذا من فضائل عليٍّ عليه السلام، إلّا ما أوردتْه العامّة وأثبتتْه، دون ما انفرَدَت به الشيعة».

* وممّا أورده في الجزء العاشر عن فضائل أهل البيت عليهم السلام حديث «**الأنوار الخمسة**» المروي عن أبي هريرة، يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**لمّا خلقَ اللهُ عزّ وجلّ آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحِه، نظر آدم عليه السلام يُمنةَ العرش، فإذا من النّور خمسةُ أشباح على صورته رُكّعاً سجّداً. فقال: يا ربّ هل خلقتَ أحداً من البشر قبلي؟ قال: لا. قال: فمَن هؤلاء الذين أراهم على هيئتي وعلى صورتي؟ قال** [عزّ وجلّ]: **هؤلاء خمسةٌ من وُلدِك، لولاهم ما خلقتُك، ولا خلقتُ الجنّة ولا النّار، ولا العرشَ ولا الكرسيّ، ولا السّماءَ ولا الأرض، ولا الملائكةَ ولا الإنس ولا الجنّ. هؤلاء خمسةٌ اشتققتُ لهم أسماءَ من أسمائي ".." آليتُ بعزّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال حبّةٍ من خردلٍ من حبِّ أحدٍ منهم إلّا أدخلتُه جنّتي، وآليت بعزّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقالِ حبّةٍ من خردلٍ من بُغْضِ أحدٍ منهم إلّا أدخلتُه ناري ولا أبالي..**».

* وممّا أورده في الجزء الحادي عشر، بعنوان «**جملة من فضائل فاطمة عليها السلام**»، تمام خطبتِها الفدكيّة، متولياً شرح مفرداتِها، مقدّماً لذلك بيانَه لمجمل ما أرادته عليها السلام من الخطبة، يقول:

«وأرادتْ بذلك صلوات الله عليها ما قد ذكرَتْه في كلامها، من إقامة الحجّة على الأمّة، وإبلاغ المعذرة إليهم، وإيضاح الحقّ والبيان في ما فيها اهتضموه، وتُغُلِّب عليهم فيه، واستُأثر من حقّهم به لئلّا يقولوا كما قالوا: أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله سلّموا ذلك طائعين، ولم يكن خروجها لما خرجت له وقالته من ذلك إلّا عن إذن عليٍّ عليه السلام..».

السنن المهجورة

عمل «أمّ داود» ودعاء الإستفتاح
تُفتَحُ له أبواب السّماء

إعداد: «شعائر»*

هو عملٌ بالغ الأهمّية، ينتظره مَن يعرفه من شهرٍ إلى شهر، حيث أنَّه وإنْ كان في الأصل يؤدَّى في منتصف رجب، ولكن وردت الرُّخصة في الإتيان به في كلّ شهر. ومَن عجز عن العمل بكامل خصوصيّاته، فلا أقلّ من الإهتمام بدعائه، فإنَّ له وحده كذلك أهمّية خاصّة.

قال الشيخ الطُّوسي في (مصباح المتهجِّد): «ويستحبّ أن يدعو بدعاء أمّ داود»، ثمّ أورد كيفيّة العمل، ولم يتعرَّض للبدائل التي يأتي ذكرها عن الشّيخ المفيد، رضوان الله عليهما.

وقال السيّد ابن طاوس في (الإقبال): «إعلم أنَّ هذا الدّعاء الذي نذكره في هذا الفصل دعاءٌ عظيم الفضل، معروفٌ بدعاء أمّ داود، وهي جدّتنا الصالحة المعروفة بأمّ خالد البربريّة، أمّ جدّنا داود بن الحسن بن الحسن ابن مولانا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خليفةُ ذلك الوقت قد خافه على خلافته، ثمّ ظهر له براءةُ ساحتِه فأطلقَه من دون آل أبي طالب الذين قَبض عليهم. ".." فأمّا حديث أنّها أمُّ داودَ جدِّنا، وأنَّ اسمها أمّ خالد البربرية كمَّل الله لها مراضيه الإلهيّة، فإنّه معلومٌ عند العلماء ومتواترٌ بين الفضلاء».

ثمّ قال حول الدعاء: «وهو دعاءٌ جليلٌ مشهورٌ بين أهل الروايات، وقد صار موسماً عظيماً في يوم النّصف من رجب معروفاً بالإجابات وتفريج الكُرُبات».

وقال الشيخ الملَكي التبريزي في (المراقبات): «وإنْ وُفِّق لدعاء الإستفتاح مع الشّرائط فهو، وإلَّا لا يترك -لا محالة- الدّعاءَ نفسه، ويزور الحسين عليه السلام».

قصّتُه

تقول «أمّ داود»: فغاب عنّي -أي داود- حيناً بالعراق ولم أسمع له خبراً، ولم أزل أدعو وأتضرَّع إلى الله جلَّ اسمه وأسأل إخواني من أهل الدّيانة والجدّ والإجتهاد أن يدعوا الله تعالى لي، وأنا في ذلك كلّه لا أرى في دعائي الإجابة. فدخلتُ على أبي عبد الله جعفر بن محمّد صلوات الله عليه يوماً أعودُه في علّةٍ وجدَها، فسألتُه عن حاله ودعوتُ له، فقال لي: **يا أمّ داود، ما فعل داود؟** وكنت قد أرضعتُه بلبنه، فقلت: يا سيّدي أين داود وقد فارقني منذ مدّة طويلة وهو محبوسٌ بالعراق؟

فقال: **وأين أنت عن دعاء الإستفتاح وهو الدّعاء الذي تُفتَح له أبواب السّماء ويلقى صاحبُه الإجابة من ساعته، وليس لصاحبه عند الله تعالى جزاءٌ إلَّا الجنّة.**

فقلت له: كيف ذلك يا ابنَ الصّادقين؟

يقول السيّد ابن طاوس: فقالت أمّ جدّنا داود رضوان الله تعالى عليه: فكتبت هذا الدّعاء وانصرفتُ ودخل شهر رجب وفعلتُ مثلَ ما أمرني به (تعني الصادق عليه السلام)، ثمّ رقدتُ في تلك اللّيلة. ولمّا كان في آخر اللّيل، رأيتُ محمّداً صلى الله عليه وآله، وكلّ مَن صلَّيت عليهم من الملائكة والنّبيّين. ومحمّدٌ صلى الله عليه وآله وعليهم يقول: **يا أمَّ داود، أبشِري وكلّ مَن ترين من إخوانك (أعوانك) ".." يبشِّرونك بنُجح حاجتك، وأبشِري فإنَّ الله تعالى يحفظُك ويحفظ ولدَك ويردُّه عليكِ.**

قالت: فانتبهتُ فما لبثتُ إلَّا قدر مسافة الطّريق من العراق إلى المدينة للرّاكب المُجِدّ المسرع العَجِل، حتّى قدم عليَّ داود. فسألته عن حاله، فقال: إنّي كنت محبوساً في أضيق حبسٍ وأثقل حديد

* نقلاً عن كتاب (مناهل الرجاء في أعمال شهر رجب)، الشيخ حسين كوراني.

"..." إلى يوم النّصف من رجب فلمّا كان اللّيل رأيتُ في منامي كأنَّ الأرض قد قُبضت لي، فرأيتُك على حصير صلاتِك، وحولَك رجالٌ رؤوسهم في السماء، وأرجُلُهم في الأرض يُسبِّحون الله تعالى حولك، فقال لي قائلٌ منهم حسنُ الوجه، نظيف الثوب، طيّب الرّائحة، خِلْتُه جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: أبشِر يا ابن العجوزة الصّالحة، فقد استجاب الله لأمّك فيك دعاءها.

فانتبهت ورُسُل المنصور على الباب، فأُدخلتُ عليه في جوف اللّيل، فأمر بفكِّ الحديد عنّي والإحسان إليّ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وحُمِلت على نجيب "..." بأشدّ السَّير وأسرعه، حتّى دخلت المدينة.

قالت أمّ داود: فمضيتُ به إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال عليه السلام: **إنَّ المنصور رأى أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في المنام يقول له: أطلق ولدي وإلّا ألقيتُك في النّار، ورأى كأنَّ تحت قدميه النّار، فاستيقظَ وقد سقط في يديه، فأطلقَك يا داود.**

كيفيّة عمل «أمّ داود»

قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**يا أمّ داود، قد دنا الشّهر الحرام العظيم شهرُ رجب، وهو شهرٌ مسموعٌ فيه الدّعاء، شهرُ الله الأصمّ، فصومي الثّلاثة الأيام البيض، وهو يوم الثّالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، واغتسلي في يوم الخامس عشر وقت الزّوال، وصلّي الزّوال ثماني ركعات** [نافلة الظهر]. وفي إحدى الرّوايات: **تُحسِني قنوتهنّ وركوعهنّ وسجودَهنّ.**

ثمّ صلّي الظّهر، وتركعين بعد الظّهر، وتقولين بعد الرّكعتين: يا قاضيَ حوائج السّائلين مائة مرّة، ثمّ تصلّين بعد ذلك ثماني ركعات. وفي رواية أخرى: **تقرئين في كلّ ركعة، يعني من نوافل العصر بعد الفاتحة ثلاث مرّات قل هو الله أحد، وسورة الكوثر مرّة.**

ثمّ صلّي العصر. وَلْتَكُن صلاتُك في ثوب نظيف واجتهدي أن لا يدخلَ عليك أحدٌ يكلّمك.

وفي رواية: **وإذا فرغتِ من العصر فالبسي أطهر ثيابك، واجلسي في بيتٍ نظيفٍ على حصيرٍ نظيف، واجتهدي أن لا يدخل عليك أحد يشغلك. ثمّ استقبلي القبلة واقرئي الحمد مائة مرّة، وقل هو الله أحد مائة مرّة، وآية الكرسي عشر مرّات، ثمّ اقرئي سورة الأنعام وبني إسرائيل** (الإسراء)، **وسورة الكهف ولقمان ويس والصّافات، وحم السجدة وحم عسق** (الشورى) **وحم الدّخان، والفتح والواقعة وسورة المُلك ون والقلم، وإذا السّماء انشقّت وما بعدها إلى آخر القرآن، وإن لم تُحسني ذلك ولم تُحسني قراءته من المصحف، كرَّرتِ قل هو الله أحد ألف مرة. فإذا فرغتِ من ذلك وأنت مستقبلة القبلة فقولي:**

بسم الله الرّحمن الرّحيم، صدق الله العليّ العظيم، الذي لا إله إلّا هو الحيُّ القيُّوم ذو الجلال والإكرام، الرّحمن الرّحيم، الحليم الكريم، الذي ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميع العليم..»، إلى آخر الدعاء وهو طويل، وتجده في (مفاتيح الجنان)، وغيره من كتب الأدعية.

تتابع الرواية كلام الإمام الصادق عليه السلام، حول ما يُعمل بعد الدّعاء:

«**ثمّ اسجدي على الأرض وعفِّري خدَّيك، وقولي: أللّهمَّ لك سجدتُ وبك آمنتُ، فارحم ذلّي وفاقتي واجتهادي وتضرُّعي ومَسْكَنتي وفقري إليك يا ربّ. واجتهدي أن تَسحَّ عيناك ولو بقدر رأس الذّبابة دموعاً، فإنّ ذلك علامة الإجابة**».

ولا ينحصر وقت عمل الإستفتاح بمنتصف رجب، وإن كان ذلك موسمُه الأساس، الذي ورد فيه.

تقول أمّ داود: سألت الإمام الصادق عليه السلام: يا سيّدي، أيُدعى بهذا الدّعاء في غير رجب؟ قال: **نعم، يوم عرفة، وإن وافق ذلك يوم الجمعة لم يفرغ صاحبُه منه حتى يغفر الله له، وفي كلّ شهرٍ إذا أراد ذلك صام الأيّام البيض ودعا به في آخرها كما وصفتُ.**

أضاف السّيد: وفي روايتين: قال: **نعم في يوم عرفة، وفي كلّ يومٍ دعا، فإنّ الله يُجيب إن شاء الله تعالى.**

ملاحظة: قال السيّد ابن طاوس: «قال شيخنا المفيد: إذا لم تُحسن قراءة السُّور المخصوصة في يوم النّصف من رجب، أو لم تُطق قراءة ذلك، فَلْتقرأ الحمد مائة مرّة، وآية الكرسي عشر مرّات، ثمّ تقرأ الإخلاص ألف مرّة».

أضاف السّيد: «وأقول: ورأيتُ في بعض الرّوايات -ويحتمل أن يكون ذلك لأهل الضّرورات أو مَن يكون على حال سفر أو في شيء من المهمّات- فيجزيه قراءة قل هو الله أحد، مائة مرّة».

مصطلحات

الفَيء والصّفيّ

إعداد: «شعائر»

ما يلي، وقفة مع مصطلحي الفَيء والصّفيّ في اللّغة وفي اصطلاح المسلمين، مقتطفة من كتاب (مصطلحات إسلاميّة) للعلّامة السيّد مرتضى العسكري رحمه الله.

الفَيء في اللّغة: الرُّجوع، ومنه ما يُقال الفَيء، لرجوع الظِّلّ بعد زوال الشّمس.

وفي الشّرع كما في لسان العرب: «ما حصل من أموال الكفّار من غير حرب»، و«ما ردّ الله تعالى على أهل دينه مِن أموال مَن خالف أهل دِينه بلا قتال، إمّا بأن يجلوا عن أوطانهم ويُخلوها للمسلمين، أو يُصالحوا على جِزْيَة يَفتدون بها مِن سَفْك دمائهم، فهذا المال هو الفَيء في كتاب الله».

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾ الحشر:٧.

هذه الآية وسورة الحشر كلّها، نزلت في قصّة بني النّضير. وذلك أنّ يهود بني النّضير، نَقضت عهدها مع رسول الله، وأرادت أن تغدر به وتقتله بإلقاء صخرةٍ عليه حين ذهب مع عشرة من أصحابه إليهم، فأخبره الوحي بما بَيّتوا من نيّة الغدر فخرج مسرعاً كأنّه يريد حاجة، ومضى إلى المدينة فلمّا أبطأ لَحِقَ به أصحابه، فبعث النّبيّ إلى اليهود يُخبرُهم بغدرهم ويأمرُهم بالجلاء، فأبوا وتَحصّنوا خمسة عشر يوماً، ثمّ نزلوا على أنّ لهم ما حملت الإبل غير الحلقة أي السّلاح، فخرجوا على ستّمائة بعير وذهبوا إلى خيبر وغيرها، فجعل الله ما خلّفوه من سلاح كثير وأراضٍ ونخيل لرسول الله، فقال بعضهم: ألا تُخمّس ما أصبت؟ (أي تأخذ خمسه وتقسّم الباقي على المسلمين)، فقال رسول الله ﷺ: **لا أجعلُ شيئاً جعلَه الله لي دون المسلمين، بقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ..﴾** الحشر:٧ **كهيئة ما وقع فيه السّهمان للمسلمين.**

الصّفيّ

الصَّفيّ ويُجمع على الصّفايا. وهو في الشّرع الإسلامي، لما كان لرسول الله خالصاً دون المسلمين من مال منقول وغير منقول من أراضٍ وعقار، غير سهمه في الخُمس.

يستفاد ما ذكرناه ممّا ننقله في ما يأتي:

روى أبو داود في (سُننه) عن بعض الصحابة، أنّه قال:

أ- كانت لرسول الله ثلاث صفايا: بنو النّضير وخيبر وفدك.. الحديث.

ب- وفي حديث آخر له: إنّ الله خصّ رسول الله ﷺ بخاصّة لم يخصّ بها أحداً من النّاس، فقال ﴿..فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحشر:٦ وكان الله أفاء على رسوله بني النّضير.. الحديث.

ج ـ وقال في حديث آخر بعد أن ذكر الآية الآنفة: «هذه لرسول الله خاصّة قرى عربيّة فدك وكذا وكذا». "..."

ويثبت ممّا ذكرنا أنّ ابن الأثير لم يُصِب في قوله بمادّة (صفا) من (نهاية اللّغة) حين قال: الصّفيّ ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القِسمة، ويقال له الصّفيّة والجمع الصفايا.

"..." ولست أدري كيف يصحّ ذلك وقد رأينا في روايات أبي داود الآنفة تسميةَ فدك وخيبر وقرى عربيّة أُخرى بصفايا رسول الله.

يُشار إلى أنّ ابن الأثير ومَن تَبعه في رأيه بنى على ما كان قاله الأزهري المتوفّى سنة ٣٧٠ للهجرة، ولعلّ هذا الأخير أخذه من المتعارف في عصره وليس من قبله، وخاصّة من القرامطة الذين عاشرهم دهراً وهو في أسرهم، واستفاد من محاوراتهم كثيراً.

وخلاصة القول: إنّ الصّفايا ومفردها الصّفيّ كانت تُطلق حتى عصر أبي داود على كلّ ما كان خالصاً لرسول الله من أموال وضياع وعقار.

حِكَم

من آداب السّفر

قال لقمان لابنه:

إذا سافرتَ فأكثِر استشارتهم [أي استشارة رفقاء الطّريق] **في أمرك وأمورِهم، وأكثِر التبسُّم في وجوههم، وكُنْ كريماً على زادك بينهم. وإذا دَعوك فأجِبهم، وإنِ استعانوا بك فأَعِنْهم، واستعمِل طول الصّمت، وكثرة الصّلاة، وسخاء النّفس بما معك من دابّة أو ماءٍ أو زاد.**

وإذا استشهدوك على الحقّ فاشهَد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثمّ لا تعزم حتّى تتثبّت وتنظر. ولا تُجِب في مشورةٍ حتّى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلّي وأنت مستعملٌ فكرتَك وحكمتَك في مشورتك، فإنَّ مَن لم يمحِّض النصيحة لِمَن استشاره سلبَه اللهُ رأيَه ونزع عنه الأمانة.

وإذا رأيتَ أصحابك يمشون فامشِ معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدّقوا وأعطوا فرضاً فأعطِ معهم. واسمع لِمَن هو أكبر منك سنّاً، وإذا أَمَروك بأمرٍ وسألوك شيئاً فقُل «نعم»، ولا تقُل «لا»، فإنّ «لا» عيٌّ ولؤم.

فإذا تحيَّرتُم في الطّريق فانزلوا، وإذا شكَكْتم في القصد فقفوا وتوامروا [تشاوروا]**، وإذا رأيتُم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقِكم ولا تسترشدوه، فإنَّ الشّخص الواحد في الفلاة مريب "..." إلّا أن تَرَوا ما لا أرى، فإنَّ العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحقّ منه، والشّاهدُ يرى ما لا يرى الغائب.**

(منتهى المطلب، العلّامة الحلّي)

لغة

ولا ينفعُ ذا الجَدّ منك الجَدّ

ورد في أدعية رجب: **ولا ينفعُ ذا الجَدّ منك الجَدّ**

قال محي الدين النووي في (المجموع): وقوله «لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ» هو بفتح الجيم على المشهور، وقيل بكسرها والصحيحُ الأوّل. والجَدُّ الحظّ، والمعنى: لا ينفع ذا المالِ والحظِّ والغنيَّ غناه، ولا يمنعُه من عقابك، وإنّما ينفعه ويمنعُه من عقابك العملُ الصّالح. وعلى رواية الكسر يكون معناه: لا ينفع ذا الإسراع في الهرب إسراعُه وهرَبُه.

وفي (مجمع البحرين) للشيخ الطريحي: في الحديث «**تبارك اسمُك وتعالى جدّك**» أي جلالُك وعظَمتُك، والمعنى تعاليت بجلالك وعظمتِك أن توصَف بما لا يليق لك. وفيه «**لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ**»، أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه، وإنّما ينفعه العملُ بطاعتِك. و«**منك**» معناه عندك "..." و«**الجدّ**» بالكسر هو الإجتهاد خلاف التّقصير، يقال جدّ يجدّ من بابي ضرب وقتل، والإسمُ الجِدّ بالكَسر. ومنه الحديث «**إذا مات الميت فجدَّ في جهازه وعجِّل في تجهيزه ولا تقصِّر ولا تؤخِّره**».

تاريخ

زاوية مخصصة لأوراق من التاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسية

..كالشّمس لا تُسْتَرُ بالرَّاح

قال ابن أبي الحديد يصِفُ أميرَ المؤمنين الإمامَ عليّاً عليه السلام:

«..وما أقول في رجلٍ أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحدُ مناقبه، ولا كتمانُ فضائله، فقد علمتَ أنّه استولى بنو أميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتّحريض عليه، ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفعُ له ذكراً، حتى حظروا أن يُسمَّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلَّا رفعةً وسُموّاً، وكان كالمسك كلّما سُتِر انتشرَ عَرفُه [الرائحة الزكيّة]، وكلّما كُتِم تضوَّع نشرُه، وكالشّمس لا تُسْتَرَ بالرّاح، وكضوء النّهار إن حُجِبت عنه عينٌ واحدة، أدرَكَته عيونٌ كثيرة، وما أقول في رجل تُعزَى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلُّ فرقة، وتتجاذبُه كلّ طائفة، فهو رئيسُ الفضائل وينبوعُها، وسابقُ مضمارها، ومجلي حلبَتها، كلُّ مَن بزغ فيها بعدَه فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى "..".»

(شرح نهج البلاغة)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

دمشق

دِمَشق الشّام: البلدة المشهورة قصبة الشّام. قيل: سمِّيت بذلك لأنّهم دَمْشَقوا في بنائها، أي أسرعوا. وناقة دَمْشق، بفتح الدّال وسكون الميم: سريعة. وقد روى بعض الأوائل أنَّ مكان دمشق كان داراً لنوح عليه السلام، ومنشأ خشب السّفينة من جبل لبنان، وأنَّ ركوبه في السّفينة كان من عين الجرّ من ناحية البقاع هذا الرّأي شاذّ، فمن المعلوم أنّ دار نوحٍ عليه السلام كانت بالكوفة، وهناك بنى السفينة، وفي مسجد الكوفة موضعٌ يُعرف بالتنّور، وهو المكان الذي فار منه الماء بدو الطوفان، [كما في الآية ٤٠ من سورة هود].ومن خصائص دمشق التي لم أرَ في بلد آخر مثلها كثرةُ الأنهار بها وجريان الماء في قنواتها، فقلَّ أن تمرّ بحائط إلَّا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يُشرب منه ويَستقي الوارد والصّادر. وبها جبل قاسيون ليس في موضع من المواضع أكثر من العبّاد الذين فيه، وبها مغاور كثيرة وكهوف وآثار للأنبياء والصالحين لا توجد في غيرها، وبها فواكه جيّدة فائقة طيّبة، تحمل إلى جميع ما حولها من البلاد من مصر إلى حرّان وما يقارب ذلك فتعمّ الكلّ، وقد وصفها الشعراء فأكثروا.

(معجم البلدان، الحموي - مختصر)

إصدارات عربية

الكتاب: دراسات في مناهج التّفسير
إعداد: «مركز نون للتّأليف والترجمة»
الناشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة»، بيروت ٢٠١٢

صدر حديثاً عن «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، وضمن «سلسلة المعارف الإسلاميّة»، كتاب «دراسات في مناهج التّفسير» أعدّه «مركز نون للتّاليف والتّرجمة».

«هذا الكتاب خطوة متقدّمة في مجال معارف الإسلام لروّاد المعرفة والحقيقة، حتّى يتسنى لهم الدّخول في علم التّفسير بتؤودةٍ ورفق»، كما جاء في مقدّمته.

يتضمّن الكتاب، وهو عبارة عن مادّة تعليميّة للمعاهد والكليّات الإسلاميّة، ستة وعشرين درساً، تناول عشرون منها التفسير والتّأويل، وشروط المفسِّر، ومناهج التّفسير، والإتّجاهين الكلامي والفقهي في التّفسير، وغيرها من العناوين ذات الصّلة.

أمّا الدّروس الستّة الأخيرة فقد تمّ تخصيصها لنماذج تفسيريّة منها آية الولاية، وآية الوضوء.

الكتاب: الصّحوة الإسلاميّة – رؤية تحليليّة
المؤلّف: مجموعة مؤلّفين
الناشر: «مركز العراق للدّراسات»، بيروت – بغداد ٢٠١٢

صدر حديثاً عن «مركز العراق للدّراسات» كتاب بعنوان «الصّحوة الإسلاميّة- رؤية تحليليّة بين المنطلقات والأهداف والنتائج» شارك فيه مجموعة من الباحثين والكُتّاب من لبنان والعالم الإسلامي.

يتناول الكتاب نظريّة الصّحوة التي أطلقها الإمام السّيد علي الخامنئي في سياق رؤيته للتّحوّلات الثّوريّة الشّعبيّة في عدد من البلدان العربيّة. وقد جاءت عناوين الأبحاث على الشّكل التالي:

- «الصّحوة الإسلاميّة ستغيِّر وجه المنطقة»، وهو نصّ خطاب الإمام الخامنئي في «مؤتمر الصّحوة» المنعقد بطهران في خريف العام ٢٠١١.
- الإمام الخميني وإعادة تشكيل العقل السّياسي والإسلامي، للدكتور محسن صالح.
- الصّحوة الإسلاميّة .. الدّوافع والتّحديّات، للدكتور عزيز جبر شيّال.
- التّحوّلات في العالم العربي، للباحث محمّد صادق الهاشمي.
- الصّحوة من منظار القائد الخامنئي، للباحث حسن شقير.
- فكر الإمام الخميني في الثّورات العربيّة، للباحث المصري أحمد صبري السيد.
- الصّحوة الإسلاميّة في فكر الإمام الخامنئي، للباحثة نزيهة صالح.

الكتاب: إمكانيّات التّفسير وإشكاليّاته – في البحث عن المعنى
المؤلّف: محمّد مصطفوي
الناشر: «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، بيروت ٢٠١٢

في كتابه هذا يحاول المؤلِّف -الباحث الإسلامي محمّد مصطفوي- معالجة أهمّ الإشكاليّات التي يعاني منها النّشاط التفسيري، فيتوقّف عند مسائل اللّغة والتّأويل وبناء المفاهيم، منتقداً بعض الآليّات المعتمَدة في تفسير القرآن الكريم، ويقدِّم إقتراحاتٍ لحلّ ما يراه إشكاليّات في هذه العمليّة.

يقول المؤلِّف في مقدّمة الكتاب: «التفسير علم وفنّ. إنّه علم كونه مبنيّ على أُسُس واعتبارات وقواعد ومفاهيم معيَّنة، وإنَّه فنٌّ لكونه يقوم على الذَّوق والدّراية والفَراسة، بل على الكشف والإلهام».

يتضمّن الكتاب ستّة فصول هي: إمكانيّات التّفسير اللّغوية، والمنهجيّة، والمعرفيّة، والتّطبيقيّة، وإشكاليّات اللّغة، وإشكاليّات المنهج.

الكتاب: «قطر وإسرائيل – ملف العلاقات السريّة»
المؤلّف: سامي ريفيل
ترجمة: محمّد البحيري
الناشر: «جزيرة الورد»، القاهرة ٢٠١١

مؤلّف هذا الكتاب -سامي ريفيل- له باع طويل في دفع التّطبيع بين الكيان الغاصب وعددٍ ممّا يُعرف بدول الاعتدال العربي، فضلاً عن كونه أوّل دبلوماسي «إسرائيلي» يعمل في قطر، وهو يعمل اليوم وزيراً مفوّضاً بسفارة الكيان الصهيوني في باريس.

كشف ريفيل في كتابه عن مجموعة من الحقائق المتعلّقة بالعلاقات بين «إسرائيل» وقطر، يمكن من خلالها تفسير الأُطُر الحاكمة للسّياسة الخارجيّة التي تبنّتها هذه الإمارة الخليجيّة، بعد إطاحة حمد بأبيه عام ١٩٩٥ وانفراده بالحكم.

أولى هذه الحقائق، وأهمّها على الإطلاق، أنّ قطر كانت البادئة والأحرص والأشد تمسُّكاً بالعلاقات مع «إسرائيل» أكثر من تل أبيب نفسها، ويتّضح ذلك من خلال المراحل التي مرت بها العلاقات بين الطرفين، أمّا الجانب الصهيوني فوجد في «الإمارة الصغيرة» مَن يتوق للعب دور ناقل الرّسائل «الإسرائيليّة» إلى الأطراف الإقليميّة.

إصدارات أجنبية

الكتاب: «جمال آفتاب = بهاء الشّمس»
الموضوع: شرح قصائد حافظ الشيرازي
تأليف: الشيخ علي سعادت پرور
الناشر: «احياء كتاب»، طهران ٢٠٠٩

هذا الكتاب – جمال آفتاب أو بهاء الشّمس- عبارة عن شروحات الشيخ علي سعادت پرور لستّين قصيدة من قصائد الشاعر الإيراني شمس الدين محمّد بن كمال الدين المعروف بـ«الحافظ الشيرازي» (ت: ٧٩٢ للهجرة).

يقول الشيخ سعادت پرور -وهو من أبرز تلامذة العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رضوان الله عليه- أنّه استقى شرح هذه القصائد -وغيرها لم يُدرجها في كتابه- استقاها من الجلسات الأخلاقية التي كان يعقدها أستاذه السيّد الطباطبائي للخواصّ من طلّابه في أواسط وأواخر السبعينيّات، ويتطرّق فيها إلى المضامين التوحيديّة والعرفانيّة في الآيات القرآنية، والرّوايات النبويّة، والأدعية المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وقد قسّم مؤلّفُ الكتاب المتلقّين لأشعار الحافظ الشيرازي إلى فئات ثمانيّة، وفقاً لانطباعاتهم أو قناعاتهم التي خرجوا بها بعد الوقوف على «غزليّات» الشيرازي. أولى هذه الفئات هي التي ترى إلى الحافظ الشيرزاي على أنّه عارفٌ واصل، وكلامه ترجمان التّوحيد الخالص، فليس عبثاً -وفق هؤلاء- أن يُثني عليه حكماء متألّهون كالفيض الكاشاني والملّا هادي السبزواري، وغيرهما.

كما يدعو الشيخ سعادت پرور إلى اعتماد منهجيّة علميّة عند دراسة قصائد «لسان الغَيب»، تجنباً لنسبة ما لا يليق من الأفعال والمعتقدات به، والخطوة الأولى على هذا الصعيد هي -كما يقول المؤلّف- دراسة سيرة الشاعر الشيرازي، تليها عدم الإكتفاء بظواهر الألفاظ، والتنبُّه إلى أن القصائد العرفانيّة تتضمّن مصطلحاتٍ -هي عبارة عن إشارات ورموز- يُراد بها غير دلالتها المعهودة في سائر النصوص. وفي الصفحات اللاحقة من مقدّمة كتابه الصادر باللّغة الفارسيّة يُسهب المؤلف في الحديث على النقطتين السالفتين وغيرهما، مبيّناً الآلية التي اعتمدها في شرح الأبيات، ومنها تتبُّع موارد المفردة الواحدة في جميع القصائد، ليخلص من ذلك إلى المعنى الحقيقي الذي أراده الشاعر عند استخدامها.

الكتاب: تحليل في سير وسلوك جامع الفقه والعرفان، عبد الله محمد تقي بهجت رحمه الله
إعداد: «مؤسّسة شمس الشموس الثقافيّة»
الناشر: «شمس الشموس»، طهران ٢٠١١

هذا الكتاب الصادر باللّغة الفارسيّة هو ترجمة وافية وموثّقة لسيرة شيخ الفقهاء العارفين الشيخ محمد تقي بهجت رضوان الله عليه.

يمتاز هذا الإصدار الجديد -فضلاً عن شموليّته وإحاطته بمختلف جوانب شخصيّة المقدّس الشيخ بهجت- بكون معلوماته مستقاة من شهادات أقرب المقرّبين منه قدّس سرّه، وفي طليعتهم نجله الشيخ علي، والسّادة العلماء من أعضاء مكتبه.

جاء الكتاب في مقدّمة -بقلم آية الله جوادي الآملي- وعشرة فصول، تناول الأوّلان منها معلومات شخصيّة حول ولادته وأسرته ودراسته وبعض أسفاره، إضافة إلى الفترة التي قضاها مع أستاذه آية الله السيد على القاضي قدّس سرّه، وأمّا الفصول الأخرى فهي عبارة عن تعريفٍ بحالاته المعنويّة، وثبتٍ بحشدٍ من توجيهاته الأخلاقيّة والعقائديّة، مرفقٍ بعضُها باستنتاجات وتعليقات أعدّتها «لجنة التحرير في مؤسّسة شمس الشموس الثقافيّة» وهي الجهة الناشرة.

يُشار إلى أنّ كلمة «العبد» المبرزّة على الغلاف تشير إلى كلمة «العبد» المنحوتة على شاهد ضريح الشيخ بهجت قدّس سرّه في حرم السيّدة المعصومة عليها السلام في مدينة قم، والتي كان يستعملها في تواقيعه.

الكتاب: «لماذا تفشل الأمم: جذور السّلطة والرفاهيّة والفقر في العالم»
Why Nations Fail: The Origins of Power, Prosperity and Poverty
المؤلّف: دارون أسيموجلو، وجيمس روبنسون
الناشر: «Crown Publishing Group»، نيويورك ٢٠١٢

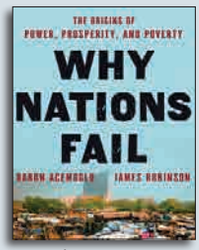

مع انحسار صخب الأزمة الإقتصاديّة العالميّة، عادت السّمة الأساسيّة للنّظام الإقتصادي العالمي لتفرض نفسها من جديد على اهتمامات الإقتصاديّين والجماعات البحثيّة، وفي هذا السياق، يأتي كتاب «لماذا تفشل الأمم: جذور السلطة والرفاهية والفقر» الذي ألّفه اثنان من الأكاديميّين الأمريكيّين المتخصّصين في علمَي الإقتصاد والسّياسة، وهو يعدّ خطوة في مشروع بحثي استمرّ لِما يقرب من خمسة عشر عاماً، يهدف لوضع نظريّة جديدة في علم الإقتصاد السّياسي، استناداً إلى الخبرات التاريخيّة، بدءاً من الإمبراطوريّة الرومانيّة، مروراً بخبرات القرون الوسطى، فالإتّحاد السوفياتي، وأمريكا اللّاتينيّة، وإنكلترا، وأوروبا، والولايات المتّحدة.

ويحاول النّموذج التّفسيري الجديد الإجابة على عدد من الأسئلة التي تطرح نفسها في الوقت الحالي، أبرزها: لقد نجحت الصين في بناء ماكينة نموّ استبداديّة، فهل ستواصل النّموّ وفرض سيطرتها على الغرب؟ هل لا تزال الإمبراطوريّة الأمريكيّة في صعود؟ ما الطريقة المثلى لإعانة مليارات البشر على الإنتقال من الفقر إلى الرّفاهية؟

«شؤون الاوسط» (١٤١)

صدر مؤخّراً العدد الجديد من فصليّة «شـؤون الأوسـط» التي تُعنى بالإستراتيجيات الإقليميّة. وقد تضمَّن العدد مجموعة من الدّراسات والأبحاث والمقالات المتعلّقة بقضايا العرب والمسلمين السياسيّة والأمنيّة والإقتصاديّة والثقافيّة. في الملف الذي جاء تحت عنوان «الإسلاميّون والسُّلطة» نقرأ ثلاثة مقالات، هي:

- الإسلاميّون والسُّلطة في الوطن العربي، للباحث خليل حسين.
- الرّبيع العربي والشّتاء الإسلامي، للكاتب صقر أبو فخر.
- الثّورات العربيّة والتّحدّيات، للباحث محسن صالح.

في باب حوارات نقرأ حواراً مع الباحث عوني فرسخ حول الثّورات العربيّة في تفاعلاتها الداخليّة والخارجيّة.

كما نقرأ في باب الدّراسات والمقالات كتابات حول أوباما والسّياسة الأميركيّة في المنطقة، وقضايا الإحتباس الدّولي للبترول، وكذلك حول الخصوصيّة الآسيويّة للدّيمقراطيّة والتّنمية.

«المنهاج» (٦٥)

صدر العدد الجديد من فصليّة «المنهاج» التي تُعنى بالأمور الإسلاميّة الفكريّة، وتصدر عن «مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع». نقرأ في هذا العدد عدّة مواضيع، منها:

- الإنهاء الفينومينولوجي لجدل الفلسفة والعلم، بقلم د. عبد القادر بو دومة.
- (الأمّي) في القرآن واتّجاهات المفسّرين، لمحمّد مهدي شاهمرادي.
- منجزات الفتح الإسلامي في إيران، لمحمّد عبد الرزاق.
- الفقه والفلسفة في الخطاب الرّشدي، بقلم هيثم أحمد مزاحم.

ومن المواضيع التي وردت في منتدى المنهاج، نقرأ:

- الإمام عليّ عليه السلام إمام المفسّرين، بقلم محمّد علي مهدوي راد.
- التّفسير الرّوائي عند الشيعة: المزايا والإخفاقات، الأستاذ علي أكبر بابائي.
- الإسرائيليّات: النّشأة والجذور، للأستاذ محمّد كاظم شاكر.

«فصليّة مُزْن» (٣)

عن «مركز الدراسات والبحوث القرآنيّة» في المنطقة الشرقية بالحجاز، صدر العدد الثالث من المجلّة الفصليّة «مُزْن». بعد «كلمة العدد» بقلم رئيسة التحرير فاطمة المرشود نقرأ مجموعة من الدراسات القرآنيّة بقلم باحثات إسلاميّات، جاءت على الشكل التالي:

- منهجية جديدة للتفسير بقلم زينب العلي.
- الجري والتطبيق القرآنيّين لأسماء سالم.
- نظرة في مفهوم النشوز في القرآن الكريم للباحثة بدرية الحميدي.
- قيمة الإحسان للأستاذة أحلام الحجاج.
- الثقافة القرآنية ومشاريع التغييب بقلم أسماء الزاكي.
- في العلاقات بين الآيات والسُّوَر في تفسير الطبرسي.

«النهضة الحسينيّة» (Hussein Revivalism) (٨)

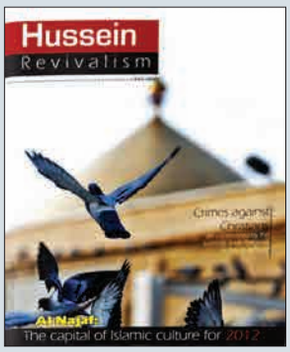

صدر عن «شعبة الإعـلام الـدولي» في «العتبة الحسينيّة المقدّسة» العدد الثامن من مجلة «النهضة الحسينية» باللّغة الإنكليزيّة، ويتضمّن مجموعة من التّحقيقات والتّقارير والمقالات الصحفيّة، أهمّها:

- تقرير تناول اهتمام المرجعية الدينية في النجف الأشرف بإيصال المعونات والمساعدات الإنسانيّة إلى المناطق والدّول التي تعاني من القحط والمجاعة؛ لا سيّما في منطقة القرن الإفريقي.
- دراسة حول تاريخ الإسلام في دولة غانا.
- تحقيق حول إعلان مدينة النجف الأشرف «عاصمة الثقافة الإسلاميّة» للعام ٢٠١٢.
- مقالة للدكتور محمّد فاخر روحاني حول «أدب الطّف وتأثيره على الأدب الانكليزي».
- مقالة للأستاذ عبد الكريم عبد الأمير تحت عنوان «مدخل في تعليم الأطفال».
- مواضيع أدبيّة وثقافيّة متنوّعة، وفتاوى من فقه المغتربين.

نجاةُ البشريّة، بالإسلام

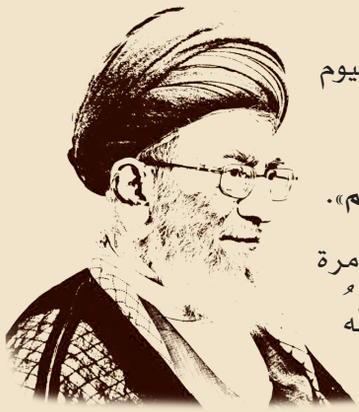

نعمةُ بعثة النّبيّ الأعظم على البشريّة، أعظم النِّعم الإلهيّة على مرِّ التّاريخ.

إنّ يوم المبعث هو أسمى وأعظم أيّام السنة كلّها وأكثرها بركةً. يجب تقدير ذكرى هذا اليوم وتظهير عَظَمة البعثة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَرسله على حين فترةٍ من الرُّسل، وطولِ هجعةٍ من الأُمم**». "..." **والدُّنيا كاسفةُ النّور ظاهرة الغرور**»، كانت الدّنيا مظلمة والمعنويّات فيها ضامرة والنّاس يسيرون في متاهات الجهالة والضَّلالة والغرور. في مثل تلك الظُّروف أَرسل اللهُ تعالى النبيَّ صلى الله عليه وآله.

لقد أعدّ الله تعالى النّبيّ المكرّم، من أجل مثل هذه الحركة العظيمة على مرّ تاريخ البشريّة. لهذا تمكّن وعبر ٢٣ سنة أن يوجِد تيّاراً استطاع أن يتفوّق على جميع الموانع والمشكلات، ويتقدّم بالتّاريخ إلى يومنا هذا. ٢٣ سنة زمنٌ قصير. وفيها ١٣ سنة من الجهاد في غربة.

هيّأ الله تعالى ظروفاً تمكّن النبيّ معها من الهجرة إلى المدينة ليوجِد هذا النّظام وهذا المجتمع، وليخطّط لهذه المدنيّة. وكلّ المدّة التي تطلّبت من النّبيّ الأكرم إشادة هذا النّظام الجديد وبناءه وتهيئَته والتقدّم به كانت عبارة عن عشر سنوات، أي أنّها كانت مدّة قصيرة. ومثل هذه الأحداث تضيع في العادة وسط طوفان أمواج حوادث الدُّنيا، وتزول وتُنسى. عشر سنوات هي مدّة قصيرةٌ جداً؛ لكنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله استطاع في هذه المدّة أن يغرس هذه الغَرْسة ويسقيها ويُهيِّئ لها أسباب النّموّ؛ أَوجدَ حركةً أدّت إلى هذه الحضارة التي بلغت قمّة التَّمدّن البشري في عصرها، أي في القرنين الثّالث والرابع الهجري. لم يُشاهَد في كلّ عالم ذلك اليوم -مع كلّ السَّوابق الحضاريّة والحكومات المقتدرة والتّراث التّاريخي المتنوِّع- أيّ حضارة بعظَمة ورَوْنق الحضارة الإسلاميّة، وهذا هو فنُّ الإسلام.

لو أنّ البشر فكّروا وراعوا الإنصاف لصدّقوا بأَنّ نجاة البشريّة وسيرها نحو الكمال سيكون ممكناً ببركة الإسلام ولا غير. نحن المسلمين لم نقدِّر تلك النِّعمة، فأكلنا من الوعاء وكسرناه ولم نعرف قدْر الإسلام؛ نحن لم نحافظ على تلك الأُسُس والأركان التي أشادها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من أجل بناء المجتمعات الإنسانيّة الرّاقية والمتكاملة؛ لم نكن شاكرين، وقد لقينا نصيبَنا من جرّاء ذلك. إنَّ تلك الأُسُس والأركان التي وضعها النّبيّ صلى الله عليه وآله -أركان الإيمان والعقلانيّة والجهاد والعزّة- هي الأركان الأساسيّة للمجتمع الإسلامي.

ببركة نداء الإسلام ونداء الإمام [الخميني] الجليل، نحن شعب إيران تمكّنا من تحقيق قسمٍ منها في حياتنا، وها نحن نشاهد آثارها وثمارها.

لقد تنبّه العالم الإسلامي اليوم. فهذه التّحرُّكات المشاهَدة اليوم في بعض دول شمال أفريقيا ومنطقة الشّرق الأوسط، إنّما هي بفضل الإستفادة والإستضاءة من نور الإسلام والتّوجيهات المباركة التي أرساها النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. لهذا فإنّ مستقبلَ هذه المنطقة وهذه الدُّول بتوفيق الله وبحوله وقوّته هو مستقبلٌ ناصعٌ.

(في يوم المبعث الشريف، عام ١٤٣٢ هجريّة - مختارات)